

إحسان وفيق السامرائي

شهداء اللقالق ..

" حكاية اربع مدن "

رواية

احسان وفيق السامرائي

شهداء اللقالق..

" حكاية اربع مدن "

رواية

اهداء ..

الى

الصديق الذي لا انساه

خالد السلطان

لقد كنت وما زلت كالمخفض الذي تسيل منه الانهار ..

بتواصل وتقدير ومحبة اقدم لكم

نتاج حواراتكم المحببة الى نفسي

شئاء اللقالق ..

مقدمة للشاعر : حسين عبد اللطيف

الزمن في سيرورة لاحبة ، الشمس تشرق وتغيب ، الفصول : الصيف ، الشتاء ، الربيع ، الخريف. فصلاً بعد فصل، تتكرر ولكن ليست هي نفسها ، كل مرة ، فالنهر لا يعبر مرتين.، فالحركة والتغيير يحكماننا ويحكمان موافقنا وخطواتنا والزمن يجري ويجري مندفعاً لا يعبأ او يابه بشيء. تحت الأَبصار او وهو يدلف بإحتراس قُط و خفة تُعَلب في الظلمة، ليطبّع أثره وأخاديه على ارواحنا وأجسادنا.. وربما بدا تكراراً لأعيننا لكنه ليس كذلك أبداً فلا مماثلة قطعاً .

وبسبب من انغماسنا في ماء النهر، نهر الحياة ، بكل جوانبها وحيثياتها ومتغيراتها لا يمكننا ان نكون على صواب في الحكم فالوجود يدفع بنا لتمثيل ادوارنا فيه حسب ما يقرر هو لا نحن والزمنا بعد لا يتوقف لحظة فهو الى الامام ...

وكذلك لا يمكننا استنفا ماضينا فالماضي لا يستأنف بالمرة فهو يتسرب من بين اصابعنا كحبات الرمل وما نقيض عليه منه يفلت منا ، الا اذا التقطته عين او عدسة كاميرا او صورة في ألوم او ترسب في ذاكرة وخلد فيها ليدون بعد ذلك في رواية وهذا ما فعلته (شتاء اللقائ) فهي قد دونت الايام والسنوات الخمس المنصرمة من عمر الصبي (نعمان) - شخصيتها الرئيسية- بكل ملاساتها ومشاهداتها العيانية من احداث ووقائع وحيثيات .. وبسرد حي نابع من الوجدان والمشاعر فهي تبسط امامنا بكل صور هذه الحياة بالتفصيل : التقاليد و الاعراف والمعتقدات والطفوس والحكايات والاساطير والخرافات والابعاد الانسانية ولمسات التعاطف البشري والاثرة والإيثار وكوارث الطبيعة : الفيضانات ، الجراد ، القحط ثم المبالغات والاكاذيب البرينة وزيارات مراقد الاولياء ،النذور ، زيارة الملك فيصل الثاني الى ديالى، الالعاب الطفولية ، الحشرات ، التحولات السياسية ، سقوط وزارة صالح جبر وقيام اخرى، الشيخ محمود الحفيد ،وصعود المناضلين الاكراد الى الجبل لمحاربة الظلم والاستعباد بالبنادق ، التحولات الاجتماعية ، المناظر الطبيعية الخلابة ،المدرسة الابتدائية وتعلم الكردية ، الانتهاكات ، العسف ،الانتحار ، اعدام القادة الشيوعيين ، وتعليقهم ورعب الصبي الذي اختض خضاً من رؤيته لمشنوق معلق وهو في طريقه الى المدرسة بما يذكره بخاله المنتحر (يونس) الذي شنق نفسه،و نهب ممتلكات اليهود في (الفرهود) وترحيلهم قسراً وخوفاً ، المعاناة والمكابدات في البحث عن الممرضة (مارسيل) وتذكر الاتراب (حمه وكاكالي وهوبي وكريم وفابيق وفيروز خان وعبد المنعم وناردين وبسمة وقصر شيرين ومعلمته (ديزي و (ماري) و حبيبته(كولدران) قاططة الورد ، زهرة الحب الاول و رسيسه و الدموع و (التراخوما) التي هي اقل عذاباً من الرحيل والفراق وتنقلات الصبي في المدن الاربع التي تماهت برمزية مع هجرة اللقائ وارتحالاتها و طقطقتها بمنافيرها التي تحاكي صفير القطار بصفيره الذي يعلن عن الرحيل او صباح بوق (شمدين) وهو يجول بين الجبال و الوهاد مناديا على بضاعته من الزبيب والحمص والتين المجفف والجوز واللوز ، من متجره على ظهر الحمار فينفر اليه الصبيان ليبتاعوا منه ما يحبون بابتهاج وجدل عارم وهو يرفرون حوله كالعصافير.

فالرواية تبحث عن كينونة هذا الصبي في الوجود او الحياة فتغطي سنواته التي قضاها متقلداً بين هذه المدن الاربع بحكم انتقال وظيفة ابيه - مدير الشرطة - اليها. وهي تنطبع بكليتها في روحه وذاكرته ، فشتاء اللقائ تغطي مرحلته الدراسية الابتدائية أي من 1947 الى 1952 بموازاة تدرج الصبي في العمر سنة بعد أخرى ، ولا تمتد ابعد من ذلك الا اذا اراد الروائي اكمال مشروعه بتقديم اجزاء لاحقة لروايته هذه . ولكن الروائي في مجموعته القصصية (تلك النيران الزرقاء) التي اصدرها عام 1978 كان قد عاد من حيث انتهى و توقف في روايته هذه ليتابع حياة (حمه) ويعاين مصيره الذي اودى به الى الموت تجمداً وغرقاً في ماء النهر الذي كان يصيد فيه السمك ، تماماً مثل ميتة ابيه الذي قتله دب وهي قصة حزينة ، تشبه حزن (كلكماش) على (انكيديو) ...

شتاء اللقالق ... كتبت بأسلوب الرواية التعبيري السلس نفسه إذ من الممكن اضافتها الى الرواية ملحقاً كما فعل (فوكنر) في وضعه لملحق (الصخب والعنف) .
والسردي في هذه الرواية لا يجري على نحو وصفي اخباري يقرر تقريراً انما ينبسط امامنا في حركية زمنية - مكانية نعيش ضمنها في الآن نفسه الذي تقع فيه الاحداث والوقائع وارجلنا تغوّض في غمارها والرواية ايضاً ترفع من ارتحال اللقالق وهجرتها رمزاً لأرتحال الصبي وتقلاته في هذه المدن .. انها حياة جديدة بان تضم بين دفتي كتاب كما يقول " كلوديل" ..
إن (شتاء اللقالق) بوصفها رواية تذكّر ..استعدادية تعيدنا بما تعكسه مراهاها وعوالمها الرحبة إلى تلك الايام الظليلة وهناءاتها بحنين جارفاً " نستولوجياً" وتوق إلى دفاء البيت وحضن الام وحنان الجدة الحنون ...الى تلك الروائح والاصوات والاصداء والترديدات والوجوه.

أواه!!

ماذا ستتذكر وتتذكر بعد يا نعمان ؟ طفولتك الرائعة إلى رحلت بجناح اللقلق وغادرت ...

هي .. قره تو ، بعقوبية ، بغداد والسليمانية " التي تنقل بينها هو وجدته الحنون واسرته وتدرج عمره مع احداثها وهي تنمو ايضاً وتستطيل ، سنة بعد أخرى ، مخلقة الذكريات التي تزخر بها ذاكرته النابضة مما عاشه وعاشه ، مما سمعه ورآه من حكايات وخرافات واحداث سياسية واماكن وشخوص وحياة ذات بعد انساني وما علق فيها من أسئلة لم يعثر لها على جواب ناجح وسديد حتى الان ..يسرد تلقائي وحوار شفاف بسيط تختلط فيه العامية بالفصحى وأحياناً بشذرات من " الكردية" تفهم من السياق وبلقطات بانورامية تتجلى فيها الطبيعة الساحرة الخلافة التي عاش هو مرفراً بين أحضانها .

من هنا فان رواية "شتاء اللقالق" لو انتهت الى السينما لحازت نجاحاً غير مسبوق واعجاباً باهراً منقطع النظير، لما تضمنته من مشاهد للطبيعة العراقية وللأحداث الحية التي وقعت هناك.
وها نحن نرى في ختامها ذلك الصبي وهو يركض لاهثاً متلهفاً وراء اخر لقالقه المرتحلة وهو يصيح متحسراً على ذلك الماضي الجميل متوسلاً:

رجوتك ايها اللقلق

أن تبني عشك

في مباني حروفي العالية.

و هو يقف مبهوراً أمام النداء، ندانه هذا الذي تأخذه الريح بعيداً.

الشاعر

حسين عبد اللطيف

6 البصرة في 29 ايلول 2013

شئاء اللقالق

" قره تو "

- 1 -

1

تتو تتو
تتو تتو

استمر القطار يمشي والعربات تططق والارض تركض في
صمت

- متى تطلع الجبال يا جدتي ؟

"مالت جدتي والقطار يهتز وينفخ الدخان وبطرف مسبحتها
اشارت الى ما وراء النخيل..."

- هي وراء بساتين البرتقال يا نعمان !

"لم تكن في السماء غير غيوم بيضاء وعلى الارض ظلت اعمدة
التلفون تمشي مع النخيل .."

- والان عليك ان تاكل بيضتك هذه والا غضب علينا
ابو الجبال !

- ومن هو أبو الجبال ؟ □

- "حنفيش " يعيش في مغارات الجبل وعنده غزلان
وارانب وطيور وجوز وعسل لا يعطيها الا للذين يسمعون كلام
اهلهم.... ! والان اسمع كيف يصيح القطار..؟

" القت جدتي قشور البيضة المسلوقة من انافاذة وقطعت
رغيف الخبز البارد الى قطع صغيرة ."

طوووو ..

طوووو ...

- وهل يعطيني ابو الجبال الجوز والعسل؟

ابتسمت جدتي ونفخت دخان سجارتها...

- و يعطيك "فلو" صغير تركبه لانه يعرف بانك تحب

الخيول..!

- " فلو " يا جدتي !! واين سأربطه " ؟

" هه .. هه .. ضحكت جدتي ."

- ستربطه في "الطولة مع حصان خالك الاحمر!!

- وما لون حصاتي .. أنا احب الابيض ؟
- مثلما تريد.. وستذهب كل يوم مع "كاكالي" الى
النهر وانت راكبا حصانك!!
كاكالي " يا جدتي ..؟
- كردي.. يشتغل عندنا في البيت ,يسافر دائما الى
"قصر شيرين" ويأتي لنا بالفستق الاخضر و"مِنّ السما"
وعندما عرف كاكالي بأنك تحب "من السما" جاء لك بالكثير
منه!

- لي يا جدتي..!
- أي ..!
- وبيتنا ؟
- بيتنا في " قره تو" كبير وفيه اشجار الجوز والتين
ومن عتبه ترى الجبال !!

" رايت تلالا بلون الشاي الخفيف , انعكست عليها ظلال الشمس ,
فوقها غيوم بيضاء , ومن ورائها تدلت صخور بكل الالوان
تقترب من القطار في سكون ..."
- هي الجبال يا جدتي ؟
"أبتسمت جدتي فرحة "
- لقد قلت انك ستحبها يانعمان ..?
الله الله ..صاحت جدتي فرحة

شوف... " الاشجار والوديان .. حتى الارض تغير لونها وتمتلي
الوديان بالماء في الشتاء ! الا ترى الوان الطيور واشكالها .. بلابل
ولقالب وحمامات وزازير !
صحت في فرح ..
- لم لا يقف القطار فانا اريد الصعود الى الجبل ..
"القت على كتفي حرم من القطن .."

- والان لف نفسك به أخاف ان يصيبك البرد فالدنيا في
الجبال باردة ولا تمد رأسك من الشباك حتى لا يسود وجهك
دخان القطار.."

2

تتو تتو
تتو تتو ..

" على اسلاك التلفزيونات وقفت مئات الطيور والعصافير منقوشة
الريش .. باشكال غريبه والوان حلوه , بعضها يحاول الطيران
وبعضها يتارجح في الهواء .. وهنا وهناك لمعت المياه في
الارض."

- ماذا تعمل الطيور هنا يا جدتي ؟

- تنتظر الملك ؟

- وهل للطيور ملك .؟

- الطيور مثلنا يانعمان .. عندهم ملوك يدافعون عنها
ويعيشون معها , وحين يهاجر الملك في الشتاء يأخذها معه الى "

قصر شيرين" ثم يرجع في الربيع حتى تضع بيضها!

- واين قصر شيرين ؟

" اشارت جدتي الى الجبال "

- القصر وراء الجبال !

- و تاخذيني الى القصر ؟

" قصر شيرين " يقع بين الجبال ولا يعرف الطريق اليه الا
"كاكالي" وهو قصر مبني من البلور والفضة واشجاره من
الذهب والدر والياقوت! اما الطريق له فمليء بالذئاب والديبه !!

بيو بيو ..

بيو بيو ..

رجعت جدتي تشير الى السماء و القطار يتمايل باتجاه النهر
قائلة ..شوف . القطار يبطيء من سرعته حتى يعبر الجسر
الحديد فلا تتحرك من مكانك حتى لا تصبك "الدوخه "
" أزداد أمتزاز ألقطار .. سمعته ينفخ وارتفع صفيده وهو يدخل
ممر طويل بين الصخور..
شممت رائحة دخان مخلوط بالماء ..."
قالت جدتي ..

سيدخل القطار بعد قليل مغاره كبيره حفرها "الانكريز" في الجبل
لان الناس ظلوا سنوات طويله قبل ان تاتي الى الدنيا لا يستطيعون
عبور النهر لان الجبال تسد عليهم الطريق , فكانوا يتعرضون
لهجمات الذئاب و " المغلاجه " فيموت الكثير منهم من الجوع
والبرد وبقي الحال كما كان الى ان " طب " الانكريز " ولايتنا *
فجاؤا بمكانهم وألأتهم وبدأوا يعملون في حفر الجبل حتى
فتحوا فيه دروب كبيره وبنوا جسورا على النهر مثلما تراها الان
ولكن "العصلي" لم يرضوا عن ذلك فهجموا عليهم وصارت
الحرب.. لا اعادها الله , فمات خلق كثير..
"سمعتها تهمس بصوت منخفض .."

أذكر وانا صغيرة كيف صارت الارض فراشا من القتلى "
شباب وكبار , ماتوا من الجروح والجوع والعطش !!!

- ومن هم "العصلي" يا جدتي ؟

- الاتراك .. يانعمان ..

- مثل من ؟

- مثل ..مثل ..

" شكري أغا " الرجل الذي يلبس "فيه حمراء "
ويمسك "الباسطون" بيده ويركب حصانا يتمشى مع
"نهر خريسان " شكري بيك " من العصلي ..

- والاتكليز؟

- نصارى .. يانعمان .

- مثل من ياجدتي؟

- مثل مثل..أتذكر "ابوالجزمه الطويله" الذي يعمل مع
عمك "يحيى" في "الجاسميه" ويرطن بكلمات لانفهمها
ويصيد الخنازير.. هو "انكريزي" يانعمان..!
- و هل " نللي " منهم ياجدتي ؟
- لا يانعمان ..أنصاري.. ليسوا من " الانكريز "
وهم لايعرفون لساننا و نللي"عربية منا .
- والاتراك ياجدتي.. هل يعرفون لساننا ؟
- لا يعرفون لساننا ولكنهم مسلمين ويقرأون القرآن
مثنا ..

" فجة ..قطعت جدتي كلماتها
واشارت الى الجبل.."

- نعمان.. شوف هناك ؟
رايت منارة طويلة فوق الجبل وعليها هلال احمر اللون."
" كان "العصملي" بالصوب الاخر من نهر" ديالى" وكان احد"
الجندرمة " يقف وراء " الطوب " وما ان شاف " العبارات"
تنقل الانكريز على النهر, اشعل "فتيلة" الطوب وضربهم ..
- جدتي .. قولي "انكليز" مثلما يقول المعلم مو
"انكريز"

- لعنهم الله .. و من أين اعرف ؟
وبالصدفة كان واحد من الانكريز يقف وراء طوبه وما ان راى
العصملي يضربون "الاطواب " حتى اشعل فتيل طوبه " وطق
"الدان"!
ويقولون ان "الدانه " قتلت الجنديان و بعد ان وقفت الحرب عرف
ألعصملي والانكريز ما وقع ولم تكن الدنيا مثلما هي الان فلم
يستطيعوا نقلهم الى اهلهم في" اسطمبول ولنده " فاضطروا الى
دفنهم في اعلى الجبل وبنوا هذه المنائر لتكون قبورا لهما .
"اشارت جدتي الى الصوب الاخر من النهر قائلة ..
والان سترى قبر "الانكريزي" من هنا ؟
" كانت امامي منارة عريضة مبنية بالطابوق الاحمر
وعليها علامة " ضرب "

جدتي جدتي ..
شوفي .. هذه العلامة مثل التي تعلقها "نللي" في رقبتها
وتسميها "الصليب" !!..
هم هم !!..

دو دو
دو دو ..

اسرع يا نعمان فالقطار يدخل المغارة الان فلا تخف
واغمض عيناك واسمع القطار " يطوط " قبل دخوله
المغاره فهو يقول للرعاة ان يسرعوا بابعاد اغنامهم التي
تسرح فوق السكة قبل ما يسحقهم "

طوو .. طوووو..

" تصاعد صفير القطار والدخان الاسود يمر من شباك القطار
مسرعا ولم اعد ارى وجه جدتي في الظلام ولكنها ظلت ممسكه
بيدي تدعو الله .
"فجأة .. لمعت الشمس فرايت نهرا اخضر اللون على شواطئه
اشجار كثيرة وقصب و" طرفاء "
صاحت جدتي ..

- لا تتحرك من مكانك فهناك مغارة ثانية ..
مال القطار الى النهر , فارتجفت من الخوف وانا احاول
فتح عيناي فرأيت جبال حمرين " و الصخور واعمدة التلفون
تركض مع القطار , الا ان الظلام بقى مخيفا عندما رجع الضوء
يملا المكان .

سمعت طقطقة مقص وصوت ابواب تفتح وتغلق وضجيج وعراك في "الفاركونات" الاخرى اختلطت معها اصوات "بانعي الماء والعلك والسجانر والشاي" و صوت غريب .. يردد ..
"تكتات .. تكتات "*

- اركض يا نعمان بالتكتات فقد وصل " "التيتي"
"كان " التيتي" يقف امام باب المقصورة بثياب صفراء ,يططق بمقص كبير و معه شرطي يحمل بندقية , اعطيته البطاقة فصرخ بوجهي وامسكني من قميصي ورفعني في الهواء ..
- واي .. واي .. " من اين سرقت البطاقة ؟ والله لالقي بك من القطار !

اخافتني المفاجاه الا ان صوت جدتي لعلع عاليا فرأيتها تمسك بالرجل من سترته وتهزه بقوه امام الباب حتى اوقعت " سدارته" * على الارض وهي تصيح بصوت مرتفع ..
" ولك اسمع زين" .. أترك الولد وساعلمك كيف تتعلم الأخلاق "

اخاف صياح جدتي " التيتي " فتركني متراجعا والشرطي يتمتم بخوف ..

- "ولك ورطتنا " ثم دخل المقصورة قانلا بصوت

مرتعش

- "دخيلك"ام سالم " "التيتي" جديد بالشغل ولم يعرفكم .. اتوسلك ان تسمعيني ألا ان صوتها أستمع عاليا

- " غلط لو مو غلط " يرفع الولد من سترته ويحاول القائه من القطار " ولك .. الدنيا تايهه .. عفيه ولايه كلها صارت " نفو " ؟

احتضنتني جدتي ومسحت دموعي وانا اشهق من الخوف والمفاجاة .. !

قطع صياح جدتي دخول شرطي آخر الى المقصوره وهي تزمجر الا ان صوتها تغير من المفاجاه ..

- من ؟ " شهاب" .. ما الذي جاء بك ؟
 -"مرت" عمي ! *
 "انحنى الشرطي وقبل راس جدتي وردد بخجل ... احلف لك .. انني لم اسمع ما وقع واتوسل ان تطيبي خاطرک وترتاحي وتتركي ذلك لي حتى لا يسمع عمي !
 قطع الشرطي كلماته عندما راني مبئل الوجه بالدموع ..
 "نعمان هنا .. مستحيل!"
 نفخت جدتي دخان سيجارتها بغیض وهزت راسها..
 - لقد حسبت كل شيء..الا هذا !!
 "تراخي صوتها .."
 - شهاب . "كيف وصلت لنا . أي .. بلي ..
 اخذت نعمان معي ليرتاح في "قره تو" !!
 - تقولين انك تاخذينه معك الى قره تو !
 - صعب يا "شهاب" ان اكون وحدي , وبعد "المصيبة"
 لم اعد اطيع البقاء في "بعقوبة " وقد وصفوا لي "عشبة وجاب جيني " وهذا الدواء يحتاج الى راحة بال... ولكن ؟
 - وهل سيصبر نعمان على فراق امه "وربعة"
 "فركت جدتي شعري بكفها فرحه" ... هو متعلقا بي وقد فرح "خاله " عندما عرف ان نعمان سيعيش معنا في " قره تو " ..
 و"قره تو "ولاية حلوة ..بها كل ما يريد وسيلعب مع اولاد الموظفين والشرطة واذا " ضاج " .. قره تو ليست بعيدة عن بعقوبة .. نعم .. نعم .. لقد أتفقنا انا واختك ام نعمان وعسى ان يكون في البعد راحة لنا جميعا ..."
 "ما ان تركنا الشرطي حتى رجعت جدتي تقول لي "
 - نعمان .. هل سمعت ما قاله شهاب ؟ عندما تشتاق الى بعقوبه سنركب القطار انا وانت في الليل ونصلها الصبح و سيفرح اصدقائك .."كرومي ورشيد وهوبي " فتعطيهم الجوز والفسق و تشوفهم سيارتك الصغيرة !.. أه .. نسيت .. ابن " سيد والي " يصنع سيارات صغيرة من"القواطي والوايرات"
 وصنع لك منها "لوري" يمكنك ان تلعب به" على شاطي "

خريسان " أي.. وبي " سكان " تديره بيدك و قد اعطاه خالك " مية فلس "
والان اسمع ..لا تقل شيئا لامك و ابيك اذا.. خابروا " عن " التي
تي " خطيه اخاف شهاب يتأذى فهو ابن محلتنا !
هل فهمت ؟

4

أستمر القطار يدوي ويهتز و الجبال والصخور تتكرر بلا
تغير فشعرت بالملل ,وعندما راتني جدتي اثائب فرشت طرف
عباءتها على الكرسي..

- أنت تعبان فحاول النوم قليلا قبل أن يحكم
الظهر وعندما نصل "خانقين " "سأوقضك من
النوم حتى تتفرج ؟
تتو .. تتو ..
تتو .. تتو !

"لا اعرف كم استمر نومي حتى لمستني اصابعها الباردة فقعدت
وشممت رائحة دخان سجارتها و هي تخوط " استكان الشاي " ..
قائله ..

- أقعد.. لقد وصلنا " النفطخانه "في " خانقين " ..
وفي يوم من الايام ساذهب بك الى " كركوك " لترى نارها
التي لا تنطفئ تنطفئ ابدأ !!
"من نافذة القطار ظهرت " تانكيات كبيرة " فابطأ القطار رايت
اشجار كثيرة خضراء اشارت اليها ..

- وهذه.. اشجار الزيتون المكتوبه بالقران!
- أعرفها !! لانني كلما رحنت الى بيت "نللي" اعطتني
"ام يوسف" الزيتون الاسود والجبن ولكن "كرومي" لا
يحب الزيتون ويقول هذا مر ؟

" توقف القطار فرايت خالي واقف على الرصيف ومعه شرطين
"فلفت جدتي طرف فوطتها الخضراء على وجهها واقت سجاتها
من الناظفة.."

- والان قل .. الحمد لله وصلنا بالسلامة وانزل "يواش
" ولا تقترب من سكه القطار وارقب لنا " الغراض "
"حتى يصل خالك ؟

" كان القطار ينفخ البخار ويصفر صفيرا متقطعا وعجلاته
الحديدية " تدور وعلى جانب الرصيف طارت اعداد كثيرة من
العصافير ثم عادت تنزل فوق اكوام الحنطه المتناثرة على
الارض...

كنت وحدي ولم ار غير الدواليب واشارات المحطة الشبيهة
بالبطات البيضاء حيث كنا نلعب بها انا
و "كرومي و ابراهيم " في محطة يعقوبه فنزلت مسرعا
ووضعت " عشرة فلوس " على السكة .
- آي !!

أنقلبت على وجهي عندما شعرت " بسطره " عنيفه اوقععتني على
الرصيف, فارتفع صوت جدتي غاضبا ..
- أهكذا تستقبلنا يا سالم وتضرب ابن اختك ؟!
زمر خالي عابسا ..

- الم تري ما فعله هذا الشيطان وقد كاد القطار ان
يقسمه نصفين؟

- اسم الله .. هو لم يضع بعد رجله على الارض ؟
- ومن وضع "العشرة فلوس" على السكة؟
أه .. ما كان لي أن اتسرع بالموافقه على مجيئه الي " قره
تو " فأنا اعرف ما سيخلفه لنا من أمتاع
دمدم خالي و تغير لونه قانلا ..

" والله لو رايتك تفعلها مرة اخرى لذبحتك بيدي "
ثم تقدم يريد ضربي بالباسطون* الا انه توقف عندما دفعته جدتي
غاضبة ..
- " يالله " .. قال خالي .. خذوا هذا " الشادي " للسياره.

" رفعتي شرطي من وسطي وانا انظر الى " العشرة فلوس "
التي تحولت الى قرص كبير من " الصفر " وصوت جدتي
يتابعني " اوف .. اقعد راحه " ياابني الا تكفيننا المصائب !!

5

تغيرت مشاهد الارض والوجوه فعلى طول الطريق
انتشرت قطعان كثيره من الغزلان والايائل تتقاذف وقرونها الجميلة
تلمع تحت ضوء الشمس ومن بعيد طلعت جبال عاليه .. زرقاء
وببيضاء. الا انني لم ار أشجارا لان كل الارض خضراء والسنابل
تتمايل مع الهواء والاكراد بشر او يلهم العريضة يدخنون ويلوحون
بايديهم ..

مرت قرى كثيرة مبنية باحجار الجبال القهوائية والصفراء وامتلا
الطريق بالحمير التي لا تقبل ان تتزحزح عن الطريق.
حاولت جدتي ان تخفف من خوفي وسكوتي قائلة .

- نحن على مسافة قريبة من " قره تو " ؟

" تراكض اولاد صغار يلبسون سراويل ملونة مرقعه و على
رؤوسهم " عرقجينات " راحوا يركضون مع السياره ..

يصيحون... ويوشرون بايديهم الى حلوهم .. كنت اقرط قطع من
البسكويت ...

" بم بيه نه " *

"انزلت "جامة" السياره والقيت بالباكيت لهم , فتوقفوا وهجموا
على البسكويت متصارخين , فالتفت خالي وبصوت غاضب صاح
بي..

- لو رايتك تلقي شيئا الى هولاء الحفاة مرة ثانية لالقيت
بك من السياره !!

" شعرت بالضيق والرغبة في البكاء والرجوع الى بيتنا . فاول مرة شعرت بمن يرقبني ويمنعني من الحركة .
- خالك عصبي وتعبان فلا ترعجه يانعمان ؟
"بكيت ولم ارفع صوتي و الاولاد يتكاثرون راكضين مع السياره وقد لحقت بهم كلابهم .
تباطأت السياره فظهرت بيوت طينيه عاليه الحيطان امتلات دروبها بالدجاج التانه لتتوقف امام بناية حجريه اصطف امامها بعض افراد الشرطه و فوق المركز رفرف علم ممزق الاطراف ..
- انزل ؟

دفعنتي جدتي بخشونه ..
" نزلت وقد اختلط "العجاج " برائحة الروث والبعور واصوات اصطفاق " بساطيل الشرطه" واصوات الدجاجات الخافه .."
لم اصدق اننا وصلنا اذ لم يكن هناك مما حكته جدتي ولا خالي عن " قره تو" ما يشبه المكان, فلا جبال عاليه ترى من عتبة البيت ولا مهرة بيضاء وحتى النهر حجبته الصخور والاشواك ولم اسمع غير هدير لم ينقطع يشبه صوت ماكنة الثلج في بعقوبه..
القيت نفسي على بساط تفوح منه رائحة الصوف المبلل فكورت ذراعي لاخفي راسي بينهما متظاهرا بالنوم ودموعي تنصب على "المخده ."

6

لم اجد رغبة في النهوض من النوم فبقيت مغمض العينين مستسلما لاصوات الديكة يتردد صداها من قريب و اصوات

أجراس تندنن مختلطة باصوات ومأمات الماعز والخرفان..
اختلطت معها نبجات كلاب خشنه وصهيل خيول ونهيق حمير و
لقالق تطقق بمناقيرها ودوي شلال من الماء !! اصوات لم أعود
عليها من قبل فشعرت بمن يهزني وصوت جدتي يهمس
- هل جنت يانعمان لترى " قره تو " او تنام ..؟
أقعد يانعمان وانظرالى الجبال والاغنام واسمع الشلال يصب
الماء .. استعجل فأنت لم تأكل شيئا ."
" رايت سفرة ملينة بالعدل والزبد والجبن والبيض وارغفة من
خبز " الرقاق " وسماور يغلي بالماء !!
قم يانعمان وتفرج على الرعاة والاغنام " كاكالي " والاولاد
يسألون عنك .

7

رايت اللقالق تطير فوق المركز وتنزل وهي تطقق
بمناقيرها وتطور حول العلم المرفوع فوق المركز و افراد
الشرطه يتصايحون بلغة لا افهمها .. وجوه خشنه مخيفه تقف
وسط غمامن من التراب ..!
لم أر الا قرية بعيدة من النهر يتصاعد منها الدخان واصوات كلاب
نابحه ..

سالتني جدتي بصوت تغير منذ ان وصلنا ..
- ماذا رايت يانعمان ؟
"لم يكن في" قره تو" ما حسني بالفرح فلا اولاد ولا باعه ولا
حتى سيارات او عربات الا لوريات الفحم .. يزداد دويها فيتناثر "
الروث والصون * " والتراب ..
ليس هنا غير حمير محمله بالحطب والفحم والدجاجات السارحة
بالدروب زادهها صوت خالي محذرا وهو يشير "بالباسطون "
اياك والاقتراب من " الطوله " * !

- قلت وانا اغالب البكاء أهذه " قره تو " ..انتم تكذبون

علي..!

"قبلتني جدتي ومسحت دموعي "

- لا لا .. ستعود يا أبني وتحب المكان ..!!

"شعرت بالشوق الى امي وابي واخواني وبسمه واصدقائي في
المحلّه وهم يتصايحون ويضحكون.. وان ما بيني وبين بعقوبه
صار بعيدا وبعيد جدا .

8

- نعمان ؟

- لم لم تحك لي ؟ كيف رايت المكتب .. خالك يقول ..

انت راح تنجح الاول !!

خفقتني الدموع فعادت تمسحتها بفوظتها ..

هنا كل شي جديد بالنسبة لك ولا بد من وقت ولكنك لن تشعر

بالغربة بعد ايام،والان ماذا قال لك الاولاد ..؟

- هي ليست مدرسة يا جدتي ..هي بيت صغير من الطين

و ليس فيهد الا صفا واحدا .. الاول والثاني والاولاد يلبسون

الشراويل , انا وحدي البس البنطلون والثوب !!

وقال المعلم وهو يشير الى صفين من " الرحلات " *

- " توش له صنفى دو " انت في الصف الثاني

وستقعد مع " ناردين " .. هي " له صنفى يه ك " يعني

في الصف الاول

و" ناردين " يا جدتي شعرها مثل " الكلبدون " مثل ما

كانت امي تقول حلوه ولكنها تبكي خائفه من المدرسه ..!

جدني " " رححت اضحك "

- ما الذي يضحكك يا نعمان ؟

- المدرسه كلها صف واحد والمعلم يدرّس الصف

الاول والثاني في نفس الوقت " ناردين " تقرا " زيزي " وانا

أقرا " الخروف العنيد" ومن وراء حائط المدرسه يسرح الدجاج
و "الزمايل" ..

و ليس في المدرسه جرس يدقونه والمعلم واقف بين الصفوف
وعندما انتهى الدرس قال " يلله خلص الدوام !! وراح الاولاد
يخوضون بالنهر ,لان بيوتهم عبر النهر فهي بعيده في الجبل و
"ماكو" جسر يعبرون عليه وبعضهم عندهم "زمايل" جاءوا
بها الى المدرسه

"زين" جدتي .. وكيف سيعبرون النهر عندما ياتي الشتاء
و الماء مثلما قال لي ايوب سيصل باب المدرسه. " خطيه"
قالت جدتي

- شوف ابني هذا الفرق بينك وبين هولاء الفقراء
هم يتحملون التعب والعذاب حتى يصير أحدهم معلما ليساعد
اهله.

9

ارتفع صوت المؤذن عبر الشط قادمًا من القرية الكرديه
فبدأت جدتي تتوضأ و قد انتشر ظلام دامس غطى النهر فسمعت"
المركز" يغلق بوابته الكبيره ورجع كاكالي يركب حصانا اسود
ويجر وراءه اربعة خيول وقد تبللت ثيابه فارجع الخيول للطوله
ورجع الى بيتنا وادخل الدجاج الى القفص و نشر ثوبه المبل على
شجره "القزوان" * واخرج "قدم" كبير وبدا يكسر الاخشاب!
حين راني "كاكالي" ارقب ما يفعل قال ..

جو .. جوروا .."

جو .. له جوروا"

"خفت ودخلت البيت وانا اصطدم بالحيطان .."

- ها.. ماذا اراد منك كاكالي ؟

- هو يصيح علي يا جدتي ولم افعل شيئا ؟

- ولماذا تبكي يا نعمان ..؟
- متى يشعل كاكالي " الاضويه "؟
- اضويه !! .. هيه .. انت لست في بعقوبه, هنا "ماكو "
كهرباء .. انتظر وسيشعل لنا كاكالي " اللالات "
- ما .. اريد امي .؟
- امك ستصل هذا الاسبوع ومعها " ملاعيب و" حامض
حلو" أتعرف من سيأتي معها "بسمه وسان وعبد الله
وغزوان".
- ولكن امي لم تصل بعد .؟
- الا تذكر يا نعمان يوم وصلنا " قره تو " لقد ركبنا
العربه والقطار والسياره .. وهم في الطريق الينا اليوم يا
نعمان, عيب ان تبكي وماذا ساقول لها لو راتك تبكي ؟
- ما .. ما .. اريد امي ؟
- اسم الله ..الم تقل لي بانك ستأخذ "بسمه" وتفرجها على
اللقائق و" عبد الله " الم تقل لهم " تعالوا "اشوفكم" الغزلان " ,
امك لم تر الغزلان تسرح في الطريق , الا تذكر كيف اوقف خالك
السياره لتنفرج عليها فبكيت لان" أحمد دولت" أراد ان يضربها
بالبنديقه ..
أن أمك واخوتك يتفرجون الان على الغزلان وسيوصلون بعد
قليل ! والان قل لي هل تريد الرجوع الى بعقوبه
وتتركني وحدي , ان كنت تريد الرجوع فأنني ساحكي مع خالك
هذه الليله ليخاير ابوك !!
- وانت يا جدتي الا تذهبين معي ؟
- ومن يبقى مع خالك .. لا .. انا سابقى هنا ..
و"كاكالي" هل يذهب معنا ..؟
- لا لان " منور" ستصل من "قصر شيرين ..
-جدتي .. أه !! نسيت .. اذا ذهبت أنا معك فمن يعطي"
الريم " الماء , ودجاجات "الرشث"* من يعطيها "الحب" ويجمع
بيضاتها وقد اوصيت "ايوب" ان يخبرنا عندما تصل امك من
بعقوبه

لانه يركض دائما مع السيارات التي تصل من خائفين ... لماذا
سكت انت خائف من الظلام .. كاكالي.. اسرع واشعل " اللوكس*
حتى يتعشى نعمان وتحكي له عن "قصر شيرين " !

10

" من وراء سياج الحديقه سمعتهم يتصايحون .. "
- سالم .. هل خابرت اختك ..؟ الولد تعبان
ويشعر بالوحشه الم تعدني ان تاتي لي بواحد من
الكرديات لانني لا اقدر وحدي على شغل البيت واليوم صرنا
ثلاثه !!
أنت لم تعد تهتم بي .. " شوف " اذا لم تأت بمن يساعدني
فأنني ساعود مع نعمان واتركك تطبخ لنفسك وتغسل هدومك
واعرف انك مشغول بالمركز فلم لا تسال " ملا احمد واحمد
دولت
مساكين هولاء الاكراد فهم يبيعون ابناؤهم من الجوع ومن اجل
ملء بطونهم . تحرك قليلا يا ابني .؟

11

- نعمان.. هل اكل "كاكالي " معك " الحق جق ادر"
- لا .." اتركه أحسن حتى يصل "حمه!
- ومن هو حمه يا جدتي .؟

- ولد صغير مثلك , الا تريد صديق لك ؟ يلعب معي ونذهب
الى "حاجي ميران " نعم نعم .. يا جدتي فلماذا لم يصل حمه حتى
الان ؟
- سيصل قريبا يا نعمان لتلعب معه..

12

- أوف .. كا كالي ..كاكالي ؟ أنا لم اعد قادره على المشي
اين وليّ كاكالي..؟ اقول يا نعمان لم لا تاخذ بقايا طعام البارحه
الى اولاد " كلاويز " هم جياع يا ابني وسيفرحون بك ..
" غصت بالاكل فضربتني جدتي بجمع يدها على ظهري!!"
- واين أاكل يا جدتي ؟
- " حيال " الان عرفت لماذا تريد ان تروح لهم ! ها
لتاخذ راحتك في ركوب" الزمايل " * هاك .. اشرب ولا
تتاخر فقد يعود خالك قبل ان يحكم الظهر ..
" استمرت جدتي ..تحك " القدر " وتفرغ بقاياها المملوءة
"بالتمن بعد ان صبت عليه الفاصوليا ... "
"سمعتها تقول لنفسها أن اللقمه لاتنزل ,أنها تقف في بلعومي
عندما يكون هناك انسان جائع ..!"
ما ان فتحت الباب حتى فأجأنتني امرأة مرقعة الثياب ما ان رات
الطعام حتى غاصت بكفها في "الماعون " حتى كاد ان يقع على
الارض ...
"اروله .. به ساقه ي بم "
قفز صغيران كانا يختفيان وراء " ازارها " الطويل وهجما على
الاكل
- قالت جدتي .. وقد فأجأنها رجوعي السريع ..

- صلوات !! هي المره الوحيده التي تعود مسرعا .. أه
- اذا فأنت لم تجد "زمايل" لتركبها في "الطوله" أيا .. بنتت
الكلب .. هي حتى لم تغسل الماعون؟
- لا .. يا جدتي فانا لم اذهب لها.
- ولمن اعطيت الاكل؟
- رايت امرأة مثل "السعلوه" تكرّش
العظامن "الزباله" !

13

قالت " ام هميله .."
- " حمه " لا يعرف حرفا من العربية يا " ام سالم"
" وضعت جدتي يدها على خدها متفاجئه .."
- و" شلون" !
- الصغار يعرفون كيف يتفاهمون بينهم اكثر منا ,
وتعرفين ان الولد محروم ويمكن يتعلم من نعمان فلا
تشغلي بالك !!
هم هم !!
- الم يتعلم نعمان في شهر "كردي" ويتفاهم مع الاولاد ,
اتركيه انت ولا تتعبي نفسك .
- ما تقولينه صحيح يا ام هميله فقد اصبح نعمان " نحس"
" يريد امه واخوته كثيرا ولكن ما ان يعرف بان "حمه" صار
معه سيتغير !!
- وانا اقول.. لن يمر شهرا الا ويتعلم حمه اكثر منك ومني
والولد يموت من الجوع و"الخايبه" امه تنبش في المزابل
وهذا حال " النسوان " عندما يضيّعن رجالهم .. لا لا.. أم سالم
زوجها لم يتركها .. بس .. "حاجي ميران" يقول "خطيه"
"رجله" أكله الدب عندما كان يصيد ..
- يا حافظ ..

- و هي من شهر وهي حائره في "قره تو" بعد ما سمعت بان الحكومه ستساعدها ومثل "هذوله" الناس يا ام سالم يموتون يوميا من الجوع ولا يملكون حتى "نقاويت" * وان شاء الله راح اتشوفهم اذا ما جاء الشتاء وهم يبيعون اولادهم من اجل الرغيف !!
- اسم الله !! اتعرفين يا ام هميله .. البارحه اوصيت نعمان ان ياخذ طعاما لاولاد "كلاويز" فرجع الولد متعجبا وهو يصيح .. جدتي " شفت سلوه" تاكل من الزبل .. اقول .. بس.. لا هاي "المكروده" ؟

14

- لو تدرين يا ام سالم ما يقوله اهل " قره تو" هم يفضلون موت "حمه" ولا ياخذها " جناب "المامور" ولا اخفي عنك فهم يتمنون ان يموت أي واحد ولا ياخذها الغريب !!
- عجيب .. و" ام حمه " الم يراها الاكراذ وهي " تلقط الخبز مع الكلاب و"اطفالها مثل فروخ الدجاجه "يلفطون " كل ما يجدونه أمامهم!! وتعرفين يا ام هميله كيف أن " المره" وقعت دخيل تريد مني ان اشترى اطفالها.. استغفر الله!! لانها لا تستطيع اطعامهم فاذا كان "اكراد قره تو" يستتكفون ان ناخذ" حمه"
فلماذا لم يفكر "المختار" أو "الاغا" أو "صابر بيك" بمعيشتهم !!
- ما تقولينه يا ام سالم صحيحا لانهم يحتقرون الفقراء والمحتاجين و يقولون ان حمه سيصبح عربيا ..!!
- والاسلام والرحمه "وين" يا ام هميله .. بس يعرفون يصلون ويحجون و"يقشرون"..
هو هذا الاسلام !?

ونحن يا ام هميله كما تعرفين لم ناخذ حمه " سرمهر"
هو ولداهم ما دمنا هنا ومتى انتقل سالم ورجع الى بعقوبه وامه
تعرف يريدونه أن يروح معنا او يرجع لها !
- الغيره !! هي المصبيه يا ام سالم.. وحتى
"حاجي ميران" سألني عندما راى حمه يلبس
"بلوز" جديد ويأكل "الملبس" الا تريد ام
المامور بنتا تخدمها .. هو يتمنى ان تشتغل
ابنته عندك!!

15

- نعمان .. لم لا تلعب مع حمه ..?
- هو يخاف ان يلعب معي..!
- لا يا نعمان .. هو لا يخاف من اللعب معك ولكنه
لايعرف "الملاعب" * التي تلعب بها . يخاف من
اصواتها فهو لم يسمع بالقطار أو يركب فيه ! واريد منك
أن تعلمه وتقول له " بيا " ..!
- ولكن حمه لم يسألني يا جدتي?
- هو لا يسالك ولكنني اريد منك ان تلعب معه
وتعطيه " الدعبل والماصوله" * علمه كيف ينفخ بها
حتى يعلمك " الدبكه الكرديه " الم ترى الاكراد وهم
يرقصون في الاعراس ؟
- وبعدها ؟
- بعدها سيلعب معك ويكون صديقك .
- زين و" السمسيميه والحلقوم " أخاف يخلص ؟
- لا ابني .. اعطيه ما عندك وسترسل لك امك " ذروك
الفار واصابع العروس" *

- جدتي .. " ناردين " قالت لي ..!
 - ماذا قالت ناردين ..؟
 - المامور اشترى حمه بنصف دينار !
 - استغفر الله ..! وماذا قلت لها يا نعمان ؟
 قلت لها ..
 - " نه ي .. حمه " براما . *
 - ماذا .. ماذا ؟ ارتفع صوت جدتي غاضبه " الا ان
 " ام هميلة " قاطعتها وهي تقول لي " ..
 " عفيه بالسبع " هكذا يقول ابناء " الاوادم .."
 - ماذا .. ماذا قال .. ييام هميله ..؟
 - نعمان .. قال لها يام سالم .. حمه " أخويه !"
 - صلوات !!
 "صاحت جدتي وغمر وجهها الفرح .."
 " عفيه " أبني .. هذا ما أريدك ان تقوله حتى تفقس عيونهم ؟

- جدتي ... حمه يفهم ما اقول .. قلت له بالعربي
 تعال فجاء ير كض .. هو يعرف الان " اقعد " دانشه " قم
 " هلصه " روح .. بجو . "
 - " عافرم " نعمان ! *
 - وانت يا جدتي لماذا لا تتعلمين مثله .؟

" نفضت جدتي يدها من "مصفاة التمن" * ومسحتها بقوطه
علقتها في المطبخ .. "

- عندما تتعلم انت يا نعمان ساتعلم انا !
- متى .. متى ؟

18

- هو فرحان يا ام هميله يلعب ويتشقلب على
الفراش ونعمان يلعب معه وحتى عندما اريده ان
يساعدني يتوسلني نعمان .. جدتي .. اتركه يلعب معي
وحتى نعمان صار يعمل معه ويتسابق. الله .. يجازيك يا ام
سالم" فقد نسي نعمان بعقوبه ولم يعد يسألني.. وحتى
"حمه" في الايام الاولى كان يبكي.. اما الان فقد نسي
اهله!!

"التقطت ام هميله سجاره من جدتي ونفختها"
- أي .. ام سالم ..
" حق هذا الولد" ..وين شايف "تمن ولحم وتمر
وملاعيب" !

19

- هل رايت الشيطان يا جدتي !!
- اعوذ بالله يا نعمان .. الشياطين لا يمكن رؤيتهم !
- وكيف تقولين بانهم يصعدون للسماء ؟

" من عادات جدتي ان تؤشر باصابعها وصوتها عندما تكلمني وهو ما احبه فيها "

ضحكت جدتي و هزنتي من كتفي, لولا انك ابن ابنتي لقلت انك رضعت مع الشيطان !! مثلك الصغار يسمعون ولا يسألون , اما انت فتحيرني دائما , والان اسمع يا نعمان ؟ هل تصدقني لو قلت لك ان جدك " شاف " الشياطين ؟..

- جدي شاف الشيطان !!

- الان.. ساحكي لك ما حكاه ابي ولا اريدك ان تقاطعيني

والا فلن اكمل لك " السالوفه " *

" كان ابي شابا قويا لايعرف الخوف قلبه يدور في البادية وحده , يشتري ويبيع " التتن " و السلاح للقري والعشائر. وفي ذلك الزمان لم تكن هناك سيارات ولا قطارات فكل الناس كانوا يستخدمون الخيول والدواب وقد ورث ابي " مهره عربيه اصيله " كان يركبها ويذهب بها الى حيث يريد و "الجزيره" مثلما يقول العرب " تحبل وتجب " * و تتغير بين يوم وليله بسبب الرمال والزوابع, والجزيره كما تعرف ليس فيها غير " الشوك

والعاكول " * فلاشوارع ولا كهرباء أو ماء ودروب الجزيره لا يقطعها الا " العارفة." فكان البدو يسمون الماشي في دربها " درب الصد مارذ " * لانه مثل التايه قد يرجع أو لايرجع ! بسبب العطش والجوع و "السعالو والحنافيش والذبابه" *

وفي مرة من المرات وصل ابي الى " العيث " بعد ان اتعبه الطريق والجوع والبرد فربط فرسه امام احد بيوت الشعر ودخل المضيف , فاسرع له "عبيد المضيف" بالخبز والدبس والدهن . فجلس امام الموقد يدفئ اصابع قدميه وجسمه المتجمد من البرد . فسمع ذنب يعوي عواء مخيفا .. وسمع " المهره" تصهل من الخوف حتى قطعت " الرسن " فنهض ابي لانه عرف ان ضياع الفرس معناه ضياع حياته فقرّر الخروج في الظلمه للبحث عنها و حاول الرجال منعه من المخاطره وانتظار الصباح الا أنه

" ركب راسه " !..

قال ابي ..

" ولم تكن لي من حيله, فرحت أتخبط في الظلام حتى وجدت نفسي في " زور * كبير ملي " بالطرفه والغرب" وارضه ملينه "بالكطب". فدخلت أبحث عن فرسي وانا اسمع صهيلها و كلما!! اقتربت. من الصهيل . ابتعد الصوت ورجع ولاول مره في حياتي شعرت بالخوف , حين بدأت اسمع " طراد وركض " كأن قطيعا من الخيول يتسابق ثم سمعت صراخ نشف الدم في عروقي عندما راحت أحجار كثيره تتساقط على راسي وظهري ..ورابت مخلوقات ملفوفة بعباءات سوداء تصرخ وتضحك.. اصوات مخيفه . في كل مكان , ورغم الظلام رابت مهرتي تقف تحت شجرة "سبحح" * كثيفه تصهل من الرعب وماكدت أصل اليها حتى سمعت أصوات مثل صوت " الزنابير " قد ملات المكان وشعرت بمن يصعد على ظهري و كتفي و يخنقني برجليه !! و بكل قوة حاولت الخلاص منها , ولكن ما رايته أوقف شعر راسي .."جنيات" صغيرة وكبيرة تحيط بي .. وجوه لم ار مثلها .. عيون مشقوقه وافواه مفتوحه وانوف فطساء واصابع مثل الكلايب ووجوه ملينه بالشعر الاسود .. داستني وصعدت على ظهري وكتفي وانا اتمايل واشعر بالاختناق وفجأة اشتعل " الزور" بالضوء.. فرايت وانا اتارجح شعله من النارتنزل من السماء بقوة عظيمه وعلى ضوءها رابت الجن والعفاريت يحترقون ويصرخون ويتساقطون صارخين وبعدها لم احس بشيء بعد عدة ايام وجدت نفسي ممددا بالمضيف والرجال يهنونني بالسلامه"!!!

"أشعلت جدتي سجاتها " قائلة
"لقد وجد" العريان" جدك صباح اليوم التالي ممددا تحت شجرة " السبحح " وامامه عظام فرس محترقه !
- والجن والشياطين ياجدتي ؟
"كانوا ياتعمان يريدون الصعود الى السماء فارسل الله عليهم نار جهنم فاحرقهم .
بعد ذلك وصل ابي الى البيت ولكنه ظل مريضا بعد تلك الواقعة ولم يعمر طويلا فمات ولم يفكر بدخول الجزيره مرة اخرى !.

انطفأ الفانوس فارعدت السماء وسمعت المطر ينزل بقوه
ويهز البيت فتللمست جدتي طريقها في أظلام فحاولت مرات ان
تشعل الفانوس الا انه كان ينفث دخانا وينطفي !!
- لم لا تنام يا نعمان ..؟
- أخاف يا جدتي .؟
- اسم الله يا ابني .. ممن تخاف .؟
- المطر يخوفني .؟
- الم ترى المطر من قبل !! ماذا تريد يا نعمان ..؟
- اريد حمه ان ينام معي .!
" تغير صوت جدتي ونظرت حولها بصمت "
- كاكالي .. كاكالي .. هل نام حمه ..؟
" هو لم ينم يا جدتي .. يخاف مثلي "
- " بيا .. حمه . بيا .. بيا .؟ "
" ما ان راى حمه اللحاف والنار المشتعله حتى وقف حائرا .. "
- ادخل يا حمه .. بيا ... الليله بارده و ستنام معي هنا
لان جدتي تقول ان غرفه كاكالي مليئه بالبراغيث !
اش .. اش ..
" اعوذ بالله منك ومن لساتك ولك عيب ..!
"أزداد سقوط ألمطر وارتفع لهيب النار فحمل كاكالي فرعا من
شجرة " قوغ " جاء بها من مخزن الحطب ففتحت جدتي طرف
الباب قائله .. ساطرده الدخان حتى لا يخنقكم وهي تهفيّ بطرف
ثوبها على النار وتغني
" يمطر سياله ولتزلك الخياله ..
وتصير الحنطه أ باره !
وتتمتلي الابياره " *

- قولوا خير ..خير خير .. ان شاء الله خير ..
- لماذا تقولين خير يا جدتي ..؟
- لان المطر ياتي بالخير فتشرب الارض العطشانه ويطلع
الزرع وتتوالد الاغنام يطلع "الكصيل" * وفي مثل هذا الوقت
يذبح العرب والاكراد "الطليان" * لوجه الله تعالى .
- ومن هو أبو المطر يا جدتي ؟
- الله ..
- والرعد يا جدتي ؟
- الله .. يا نعمان !
- ولماذا ترعد أسماء يا جدتي ؟
- هي ترعد عندما تسوق الملائكة الغيم فيصطدم بالغيومات
الاخرى كما تتصادم " الفاركونات" فيحدث الرعد
و ينزل المطر فتشرب الارض والزررع وفي الجزيرة يخرج
العربان للبر فيحتاطون الاغنام ويطلقون الكلاب لحمايتها من
هجمات الذئاب
- وكيف يحتاطون الغنم يا جدتي !.
- يدخلونها تحت سقائف من "البواري والحصران" *
- ولماذا تطلع الذئاب تحت المطر الا تتبلل ؟
- لانها تجوع يا نعمان فتخرج تحت المطر للبحث عن
فريستها وقد خلقها الله غير ما خلق الغنم فليس لها صوف يتبلل
- وفريستها يا جدتي ؟
- هي تهاجم الاغنام واذا رات " طلي" ضعيف أو نعجه
مريضه" تعضه من رقبتة عضه خفيفه وتضربه بذيلها فيركض
معها من الخوف فاذا ما ابتعدت عنها الكلاب و صارت بعيده
نسفته على ظهرها وذهبت به الى مغاراتها لتأكله مع صغارها ..
- والكلاب يا جدتي ؟
- تنبح عليها وتتهارش معها ولكن الذئاب حذره يانعمان
- تعرف متى تهاجم الاغنام ..
- "توقف الرعد قليلا فراحت جدتي تكسر الجوز بيد" الهاون"
وتضع بعض الجوزات في" المنقله" ..

- وهذه الجوزات لي لان اسناني ليست قوية مثل اسنانكم " فليستوا وكلوا " الجوز و " الاشرسي "

- " بيا خواردم " !

بدا " حمه " الاكل متسائلا " خورما .. كويز " ؟

" به لي "

" عاد الرعد قويا يهز البيت فارتفع دعاء جدتي . يا مغيث ..يا

رحمان .. الواحد الاحد .. "

- و " السعالو " يا جدتي هل تطلع بالمطر .. أنت تقولين ان

الجزيره مليئه بها..!!

" مالت جدتي.. الى " المنقله " واشعلت سجاتها

- كانت يانعمان ..!!

- واليوم ؟

" لم تبق " السعالو " فعندما " طب الاتكريز " أرضنا ومعهم "

اطوابهم وسياراتهم وقطاراتهم " انداست الكاع " * فخافت

السعالو من صوت " الدان " وانهزمت للبحور السبعه , اما

السعالو الضعيفة فقد أختفت في شعاب الجبال وماتت من الجوع .

عندما رأني جدتي وحمه خائفين .. مدت يدها ألى جيب

ثوبها الطويل واخرجت كمية من . " الملابس " نثرته امامنا . "

قلت لجدتي وقد ارتفع صوت الرعد ..

- كان أبي كلما قرفعت السماء * يقرأ لامي القران فهي

تخاف من " الكرايع " !! فلماذا لا تقرأين لنا القران؟

تركت جدتي " السبحة " * من يدها واشعلت سجاتها

من " المنقله " .

- انا لا اعرف القراءة يا نعمان ؟

- ولماذا لا تتعلمين .. اتريدين ان اعلمك ؟ أنا أعرف

صورة " الاخلاص والحمد .. و .. لماذا لم تذهبي للمدرسة ؟

- لم تكن في الجزيرة مكاتب يا نعمان لان " العربان "

كل يوم في مكان !

- ولماذا لا يبقون مثلنا في قره تو . ؟

- لأنهم يمشون بحثًا عن الماء فإذا لقوا مكانا أمنا
نصبوا خيامهم وحوّطوا اغنامهم ونشروا الكلاب لتحرسها من
الذئاب .

- كان عليك أن تقولي لهم أن يجيئوا ألى قره تو فالاراضي
كثيره وفارغه وفيها انهار كبيره !!
سعلت جدتي ..

- الحكومه تريدهم ان يعيشوا هناك لانهم فقراء
ولايملكون الارض وليس عندهم فلوس حتى يبنون بيوتا مثلنا ؟
- وماذا يشتغلون ياجدتي ؟
- يبيعون اللبن والجبن ويربون الاغنام .
- ومن اين أشرت الحكومه الاراضي ياجدتي ؟
" تنهدت جدتي فازداد قصف السماء وازداد المطر .."
- والان أسكت يانعمان فقد تضايق حمه لاننا نحكي بالعربي
- ولكنني ساحكي له بالكردي ؟
" رفعت جدتي جمره واشعلت سجارة اخرى وعادت تغني ..

" يمطر بديه بديه !
والزرع عطشان ؟
و يريد له .. سكيه .؟

سألنتي "ناردين" هل رايت "مأم شمدين" شمدين ليس
عنده دكان مثل دكان "داود دهري" ودكانه على ظهر
"الحمار"

- شلون شلون.. قالت جدتي..؟

- هو يضع "سابل" من الخشب فوق "الزمال"

فيه "خانات" يضع فيها "السسميه والزبيب والحامض حلو
والقزوان..!"

وعندما ينفخ "مأم شمدين" في البوق الصغير ياجدتي,
يتراكم الاولاد وراءه و يصيحون "مأم شمدين" الا انهم
لايشترون شيئا.. انا و"ناردين" من يشتري منه! وما ان يراني
وانا اركض مع الاولاد حتى يتوقف ويبتسم..
"نومان.. وه ي سلوات جوني جاكى" *

ويغرف لي بكفه "الحمص والزبيب" ويقع بعضها على الارض
فيهمج الاولاد.. يلتقطونه التراب ويضعونه في حلوهم ومأم
شمدين يصيح بهم كوره لا..!

- جدتي لماذا لايشترى الاكراذ مثلي؟

- لانهم فقراء ياابني!

- ولماذا هم فقراء؟

- عجيب.. لان الله خلقهم هكذا..!!

- ومتى يعطيهم الله الفلوس ليشترى مثلي؟

- عندما يعملون ويشقون؟

- ولكنني لا اعمل ولا اشقى!

"هوه.. متى تكف عن هذا.. هل وصل شمدين؟"

- هو ليس في "قره تو" وتقول "ناردين" مأم شمدين يصل من

ايران مرتين بالسنة..!

همهمت جدتي واشعلت سجارتها...

- طيب.. لم لا تنتظره؟

- جدتي..؟ وتقول ناردين متعجبه.. هل عندكم دكاكين تبيع

"حامض حلو" في "يا قوبا" ناردين.. تسمى بعقوبه" يا قوبا..!"

- هي لا تعرف لساننا..!

- ومتى يفتحون في " قره تو " الدكاكين ؟
- قلت لك.. اهل " قره تو " فقراء لم يشبعوا من الخبز فكيف
بالملبس ؟ او " تاليهه وياك " ..
"نعمان ..ضم فلوسك للعيد حتى تشتري وتركب " الزمايل
والعرباين"

22

- لم لا تنام يا نعمان ؟
- اتفرج على النجوم !
- تتفرج على النجوم ؟
" ارتفعت اصوات الديكه ومن بعيد سهلت بعض الخيول "
- جدتي ..لماذا تخر النجوم ؟
" تمتت جدتي ضجره وبعينها الملحاوين نظرت الى السماء
والقت بمسبحتها على المخده"
- الله يرسلها على الشياطين ؟
- ولماذا يرسلها الله ؟
- لانهم يريدون الصعود الى السماء ؟
- وكيف يصعدون ؟
- يقف اكبر الشياطين على رجليه فيصعد الشيطان
الآخر على كتفه ويستمرروا بالصعود .. للوصول الى السماء ,
ولكن الله سبحانه و تعالى.. يصب عليهم نار جهنم فيحرقهم !!
- وكيف لا يقعون ؟
- " هوبي " يفعل مثلهم كل ليله عندما يدخل بستان "
حجي ظاهر " !
" التقطت جدتي مسبحتها وفركتها بين اصابعها "
- وماذا يفعل هوبي يا نعمان ؟

- يقعد هوبي على الارض فيصعد " كرومي " على كتفه ويحاول "ابراهيم "الصعود على كتف كرومي ولكنهم يتمايلون ويقعون على الأرض .
- ولماذا كنتم تصعدون يا نعمان ؟!
- هوبي.. قال لنا.. أن "حجي ظاهر". "مغلواني " ولا يعطينا " الزعرور " ويبيعه في "الوكفه".." ليش " ما ناخذ أزرعور "ابلاش " قبل ان يبيعه .
- عال !
- ومتى تفعلون هذا ؟!
- في " القمرية" و في الليالي التي يغيب فيها القمر يصعد " هوبي" على عمود الفانوس ويطفئه حتى تصبح "القيصريه " مظلمه فلا يرانا احد ..!
- أي .. وبعد ما تصوير المحله ظلمة انشوف أزرعور الاحمر والقهواني " متد ندل " يتشلبه " هوبي على "الطوفه" هو والجماعه
- وماذا كنت تفعل معهم عندما تشاركهم سرقة الزعرور ؟
- لا.. جدتي " الزعرور" .. مو بوك" !
- " شنو بس " ؟
- أي .. مو .. "هوبي" قال لنا.. " والزعرور احسن ما يروح تحت الرجلين .. خلينا ناكله.." تره هو مو حرام " !!
- " زين وشلون من تصعد وياهم " ؟
- أول مره .. قال لي هوبي .. نعمان .. "بس تعال وياته.. اتفرّج " تدرين ليش.. حتى اذا وصل " الجرخيه " * وعرفوا بانك ابن مدير الشرطه راح يخلونه بكيفنه " !!
- و ألمرات الأخرى ؟
- " ها .. نسيت ... أي .. ونزعت " ألقنдре " واصبحت حافيا مثلهم والارض بارده وحلوه ..!
- دست على ظهر " هوبي وتعلقت بكرومي وحاولت الوقوف على ظهره وانا اتوكا عالطوفه " كانت رائحة الزعرور .. أوخ .. حلوه..

وما ان بدعات " اخرط " الزعرور حتى تمايل الفرع وتمايلت
فوقعت على الارض ولكنني لم اتأذى !!

هم هم ..

- هل نحن يا جدتي من الشياطين ؟

- أنتم شياطين.. لا لا أستغفر الله , من يقول هذا ؟

- أذا .. لماذا يخاف الله الشياطين ؟

- استغفر الله ..

- ان الله لا يخاف احدا لانه خالق كل شيء و حتى انت نعمان.

- ولماذا لا يترك الله الشياطين يصعدون السماء ؟

- لان السماء مكان لا يسكنه الا الملائكة والصالحين .

- ومن هم الصالحون يا جدتي ؟

- الذين لا يسرقون الزعرور .

"تنهدت جدتي ناظرة الى السماء قسعتها تقرا بعض الايات

والادعية .. ومن بعيد خفتت "نيران هورن شيخان " فعادت جدتي

تتمتم وتضع الشرشف على جسدي ..."

- قلت لك .. الصباح قريب يانعمان والديكه ملات الارض

بالصباح. فاهجع , وعند الصباح راح أعلمك كيف تسرق أزرعور

مره أخرى !!

" رايت نجمه تخر مسرعه وتجر وراءها ذيلا طويلا من النار ."

" جدتي .. جدتي .. لقد رجع الشياطين يصعدون السماء .."

كيف تقولين لي ان الله احرقهم ؟

" القت جدتي مسبحتها على المخده وبدا التعب على وجهها

وتهامس صوتها .. استغفر الله ."

23

" خلا طريق " هورين شيخان " النازل من الجبل من "

لوريات الفحم " ومن الحمير وباعه الحطب والاشباب ..

- واين شمدين ..؟

- الم تسمع البوق !!
 - " راستا .."
 - مام شمدين ينفخ فيه دائما !
 " لم يكن في الطريق المترب والاحجار المتناثر فووقه غير " لفه " من الاشواك , تتقلب قادمه من الجبل , توقفت وعاودت الدوران , فحاول "حمه" ان يدوس عليها الا ان ناردين صاحت خانفه " نه ي " !!
 توقف حمه وتراجع مبتعدا وقد اصفر لونه ..
 - " بو "
 - " شيتانا " !!
 " توقفت لفة الاشواك عن الحركة فصرخت ناردين ..
 - هي تسمعنا الان .. انا خانفه ..
 "استدار حمه والخوف يملا وجهه , فركضت ناردين وركضت وراها , فصلح حصان غريب وثب في وجوهنا ورفع اقدامه في الهواء ..
 - "خدا " !!
 "وقفنا على سن صخري سد الطريق فسمعنا صوتا غريبا
 - " وي .. ارولا .. رولا " .
 راينا "شرطيا" افترش التراب قاعدا يصلي وقد وضع سدارته على راسه بالعرض !!
 - "توش .. خلقي كويه " *
 لهث حمه من الخوف مشيرا لي ...
 "نه مه .. كوري مركزي مامور" *
 - "به لي كورم جي ده ويه" ؟
 قلت وانا اغالب البكاء ..
 - مام شمدين !
 - " شمدين ليره يا " !!
 ما ان سمعت " ناردين " كلمات الشرطي حتى صرخت بنا
 " اراكا .. نمه شيتانا " *

ركضنا عندما راينا لفة الشوك تدور حول الحصان والحصان
يرفس الهواء ويصهل صهيلا عاليا !

24

كنا قاعدون على شاطي النهر وكاكالي يغسل ظهر
حصان " احمد دولت " بالماء ويربت على ظهره عندما سمعت
الاجراس الصغيرة تدق دقات متقطعة فقد رجعت الاغنام
والسخول من مراعيها وراحت تخوض بالماء وتشرب الماء
والكلاب تتراخض حولها
قالت جدتي ..

- هل صحيح يا كاكالي.. ان الذئب حاصرتك مره وكادت

ان تاكلك ..؟

- "به لي خانم " ..

" كنت اريد الوصول الى " شاهو تبه " عندما امطرت
السماء مطرا كثيرا جعلت مسيرتي صعبة لان وديان الجبال صارت
سيولا جارفه وقد اقبل الليل فشعرت بالخوف ولم يكن معي الا "
جاقو " وبينما كنت ابحث عن مكان احتمى به , سمعت عواء ذئب
جانع نشف الدم في عروقي فا سرعت لاهث الانفاس وزاد من
خوفي.. معرفتي بان الذئب شم رائحتي "كركا " ما ان يرى
الانسان وحيدا حتى يهجم عليه فتلفت و رأيت الذئب يسد علي "
ريكا ". وليس عندي من وقت الا الوصول الى كهوف رايتها على
بعد خطوات مني فرحت اصعد منحدر الجبل وقد تجرحت يدي
ورجلي وكانت هناك مغارة , دخلتها , فشعرت بشيء من الامان .
وعندما تمكنت من تحريك بعض الصخور سدت بها باب
المغاره ... وما كدت افعل ذلك حتى عوى الذئب عواء مخيفا
وهجم يريد الدخول ورائي وظل يزمجر وقد منعته الصخور من
الوصول لي وراح يحفر بين شقوق المغرة وقلبي يدق من الخوف

وفي الظلام وقد تعودت عيوتي عليه فرايت كفه ومخالبه الحادة
تدخل ولم تكن عندي كما قلت الا "السكينة" التي لا تقتل الذئب الا
انني تلك الايام كنت شابا قويا فامسكت بالسكينة وطعنت بها
كفه , وما كاد الذئب يشعر بالطعنة القوية التي دخلت ظهر كفه
وخرجت من راحة يده حتى عوى عواءا مخيفا وحاول سحب يده
من المغارة الا ان السكين التي ابقيتها في كفه منعتة . فعاد يعوي
من الالم ولم يمض الا بعض الوقت حتى سمعت قطيعا من الذئاب
يقترّب من المغارة , فالذئاب عندما تركض فكانها قطع من
الخيول تضب الارض بحوافرها فازداد الهرج والعواء بين الذئاب ,
كنت ارى عيونها مثل " كلوب " السيارات
ومر الوقت بطيئا قاتلا.. ولم يبق عندي من سلاح ارد به على
الذئاب , وقضيت الوقت احاول ان اسد الشقوق بالحجار ! واستمر
الليل طويلا لا يتحرك وما دام الليل موجودا فان الذئاب الجائعة
التي اثارها رائحتي ستستمر بالحفر بلا تعب لتاكلني فجأة ..
سمعت اصوات العصافير فامتلات روعي بالفرح لان الذئاب لن
تبقى وشروق الشمس !!

انتظرت قليلا وقد هدءا كل ما حولي وأزحت حجاره المغاره
وزخفت على بطني مثلما دخلت غير مصدق انني حي فرايت الذئب
يتلوى وينن فحملت حجرا كبيرا القيته على راسه وانتظرت حتى
مات

استرجمت السكينة الذي انقذت حياتي من كفه وقلعت عينيه
بعد ان لففتها بخرقه لان " عين الذئب اليسرى اذا وضعها الانسان
تحت مخدته لا ينام الليل !!

كنت مجهدا وقد قضيت الليل بطوله بلا نوم ولا تدخين
فغسلت وجهي وشربت من ماء المطر وتمددت بعد ان اشعلت
اول "جكارة" وسرعان ما شعرت بالخدر فنمت .
عندما وصلت بيتي جفلت " منور" حين رات شعري
الاسود وقد اصبح بلون الثلج وقد عودتني تلك التجربة يا ام
المأمور ان لا اسافر وحدي دون سلاح او رفيق !!

جاء الثلج وبدا ينزل مثل الريش على الارض وفوق
السطوح ولم اعد ارى الجبال ولا الاشجار وخلا الطريق .. كانت
قره تو بيضاء والارض بيضاء وقد ازداد البرد فاغلقت جدتي
الباب واشعل كاكالي النار في " المنقله " ومن هنا وهناك كانت
تتصاعد اصوات لاتشبه اصوات الكلاب
كاكالي.. ماهذه الاصوات ؟

- " ريوي !"

" أنا حتى الان لم ار ثعلبا ولكن " نعمت " جاء ني بجلده الكثيف
الفرو . فقد اصطاده في الجبل . " !
" توسلت من جدتي ان أربي ثعلبا صغيرا لالعب معه الا ان
" كاكالي " لم يوافق قانلا ..

ان الثعلب لن يترك دجاجة ولا ديك او قلمون الا واكله
وحتى الدجاجة التي تقف على حائط عال لا يستطيع الثعلب
صعوده .. لا تتخلص من شره حين يلجأ الثعلب الى حيلة معروفة ,
فيقف تحت الحائط ويطلق باسنانه ما ان تسمعها الدجاجة حتى
تلقى بنفسها اليه .

" اصفر لون السماء وصارت مثل " الكركم "

" تعودت جدتي كلما اقترب الليل على منعني من الخروج الى
الطريق لان " الجن والعماريت " تأخذ وقت الغروب شكل " شحاذ
فقيرا وعزة ضائعة أو " حمار " تانه فلا تكاد ان تركبه حتى يطير
بك الى مغارة فينزعه جلده ويرجع الى صورته الاولى " أفه " .
بقرونه وانيا به وشعره الكثيف الاسود فيتعشى بك .

ظلت حكايات جدتي تثير عندي الرعب فا صرخ فلا اخرج من البيت
كما استمرت الرياح تعوي واستمر صوت " العليشيش " *
يردد. وقد " أنفش " ريشه وصار مثل " الدعجج " *

" للو لو.. للو لو.. "

فجأة سكت "القلمون" وسكتت الدجاجات . !

- كاكالي لماذا سكت الدجاج ؟

" من الشباك ارتفع صوت جدتي "

- لم لا تترك الرجل يشتغل, ماذا تريد منه ؟

- قلت له.. ان الدجاج ساكتا يا جدتي .

- أي .. و تريد الدجاج مثلك " ملغوث" لا ينام ولا يهجع..

يلله تعال ادخل فالبرد شديد ..

كاكا ..؟

" اياله هوموسونيكى دالي كه رام " !

"جفل كاكالي عندما كلمته بالكرديه" وقلت ضاحكا .

" ريوي "....

"طقطقت قطع "الجينكو" التي يغطي كاكالي بها قفص الدجاج

حين بدا الثلج بالنزول .."

- " ما موستا بابير" قال لنا.. اذا سكت الدجاج والقلمون

في الليل فلا بد من وجود شيء خافت منه دخول

"ريوي. او كلب ..

صاحت جدتي بغضب ..

- " ولك .. شنو.. بيبي متو" ليش متخلي الرجال بحاله..

يا ناس .. هذا الولد راح "يخبطني" !!

تركني كاكالي وحمل الفانوس وراح يدور في الحديقة ويخض

الابواب .

ارتفع صياح الديكة فنهضت من فراشي مذعورا على صراخ "

اجه خان"

" ريوي .. ريوي " !

رأيت " كاكالي " يركض فلحقته وعند قفص الدجاج كانت
 "خمس من دجاجاتنا ممدده وسط اكوام الريش والدم والتلج !"
 " ريوي .. ريوي . "
 التفت كاكالي وكان يتنفس بصوت متقطع عندما رأينا "حمه"
 واقفا وسط الحديقه يعد دجاجاتنا مرتبكا !!
 " شش مريشك .. نه وه .. يه ك .. سيه " .
 " لقد خنق الثعلب دجاجات " "اجه خان" وقفز الى بيتنا فخنق
 " خمس دجاجات و"قلمون"* واحد " بعد ان اكل دجاجتين ..
 - والله لن يبقى في البيت .. هو الذي جاء بالثعلب !!
 - والله .. يا جدتي !
 - سيموت " سالم " من القهر.. قلت له .. لاترك باب الخشب
 مفتوحا فتركه مفتوح فدخل " الواوي"!! ولولوت جدتي
 صائحة بوجهي ...
 " لهننا وبس أتحمّل مصاييك روح ارجع لاهلك * "

27

- لم لاتشعلين " البعور " يا جدتي ..
 اش .. اش .. من علمك هذا .. !
 - " كلاويز " تشعل به " المنقله " و"تخدر الشاي" !
 - "أكو عندك غير علوم"الفكر" *
 " شوف " ابني .. الفقراء وحدهم من يشعل البعور لانهم
 لايعرفون النفط وعيب يا نعمان و خالك بالوجود ! و"ايصير
 "بيت المامور يشعلون بعور

" هه ... هه.. من هذا أقول .. " ليش " كل ما تهمد النار رجعت
تشتعل لان حضرتك تغافلني و" أ تذب بعروور ويا الفحم , ولك مو
الجاي بعد مينشرب " ..
حلت جدتي صرة واخذت حبة بخور " اقت بها الى " المنقلة "
فارتفعت رائحة البخور " .

28

القت علي جدتي رزومه من " الزباين " الفارغه امامي
وكومت " التتن " في " صينية الصفر " .
- و" هسه " املاً الزباين ونظفها من " العودان " اليابسه لان
" جكايري " خلصت وخالك راح يرجع بعد " شويه "
- " العودان " كثيره يا جدتي, لم لا يساعدي حمه .
- حمه .. مشغول بنفض " البسط " ..
- وناردين ؟
همم ..
- اذا جاءت الينا ..
" اتشو .. اتشو "
- قلت .. خلي وصلة قماش مبلة على وجهك ولا تبحت عن
حجج تنهزم " بيهه " .
" اتشو .. اتشو "
تناثر التتن ..!
- متى تتعلم .. قلت لك اعمل هكذا !
" امسكت جدتي بعشر زبانات فارغه احاطتها بطوق من
اللاستيك . " ورفعت بكفها حفنه من التتن ضغطت عليه باصابعها
ونثرته فوق الزباين ولا تنس .. دق الزباين في الصينيه ولا تبدد
التتن حتى لا يتناثر على " الزوليه " والان " شوفني شطارتك !
طوط .. طوط

"توقفت جدتي عن كنس الغرفة ونظرت لي" !

طوط .. طوط ..!

- صوت غريب ! " قره تو " هذه الايام صارت مكانا

يثير الحيره..!

- ماذا تقولين يا جدتي ؟

"لوت وجهها غاضبه ."

" ها .. خلصت الزباين "

" فككت خيط الزباين , واحد .. اثنين .. عشرة .. "

- هي كثيره يا جدتي .

- " شلون كثيره " كل قلم بي عشر زبانات فارغه .

- زين والعودان ؟

- جدتي ..!

- والان.. ماذا تريد ...؟

- خالي " عبد الرحمن " يشرب " سجانر " لوكس ملوكي " لم

لا تشربين مثله حتى اتخلص منها !

قالت ..

- هه .. " ماكو احسن من " تتن بشدر " وخالك يتمنى لو

يحصل عليه .. اين وصلت ؟

"استندت الى "الكوشه" الصلبه ووضعت الصينيه على ركبتي

وتربعت على "الزوليه "

طوط ... طوط ؟

اختلف صوت "حمه" وهو يجرب البسط ويضربها بعصا في يده

ونفتحة الدجاج والقلمون فاختلط صوت البوق ودخول حمه متلفنا

ها . " اشو مصدوع " انت اذن من كان ينفخ " الماصوله " *

- " نه ي خير " ..

- كذاب .. لماذا نزلت من السطح .؟

" عبر "الرازونه" لعل صوت "ناردين"

" شمدين هاتوا ... شمدين هاتوا "

انقلبت صنيه الزباين وتناثرالتتن على السجاده فارتفع صوت

جدتي غاضبا..

" ولك نعمان ... حمه.... راح التتن !! "

29

- اتعرفين يا ام المامور ما فعله الثعلب ؟
مر قرب كلاب " احمد دولت " فلم تتحرك من مكانها ولم
تنبج عليه !!
- الثعلب ! قالت جدتي مستنكرة ..
- ومن غير الثعلب يا ام المامور .
" برطمت جدتي "
- " شنو " ذيب " ؟ ما اصدق " واوي .. واوي " يقترب
من كلاب " احمد دولت " ولا تشققه بمخالبتها عجيب , من اين
سمعت الحكاية يا ملا . ؟
- " واوي " .. يا ام المامور ..
" مرّغ الملعون فروته بروث الخيل وظل يتمرغ في الاسطبل حتى
تشبع جسده برائحتها وهذا ما جعل الكلاب لا تنبج عليه .. آه ..
كان الله رحيمًا لانه لم يخنق كل الدجاجات كعادته مثلما فعل
بدجاجاتنا " خنق اربع دجاجات واكل الخامسة " وأنا متأكد بان
الثعلب سيرجع مرة اخرى .
- لف .. لك واحدة يا ملا ..!
" خطف الشرطي صينية " التتن " التي لم تفارق عينه
فوضعها على ركبته , لف الورقة الصغيرة .. حشى بها التتن و
برمها برؤوس اصابعه وبللها بلسانه فانتكست سدارته نازلة حتى
مفرق عينيه .. ثم دق " ملا احمد " السجارة على الصينية
وعصرها بين اصابعه ووضعها بين شواربه ثم انحنى على
المنقلة فارفع الدخان ..
تنحج الشرطي عندما لملت جدتي طرف ثوبها الطويل وراتني
قاعدا اسمع فصاحت في ضيق ..

- " ولك .. ليش قاعد هنا .. "
- " جاهل " يا ام مامور ..
- لا اريد نعمان أن يلقط الاخبار " يالله ولّ ي من وجهي "
بف .. بف ..
نفخ الملا سجارته واغمض عينيه فقالت جدتي عندما راته مستمرا
بالجلوس ..

- كنت قد سألتك عن الواوي. " بعد اشغندك " ؟

رجعت تصيح علي غاضبة .. "

- لم لا تذهب وتلعب مع ناردين؟

- طردتني " حفصه خان ".
هم م !!

قطع الشرطي السكوت ..

- هوه .. وللتغلب يا ام المامور حكاية طويلة معنا , اسالي

" ام هميله " وتلفت. " وين راحت هاي العوبه! "

" كلما ازددنا حذرا ازداد الثغلب مكررا والعجيب انه لم يخلق الا

للأذى

- استغفر الله ..

- يخنق الدجاج ولا ياكل الا واحدة فقط !

" عض الشرطي عقب سجارته ونظرالى حيث وضعت جدتي صينييه
المزين نظرة متفحصه وتابع قوله ..

- والحق مثلما تقولين يا ام سالم فهي خلقه سبحانه الله !

" رفع الشرطي راسه عندما طقطقت دجاجات "الرشث"

اجنحتها!!

شوفي قدرة الله سبحانه .. الدحاجه عدهه قرون مثل

"الطليان" ستطير يا ام سالم ان لم تقصوا اجنحتها !

هزت جدتي راسها ضجرة حين عاود الشرطي كلامه ...

- لو كان " حه سه " في "الطوله" لما استطاع الثغلب

ألدخول ألينا و يقولون في " الجاي خانه " " حه سه "

يشتغل هاي الايام عند " ملا شمدين " !

- اش .. اش .. و "النوبه" على ابن الارملة!

- أي .. والشرطه يقولون .. صار الولد يهرب من الطوله
ويقضي نهاره باللعب مع نعمان والشرطه يقولون .. "مام شمدين"
صار يشتغل بالقجغ

- اعوذ بالله يا "ملا" ..

- و" هذا الرجال شنو عنده غير حفنة "مسقول

"وزبيبات" .. يا "قجغ" !!

- أي .. بس هم يقولون " اكو" اخباريات بالمركز.

- أعوذ بالله .. " ومنو ايدز الاخباريات اكو غير الشرطه ..

- علمي علمك .. قال الشرطي بس .. اخاف ايصير المامور

مره عصبي ويذبه بالحبس"

هو .. هو .. هو ..!

" ظهر وجه "ام هميله" من وراء ظهر الشرطي مخيفا وقد

تبرقعت بعباءة جرباء ..

- بسيطه .. يا ام سالم .. "اللي عنده عشر دجاجات لا يهमे

ان ياكل الواوي اربع منها !

- ماذا تقصدين .. ؟

" تكومت ام هميله على عبائتها الجرباء المبقعه بالتراب والطين

والوحد

صاحت جدتي ..

- ولك " ادب سز " *ليش تضحك ؟

- أتركه يا ام سالم الجاهل يضحك متى يريد .؟

"عدت اضحك بصوت عال فضربتني جدتي بطرف "الماشة "

صائحة .. ما اريدك هنا .. يالله !

"ركضت فركضت ورائي " .

- ولك " شنو" يضحكك "

"امسكتني وعصرتني بين يديها , فهمست لها . "وجه ام هميله

"عباك وجه النعجه" ..

ها .. ها ..

" تضاحكت جدتي ودفقتني خارج البيت .."

عيب يا ولد !!

- الثلج في الطريق يا جدتي وساموت من البرد ..
 "مهمت جدتي ضاحكة ما الذي افعله لك .. ادخل وكن مؤدبا ؟
 رفعت جدتي صينييه التتن ودفعتها خلف ظهرها ووضعت اصبعها
 على فمها ...
 - صبيّ لك "استكان شاي " يا ام هميله .. لزميه بقوة حتى لا
 يتبده "القوري ".
 "القت الامراة ثلاثة فصوص من " القند " في الاستكان " وراحت
 تخوط الشاي بالملعقة الصغيرة بصوت جفلت منه و شفطت الامراه
 الشاي .. وراحت تتمطق ...
 - كآئك لم تشربي شاي منذ سنه !
 - " شايبك " يا ام سالم لا يشبه شايينا .. مليون " هيل " !
 "ظلت جدتي على قعدتها وقد عكّرت وجهها ترقب المراة
 فخطف الشرطي الصينييه مره اخرى وعاد يلف له سجارة فتحركت
 شفتيها الا انها لم تقل شيئا .. فانا اعرف ان جدتي لا ترتاح لمن
 يمد يده الى سجانرها "
 " مصت ام هميله كعب الاستكان وهممت بصوت مرتعش ..
 - اتعرفين ما قاله الملا .. لقد شرب عندك فنجانا من " القهوه
 المره " ولولا انه استحي من المامور لشرب " الدله " كلها ..
 قهوتك يا ام سالم حلوه بالهيل.
 "كاكا لي .. كاكا لي أساله يا نعمان اين وصنع الفنجان ...
 "رغم ان الامراة لمحت جدتي تخفي الفنجان تحت
 "الدوشك" الذي تقعد عليه الا انها ظلت تبتسم مثل النعجه فتغافل
 كاكا لي عن جدتي التي علمته ان لا يستجيب عندما تريد شيئا لا
 ترتاح له "
 - كا كا .. تريدك جدتي ان تاتي لها بالفنجانين ..
 استدار كاكالي بوجهه المدور وتنحنح يريد ان " يتفل " الا انه ادار
 وجهه متسانلا. " جي فنجانا ؟
 ثم غاب في البيت.

- هل ذهبت للنهر ؟
- اسالي الشرطه فلم اتحرك من مكاني !
- والله ؟
- والله يا جدتي !
- ومن فتح لك الباب؟ حمه .. كاكالي ! ..
دعني اشم ثيابك ..
- أي .. أي . احلف لك يا جدتي ان "خورشيد "
دفعني للنهر. !!
- فقير .. مسكين !! يتحرش بك " خورشيد " ويلقي
بك الى النهر !! والسخام الذي على انفك وثيابك "روناك" هي
من لطخت وجهك بالسخام .. مو ..؟ كاكالي .. جنني به قبل ان
يصل خاله من " الحفيظ " !*
- أي .. أي !!
- والان ساغسل جلدك الوسخ واذا بكيت سافرَج
عليك حمه والشرطه , اسرع يا كاكالا .. واملاً "الصفريه" والله
لاسلخ جلدك الوسخ من رائحة " الزمايل .." وي وي " ابن
المدير يتمرغ بالروث والفحم ..!!
" احاطني كاكالي بيديه الكبيرتين وغطّسني بالماء الحارو
قعدت جدتي فوق راسي وغاصت اظفارها في راسي وهي تفرك
شعري بصابون " الركي " الذي اكرهه .
- صب الماء يا كاكالي.. واي .. واي . شوف شلون
صار المي سخام !
- اه .. الماء حار "يصلخ" جلدي .
- بل.. انا من يصلخ جلدك .. والله لو رايتك مرة
ثانية بهذه الحاله لارجعتك الى بعقوبه. حتى يتفرج عليك " ابن
الوصخ " اللي كنت تعيب عليه وتقول يديه مثل "الكاع " ! واليوم
ابن " البيك " ياخذ الخلافة .. بعد شريد!!

" كان " وغف " الصابون والماء يغطيان وجهي وحمه من وراء الزوالي والسجاجيد ينظر لي باستغراب فلم تنتبه له جدتي حين رفعتني من "الطست" لفت جسدي بالمنشفه ...

- والان اركض وتحمى بالنار .!
"كان كاكالي قد اشعل الفحم في" المنقله" فارتفع اللهب وارتفع صوت جدتي .. حمه .. حمه .. بيا .. بيا ؟
" ما ان اقترب حمه منها حتى رشته بطاسه من الماء الحار فشهق من الخوف والحراره قائلة... "
"ما شاء الله.. " ما أدري اني أمربيه " بزازين" هه هه .. لقد أتعبنى نعمان و عليك انت بالآخر ... ياكاكا !
" بكى حمه "

- ولك انزل والا طردتك من البيت ..?
استمر صوت حمه يشهق من البكاء وكاكالي يصّر على اسنانه ..
- " بيبسه سه ك بابي ته ره س."
" ما ان رأّت جدتي حمه يقف على رجليه وسط "الطست" والماء يخر من جسمه الذي اصبح لونه بحمرة الرمان حتى صاحت به
"بيا .. بيا "
بقي حمه مترددا فعادت تصيح عليه ..
- اتريد ان تموت من البرد .. اركض وادخل الى الفراش .
"بقيت أسمع حمه " يقر " ويرتجف مثل الهر. "
ظلت اللقالق تطير فوق "قره تو" وتطير "فوق الماء وتطير فوق المركز فارشه اجنحتها البيضاء .
- نعمان " ايستانو بوكووي ده جي " * ؟
- "جو.. بوكسر شيرين" .
نظر حمه و اشار الى غابة البلوط البعيده وقد غطاها الضباب فاستمرت ناردين تنظر الى السماء ...
- وكيف تعرف بان اللقالق ذاهبه الى قصر شيرين
القي حمه عصا طويله قطعها من شجرة "القزوان" بعد ان شد بها قطعة قماش حمراء الى الارض ورفع يده الى السماء ...
- كاكالي يعرف ذلك .

- وكيف يعرف كاكالي ؟
 - يقول ان " قصر شيرين " فيه جبال ومغارات تعيش فيها اللقالق...
 - وماذا تاكل ؟
 - في الكهوف " كه هريز " كثيره مليئه بالسمك , وفي الربيع تعود اللقالق الى " قره تبه " ام اللكالك "
 - انا رايت قره تبه , هي في طريق " خانقين " !
 هه هه .. قالت نردين ..
 - ان كانت اللقالق تطير الى " قره تبه " في الصيف فلماذا تنزل في " قره تو " ..
 - هي لقالق تائهه لم تطرمع " البادي شاه " فبنت اعشاشها فوق الحمامات ومخافر الشرطه وعندما يرجع " البادي شاه " ترجع معه .
 - وكيف تعرف اللقالق الملك وكلها بيضاء ؟
 - تعرفه من الحراس !
 قلت ..
 - " راستا " فالملك عندما وصل بعقوبه كانت معه سيارات كثيره وحراس ومدافع وطيارات ..
 - واين يعيش الملك ؟
 - يعيش في قصور من البلور والدر والياقوت .. أي
 والملك لا ياكل الا في " خاشوكه " من الذهب !

31

القت جدتي بالشرشف عليّ فا لقيته متضايقا فعادت تلقيه
 على جسدي فرفسته هانجا ..
 - أنا أموت من الحر !

- ولكنك ستصاب بالبرد فقد راح الصيف " نظرت جدتي الى السماء التي امتلأت بالنجوم ونفخت سجارتها "

- دثر نفسك يا نعمان فأنا اخاف عليك من " طلعة الثريا "

- ومن هي " ثريا " ؟

" غمغمت جدتي ناظرة الى النجوم .. "

- أثيريا.. أم أكلت " العكرب " اولادها السبعة " " وعندما رات الثريا ما حل باولادها ولولت وبكت ودعت من الله لمعاقبة العكرب عقاب " ماكو " مثله فاستجاب الله لدعائها و"نرخ " العكرب، وخلها متجيب مثل الحيوانات ولا تفرخ مثل الطيور.. بس الله خلّه ولدهه يكبرون في بطن أمهم ولا يلقون طريقا للطلعه فيروحون يأكلون بطنها فتموت العكرب من العذاب والقهر !!

وحتى يخفف الله من مصيبة الثريا رفعها الى السماء وجعلها نجمة تطلع مره واحده بالسنة ومن تطلع الثريا وتشوف الخلق في الارض فرحانين تتذكر اولادها فتصرخ متحسرة عليهم .. صرخة تصيب كل من يسمعها بحروق وكدمات في جسمه حتى يشعر كل واحد منهم بلوعة الأم ..

" قطعت جدتي حكايتها قائلة..

- و" أنت مو شفت أيد حمه شلون " محروكه " تره الثريا هي اللي حركتها .

- لا يا جدتي.. " الثريا.. لم تحرق يد حمه، لا " مي " السماور الفاير هو الذي حرقها " ؟

- و تكذبني ولا تصدقني !

" كانت هناك سبع نجوم في السماء عندما رفعت جدتي يدها الى السماء.. "

- شوف .. " بنات نعش " وشوف جوه ذيلها شكو، نجمة زغيره متنشاف بالعين وانت لو شفت " سهيل " ماراح تلدغك بعد العكرب "

" في سكون سمعت جدتي تبكي وتنوح " .

" اغفر لي يا ابني لقد نسيتك "

بو بو .. بو

اجفلتني.. اصوات طلقات جاءت من النهر فانقلبت جدتي
في فراشها وقعدت على طرف ألسرير ناظرة رالى الظلام ثم
استدارت الى حيث امتدد قريب منها ..

- جدتي !

- لا تخف يا نعمان .. هذا عرس في القرية!

" قبل ان تكمل كلماتها تصاعدت صرخات نساء تبعها نباح كلاب
وصهيل خيول وصوت طلقات !"

- لعنة الله عليهم فهم لا يهجعون حتى في الليل !..

اقتربت جدتي من فراشي ووضعت يدها على وجهي .. " اش "
خالك نائم ولا اريده ان يسمع ..

" كان الظلام كثيفا وشخير خالي وكاكالي يملأن السطح .. "

- لا .. لا تتحرك !..

كان اكثرما يخيفها ويخيفني " الجرار " فلا اكاد أهم بوضع
رجلي في النعال حتى يركض كاكالي بالفانوس ومعه عصا غليظه
يقلب بها النعال وجدتي مستمرة بالدعاء " يا ساتر.. ! انظر
قليلا

" جفلت اللقالق سمعتها تدور في عشنا "

لبست جدتي نعلها ومشيت على السطح تجر نفسها جرا وتخفي
سجارتها وراء ظهرها , ثم وقفت تنظر الى الظلام الذي غطي
النهر وعادت راجعة الى فراش " كاكالي " فرفته بطرف نعالها ..
" كاكا كاك "

انتفض كاكالي من نومه فزعا عندما راي جدتي واقفة
عند راسه فلمم فراشه وادخل فيه " الجاجيم الاحمر " الذي يتغطي
به ولف قطعه اللباد التي كان ينام عليها وربطها بحبل طويل بعد
ان وضع فوقها كومة من الاحجار ثم القى به قرب الحائط ثم

اسرع كاكالي في مشيه على السطح حائر أذ لم يعرف ماذا يفعل
وقد امتلا الجو بالصراخ وصهيل الخيول فأشارت جدتي بسجارتها
الى مركز الشرطه قائلة ..

- اسرع واسأل الشرطه عما يقع في القرية ..

قال كاكالي .. بوليس !

ردد كاكالي الكلمه مرتعب و جدتي تقول لنفسها وهي
تشير الى المركز.. كيف افهمه روح .. بجو . اركض فهورل
كاكالي باتجاه حائط المركز وقد وضع الفانوس باتجاه بوابه
المركز الكبيره وبلهجة كردية متقطعه صاح بصوت خشن ...
- " كاكا ساليح .. كوره نه مه جيا"؟

- كيه وا ؟ صاح رجل من اسفل الحائط ..

- كاكالي ..!

- به لي !

- ماذا يقولان ؟ " اسكت انت .. خالك نائم "

- " شه ر .. قه له بالغا .. "

- " عركه " ! ياجدتي ..

- أسكت .. " خلينه نفتهم "

- جدتي .. اريد ان اتبول.

- اش .. أبهذه الساعه .. انتظر قليلا .

ظل ضوء ألفانوس يشع على وجه كاكالي ولحيته فسمعت
اللقاق تططق بأجنحتها ومناقيرها خانفة ..

- .. ها .. ها .. جدتي لقد " ذرق " اللقلق على راس
كاكالي؟

اش اش ..

- العالم مقلوب وانت تضحك اسكت والا حسست خالك ..

- ساتبول على نفسي !

- اعوذ بالله .. يا ابني انتظر!

" اضاء الفانوس شجرة البلوط فسمعت و"كوكه" القلمون ومن
بعيد تصاعدت نيران " هورن شيخان " الزرقاء فاردت الركض
على السطح لارى ما يقع في القرية .."

ارتفع صوت جدتي ..

- ولك "حيال" كل مره وانت تبحث لك عن حيله حتى

تطارد على السطح.. أرجع .. والا ..!!

"هي تخيفني دائما عندما تشير الى خالي الذي يقعد دائما من النوم مقلوب الخلقه ليتعارك مع نفسه فأذا لم يضربني هدد كاكالي اروه ..!

- خذ هذا الشيطان ليتبول اسرع و لا تتبول قرب الحائط

"أخافتي الاصوات القادمة من القرية والصراخ والطلقات

والعياط ونباح الكلاب فتراجعت خائفا ورفعت طرف "الدشداشه" بيدي اليمنى محاولا النظر الى النهر فشعرت باشياء لم ارها تتحرك تحت الظلام فارتعشت من الخوف ,لقد اخافني الليل وصوت الطلقات فاحتبس البول...

- ما اقدر !

- هم بعيدون عنك.. استعجل.

"جرتني جدتي بقوه.." ولك ما تسمع .. أخاف تصيبك

"فشكه " " تايهه بهذا الليل ؟

" من الظلام .. جلجل صوت خشن شق الليل .. أجفلي .. فتناثر البول على ثيابي "

- أي ... " صاحت جدتي " لعنة الله على الساعه التي جنت

بها , ولد ملغوث لا يهجع ولا يركد ..

- افندي !!

- "علي سورجي" , "عصمان ملا سعيد" كشتوا !!

" تردد الصوت عاليا فقد حسب افراد الشرطه ان خالي كان قاعدا

- افندي .. داكي مامور .. خانم ؟ "

"حاول كاكالي الاشارة بيده وفمه بان المركز يطلب خالي

فتملصت من يدها وركضت حافيا باتجاه الحائط الذي يفصلنا عن النهر غير انني لم ار غير الظلام ولكن لعة الصوت نبهتني الى ان احد افراد الشرطه هو الذي كان يصيح من الاسفل .."

قالت جدتي بصوت مضطرب ..

- قل لهم ان المامور نائم ..!

" غمغت بصوت حزين " المسكين لم ينم الا منذ وقت قصير ,
اسالهم يا كاكالي.. ماذا يريدون ؟ " الا ان الصوت القادم من
بوابة المركز تصاعد اكثر ."

- افندي .. "عصمان" كشتوا!

- وماذا يريد عص

- جدتي .. عصمان هو المقتول !

- اش .. اش .. لعنة الله عليك ... لماذا لم تذهب الى فراشك..

يارحيم. من هو عصمان ؟

"سعلت جدتي والقت بسجارتها قرب فراشي. "

- جدتي ... الشرطه يريدون خالي !

- اش .اش .. ومن اين تعرف انت ؟

- المركز .. يقول يا جدتي .؟

- استغفر الله ..!

"تقدمت جدتي مرتيكة من فراش خالي ورفعت طرف "

الكله " باصابعها فالقى الفانوسعلى الفراش ضوء منعني من

رؤيته "

سالم .. ابني سالم ..!

"كانت جدتي تتوسل في صوتها.. خائفه ان توقظه من نومه"

- سالم " الحفيظ " يسال عنك .. ماذا اقول لهم ...

غمغم خالي وانقلب على جنبه بصوت من يعاني النعاس!!

- ماذا يريد اولاد الكلب .. قولي لهم ان يراجعوا في الصباح ..

لم لا يتركونني ارتاح ساعه واحده .

ظلت جدتي واقفه بلا حراك وتحت ضوء الفانوس رجعت تتحني

على الفراش وقد تحذب ظهرها!

- أبني سالم .. لقد قتلوا رجلا في " أجزيه " الخلق

والاكراد يملأون الحفيظ .

"أرتفع طرف " الكله " وظهر صدر خالي مليئا بالشعر فأسرعت

اتغطى بالشرشف وخالي قاعد على فراشه يسب ويشتم ولم

يتحرك من مكانه او ينظر حوله , الا انه مد رجله خارج "الكله"

"اولاد الكلب هم لا يعرفون الليل من النهار, "طلايب" دائما
طلايب.. قتل وسرقات !
انتظرتة جدتي واقفة قرب رجليه فرخص كاكالي يحمل "اللكن
والابريق."

- افندي .. " احمد دولت " بيه اليتوا " ..!

- احمد دولت !!

زمجر خالي رافعا قامته. أحمد .. يطلبني ولا تقولين لي , وانت يا
ابن الكلب لماذا لم تقعدني .

طاخ ..!

" أجفني صوت "أراشدي" على خد كاكالي.. "

" دائما ما يفعل خالي ذلك مع كاكالي وتعود جدتي تتحجب

له بصوت متوسل, هو أخوك الكبير ولن يفعل ذلك مرة أخرى , الا

ان خالي كان يكرر الضرب وتكرر كلمات جدتي "

"مسح خالي جبهته بيده ورفع شعره المتناثر."

- تعرفين ان نومي ثقيلاً فلماذا لم توقظيني.. وتعرفين ان

احمد دولت .. يعرف لا لا !

- ولكنك لم تتم الا منذ قليل ..

- قلت لك أن الوضع خطيراً ولو كان "القائمقام" فهل

تقولين له أن المامور نانما ..

"ركض كاكالي يحمل"ألكنو والابريق" وبدء يصب

الماء على يديه فتمضمض وتفل في اللكن وراح يبحث برجليه في

الهواء فالقى كاكالي الابريق الى الارض ولقط النعل بيده وانحنى

خائفا ..!"

33

"من بوابة المركز رجع الصوت قويا تردد وسط الظلام ."

- افندي .. علي سورجي عصمان سعيد كشتوا .

هم هم !!

- "معصوم اغا" والمختار وجماعته ينتظرون
سعادتك منذ ساعه

- و"علي سورجي" .. قال خالي ..؟

- سعد الى الجبل فارسلنا وراءه الشرطي الاول
"على بايز" مع الشرطه..

- لا يفيد هذا.. هو انهزم للشيخ محمود ..

- السجل حاضر سيدي المامور !

- والمجني عليه ؟

"سوينا" الكشف ومكان الجريمة وسيصلكم بعد قليل ..

سيدي ؟

"استمر حوار خالي واحمد دولت بين المركز والسطح ولم

اعد اسمع غير سهيل الخيول فضاء كاكالي مدخل الدرج النازل
الى البيت

- قل لهم يا احمد.. ان ينتظروني حتى ألبس هدومي.

"من اسفل البيت أرتفع صوت جدتي .."

" ما تروح حتى تاكل " لكمه " قل لهم يا كاكالي ان ينتظروا

واسرع أنت بجمع البيض ."

" يتحمل خالي كل شي الا الجوع ففي الصباح تعد له جدتي افطارا
من البيض واللحم المشوي والجبن, و لم اره يوما خرج من البيت
دون ان يملأ بطنه..!

تابع خالي النزول بجسده الضخم والسطح يهتز .

"خلا أسطح !! وما كدت اسمع طقطقه الصحون من اسفل

البيت وصوت "البريمس" يشتغل حتى قفزت من فراشي راكضا

باتجاه كومه اللباد التي كان كاكالي ينام عليها وحاولت الصعود

عليها للوصول الى الحائط , الا انني تأرجحت في مكاني وشعرت

بالخوف لو سعدت جدتي الى السطح ولكنني شعرت بالارتياح

حين سمعت صوت وقوقة الدجاج عرفت بان كاكالي مستمرا

بجمع البيض

دفعت كومه الفراش الى الحائط وبحثت عن احجار أعتادت جدتي ان تسند بها حبال الغسيل فدست بقدمي على اللباد الخشن فتمايلت وحاولت التعلق بحبل الغسيل والالتصاق بالحائط ورجعت "ادهرب" الاحجار التي يصنعها كاكالي على فراشه لاسند الفراش.. ملقيا نعلي الى السطح وتماسكت بالحائط حتى اذا ما رفعت راسي باتجاه المركز سمعت بوابه المخفر الحديدية تفتح وتصدر صريرا عاليا ..
وفي الطريق الموصل الى مركز اشطره رايت عشرات الرجال وبنادقهم تلمع على ضوء سجانرهم , بعضهم كان واقفا والبعض تمدد على الارض .. يهتممون ويكحون وبينهم ممر صغير يمر الرجال من خلاله ولم اعرف متى وصل كل هؤلاء !
حاولت ان امد راسي من فوق الحائط , خفت ان يراني احمد دولت ولكن رئيس العرفاء والاكراد كانوا ينظرون الى النهر و الشرطه منتشرون امام مدخل المركز يجربون بنادقهم وقعد بعضهم على الارض ينظفون بساطيلهم ويصبغونها ويلفون لفافاتهم على ارجلهم , وكانت "الفوانيس واللوكسات" تضيء شاطئ النهر مختلطه باللغو المتصاعد بين الواقفين . فلم اسمع صوت الشلال ولا من يخوض الماء.

34

كوكو .. كوووو ..ككو
" سعد صوت طائر الليل وا نتشر عبر الشاطئ مختلط بصهيل الخيول .
هبت نسما ت بارده فارتعشت ونار " هورن شيخان"
تضيء السماء بلهب احمر ..

سمعت سهيل خيول تخب فوق ماء النهر وعليها رجال وضعوا
بنادقهم على ظهورهم , حصان واحد رايته يحمل فوق ظهره لفه
من أفراس لم اتبين لونها يتقدم ببطء والحصان ينفخ ضجرا . "

طقطقت بنادق الشرطه وقاموا مسرعين وهم يجمعون
حوائجهم فتراجع الاكراد الواقفين جانبا والقوا سجاثرهم الى
الارض ومن بوابه المركز ارتفع صوت العريف .. .
سلام خذ !

طقطقت البساطيل بعضها ببعض فاهتز السطح ..! مر
خالي بين صفوف البنادق يزرر سترته العريضة ويعدل سدارته
قال ..

- هل وصل المجني عليه ؟

- هو في الطريق .. سيدي المامور ...

- والجناة؟

- تم القبض على اخوة القاتل واقاربه وهم بالتوقيف

سيدي ..

- واهل القتيل ؟

- " صابر بيك وفتاح اغا " حاضرون يا سيدي .؟

"تقدم ثلاثة اكراد قريبا من رئيس العرفاء وعلى ضوء

اللوكس الذي اشعله رجال الشرطه رايت وجه خالي ضجرا ينظر
حواله و يتنزل سدارته الى ما بين عينيه ...

- ما سبب الحادث ؟

" سمعت خالي يسأل رئيس العرفاء... "

- لقد كشفنا يا سيدي على الحادث وعرفنا ان "علي

سورجي" خش " مع الاغنام التي رجعت من الجبل ودخل معها

بيت "عصمان سعيد " و"ختل" بينها حتى نام الجميع ثم دخل

غرفه المجني عليه من الشباك المفتوح وضرب عليه ثلاث طلقات
من "البرنو" فقتله وانهزم الى الجبل !

"كان احمد دولت يتحدث بصوت عال ويكلمات عربيه متكسره من
ورقه مكتوبه, مربوط بها ورقه كاربون " جفل خالي ورفع سدارته
من راسه واعاها الى مكانها ...

- واين وصلتم بالتحقيق..؟
- " زن " " مره " سيدي الماموران القتيل نهب امراه
وتزوجها دون موافقة اهلها والشهود يعرفون الكثير
- يكفي هذا يا احمد , الا ان " رئيس العرفاء " استمر
يحكي شهادته بكلمات حفظها عن ظهر قلب !
بصوت حاول ان يكون مسموعا قال خالي ..
- قل لهم ان يذهبوا الى بيوتهم حتى يخلص التحقيق ,
لا اريد مشاكل, هل فهموا؟ اين المختار؟
انحنى الاكراد الثلاثة ساكتين ولكنهم لم يتحركوا من مكانهم ..
"رايت الحصان يصعد الصخور قريبا من الشلال متجها
الى المركز وقد انفتح الدرب بين الواقفين من الاكراد , توقف
الحصان بحمله وقد تبللت اقدامه من الماء وراح يرفعها ويضعها
على الارض و ينفخ من منخرية ..!"

35

"تقدم اربعة رجال متدافعين وهم يحاولون رفع لفة
الفراش ثم وضعوها بهدوء على الارض وتراجعوا الى الوراء ..
مالت العمائم منحنيه الى لفة الفراش وازدادوا ضجه ..
لم اعد أرى أمامي شيئا فتراكض افراد الشرطه يفوجون
بين الواقفين وينادقهم بين أيديهم, فتراجع أواقفون صامتين ..
تقدم خالي يتبعه رئيس العرفاء والشرطه ووقفوا امام البساط
الاحمر الملفوف !
رايت المختار ورئيس العرفاء يتهامسان ثم تقدم المختار
واشار للواقفين حوله وانحنى المختارو بكفه الغليظة فتح طرف

البساط الاحمر.. أرتجت وخفت من النظر الى ما يفعلون حين
أزاح ألمختا أشرشف الاحمر فسكت الواقفون حوله ..
رأيت شاب جميل الوجه أبيض اللون بلا شوارب قد
أغض عينيه وعض شفته السفلى, كان وجهه يشبه وجه "
يونس" الذي "حز" حبل الليف رقبته أملتويه..
ارتفع صوت أنين وتفجع غطى على ضجة الواقفين فمالوا
الى حيث الرجل الممدد على الفراش وارتفعت شهقات .. متالمه
وأخدا .. خدا ..
جفلت على صوت "ملاً عه باس" يجر أنفاسه المتقطعة ..
فاتحا !

أرتفعت أكف الاكراد الى فوق و تحدثت كفوفهم..
" بسم الله الرهمان الرهيم ".
سكتت الأصوات .. وتحولت الى همس .. فجأة اجفاني
هدير الاصوات فتأرجح متمايلا وانا أتعلق بالحبل خائفا ..
أمين !

رايت كفوف الاكراد تمسح وجوههم واسرعوا يسحبون
اكياس التتن المعلقة في احزمتهم ويداوا يلفون سجائرهم !
أصوات .. طقت .. أصوات "الزناد .. فتوهجت جمرات صغيره ثم
أنطفات لترتفع رائحة السجائر ..
رايت نقاطا متناثره من الضوء أضاعت الوجوه القريبة..
ووجوه اخرى ظلت في الظلام صامته , لم ار منها الا الشوارب
والعمائم !..

ومن قرب تصاعدت اصوات بكاء عنيف متقطع ..
اقتربت العمائم والرؤوس من بعضها و لم اعد ارى شيئا الا ان "
درويش أغا." صاح بغضب صيحه لم افهمها فتراجعت العمائم الى
الوراء !.

بقى ضوء الفانوس يقطع وجه الفتيل .. يغيب في الظلام
ويعود ظاهرا كلما انحنى رجل وتراجع مطلق اصوات غير مفهومه
وا . وا .. وار ..

عاد المختار يقترب من الكردي الممدد على الارض ورفع
طرف البساط فظهر القتيل وقد غطت الدماء صدره ورقبته .. !
تهامس خالي ورئيس العرفاء مشيران باصابعهما الى
صدر القتيل وكل منهما ينظر الى وجه الاخر ...!!
قطع الضجه صوت طائر الليل
كوكو كوكو كووو ..!
اجفلتني صيحه الطائر ..فحاولت التراجع الى الوراء الا
انني انزلت عن الفراش وقد وافلتت يدي حبل الغسيل تارجحت
فلم ستطيع الوقوف فوقعت على السطح .
نفضت التراب عن يدي لاهثا احس بالعطش .. !!
كان الاكراد قد تهالكوا على الارض ومنهم من ظل واقفا
أمام بيتنا مع الخيول, ومن بعيد أرتفع سباب متقطع ونهيق حمير.

36

"اختفت الخيول وراء التلال الصخريه المحيطة بالقريه
وبقى "عصمان ملا سعيد " يتمايل وحده على ظهر الحصان
الاسود وقد لفوه بحرم برتقالي ظل يتطاير في الهواء !!
رفعت يدي الى وجهي لابعد ضوء الشمس الحاد عن
عيني .. ارتفعت بنادق " البرنو " القصيره على اكتاف الاكراد ,
تبعهم أفراد الشرطه وقد تهدلت بنادقهم .. خالي يمشي امامهم "
يضع يده على خصره" وخلفه لمعت النجمه في " سداره" احمد
دولت ..

- " له كويه" .. اين يذهبون ؟
- قلت .. المقبره خلف الجبل وفيها يدفنون عصمان ويرجعون
- "ررفت نسور" الكجل" ولمعت اجنحتها الصفراء
- طائرة .. تحت الشمس !.
- ا .. لقد وصلوا !.
- ارتفع صوت " ايوب" والشمس تلف الحرم البرتقالي ,
- صار لونه مثل الدم ..
- اختفى الجميع وراء اشجار "البلوط" . فلم اعد ارى شيئا
- وماذا يفعلون الان سألت.. " أيوب " ؟
- يدفنون " عصمان " ويضربون الطلقات ويذبحون
- "الطليان" , حتى ابي قال لا تنتظروني على العشاء !.
- أي .. ايوب !!
- وسيشبع الشرطه الليله من اللحم!!
- دو دو
- دو دو..
- ارتفع صوت الطلقات , طلقه وطلقه .. طلقات فتمايلت "نسور
- الكجل" ورفرفت اسراب الغريان وتساعد سهيل الخيول ..
- وكما قلت لكم.. هم لن يسكتوا حتى يذبحوا " علي
- سورجي واهله " فقد حلف " سعيد اغا " ونزع خنجره و
- لن يدخله في قرابه الابعد ان يأخذ !نثار لولده ..
- واين يذهب "عصمان" بعد الموت سألت "حسه"
- "هه هه .. جو " به هشتا "
- و سورجي ؟
- سينام في الجبل وبين الاغنام !.
- "صفر ايوب" ونظر الى الجبال الزرقاء المظلمه ..
- والليله .. سيبقى الشرطه في "قره تو"
- والمامور ؟
- سيرجع بعد العشاء !..
- واحمد دولت ؟

- يبقى مع الشرطه !
- ولماذا يبقى !
- احمد دولت يعرف كيف يتفاهم مع العشائري..
- " هه .."جوار زن ""اربع نسوان" و"صدسه رمه ر"
- " قد يرجع رئيس العرفاء ومعه "اهل سورجي.."
- "ها .. ها ..!"
- ما الذي يضحكك يانعمان.. سألني "أيوب"
- لانني سمعت خالي يكلم جدتي ويقول لها
- "يمه" الموت صار عند "العشاير قشمره" نتعب
- ونركض وبالتالي ينحل كل شي بالنسوان والفلوس..
- "أروله .. زن .. زن !!"
- "النساء دائما وراء المشكله"

37

- نعمان ..
- الخاتم تبحت عنك فلماذا تقعد وحدك على النهر؟
- "هه روها" !
- احتار حمه وسألني .. ماذا بك ؟
- حمه..! اين يروح "عصمان سعيد" بعد موته
- "نه وه مردوا .. !"
- "أزائم .. به لام" .. جدتي تقول هو يروح للجنه !
- و"علي سورجي" هل سيذهب الى النار ؟
- "جو زائم" لم لا تسأل .. جدتك يانعمان ؟
- اخاف ان اسالها لان خالي "يونس" مات
- واخذه بعيدا وكان يعلمني السباحه ويضرب كل من
- يضربني في المدرسه
- وهل قتلوا "يونس" مثل "عصمان" ؟

- لا.. هو صلب نفسه!! لانه " ده رنه جو له بكلوريا "
 فوضع الحبل في رقبته ومات !!
 - "كوناحه"..
 - هو مثل "عصمان" مات فلماذا يروح للنار ؟
 - "بو جي"
 - الاولاد يقولون.. هو قتل نفسه ومات كافرا !
 - " جي كافراً " ؟
 - حمه .. اتوسل اليك ان لا تقول هذا لجدي .
 " كنت البارحة قد بكيت وحدي في الليل وانظر للنجوم . وسألتها
 هل "يونس" ينظر لي من السماء؟ وتمنيت لو يحكي معي حتى
 احكي له عن الاولاد الذين صاروا يخوفونني ويقولون عنه ولكن
 النجوم ظلت ساكته .

38

هاوو .. هاوو
 سمعت العواء قادمًا من بعيد..
 واوو ووو
 صوت غريب , لم اسمعه من قبل .. هو لايشبه عواء الكلاب
 فاحسست بالقشعريرة والخوف ورحت انتاعب !!
 عوو عووو عوو..
 ارتفع صوت الكلاب وسكتت مرة واحده ؟
 واووو واوو .
 " تخرج الصوت مثل العاصفة وكلما اقترب سمعت انينا
 خشنا كأن احد الرعاة يعزف على "مطبق" سمعت شيئا فشيئا
 صوت حطب يابس يتكسر.. مثل عظام تطقق بصوت عال !
 اخافني الصوت فصارت الغرفة مخيفه , ضاقت بي وتصورتها
 ممتلئة بالعفاريت والشياطين الا ان جدتي أستمرت تقلب جمرات

المنقله كأنها لم تسمع شيئا .. فشعرت بالاختناق من الحراره و
جسمي يهتز من الارتعاش ..
- " بردان " يا جدتي !!
- انتظر ولا تخرج من الفراش!
القت " الماشه " من يدها و توقفت ناظرة الى الستاره التي غطت
الشباك و تلمست وجهي باصابعها ناظره الى كاكالي
نعمان.. " لزمته الباردة " اسرع واكثر من الحطب ؟
- جدتي هل ستهجم الذئاب علينا؟
- " ذيابه " !! اسم الله .. "الذيابه" نائمه في مغاراتها .
- حمه .. قال لي.. البارحه اكلت الذئاب "طلي " وراح
تهجم علينا الليله..!
- اش .. ابن الكلب لا يعرف غير علوم الشر !.
- ولماذا تهجم علينا الذئاب ؟
- هي لا تهجم علينا بل تهجم على القرى البعيده التي تكثر
فيها المراعي عندما تكون جائعه فتردها الكلاب ويضربها الاكراد
" بالفشك " دفاعا عن حلالهم " رايتها تنظر باتجاه الشباك !"
- وماذا تاكل الذئاب يا جدتي ..!
"سنة تاكل " الطليان " وسنه تاكل " الجئان " وسنه تاكل الشيطان
فعندما تنزل الامطار يكثرالعشب و الخير وتتوالد الاغنام يجد "
الذيب " اللحم وهي السنه التي يشبع فيها
"ابو سرحان " وعندما لا تمطر السماء ويقل الماء والعشب يقوم
"الرعيان" بالبحث عن ارض تجد فيها ما تاكله الغنم
فيضطر "الذيب " لاكل " الجئان " وهو نبات يكثر في الجزيرة
فيتوهمه لحما فيهجم عليه , وعندما يكثر "المحل "يموت العشب
والطير وتتبيس الانهار ويزداد جوع الذيب حتى "تسورب
عيونه" فيهجم على كل شي يتوهمه عنزه او جدي وهنا يطلع
الشيطان ليلعب على الذيب فيطلع مره بشكل نعجه او طلي وما ان
يهجم عليه حتى يتحول الشيطان الى حجاره او "كبر " فيصاب
الذيب بالخبال عندما يرى الشيطان فيستمر باللعب عليه حتى
يموت الذيب من الجوع !!!".

هوو .. هوو .. هووو

جدتي ؟

" رفعت جدتي اصابع يدها بوجهي ولهيب النار يزداد اقترابا "
- والان .. اسمع .. " هذا موزيبي " فالذئاب تعيش

جماعات وعندما تعوي .. تجمع جماعتها ..

" ازداد الصوت اقترابا فمدت جدتي يدها الناشفه ودثرتني
فارتفعت اصوات طلقات كثيره , انقطعت بعدها الاصوات ثم عادت
الكلاب تعوي وتتهارش ومعها ارتفع نباح كلاب احمد دولت
فسمعت باب المركز يغلق

جدتي ..

- لماذا ترتعش .. اتريد التبول ..؟

"امسكت باصابعي وغطتني بثوبها الاسود العريض و اشارت الى
عتبة الغرفه دون ان تفتح الباب حين زاتني مترددا.. اذا اردت ان
تتبول فتبول هنا !!

ياالله.. الولد حرارته مرتفعه ولا اريده ان يتعرض للبرد
اقترب كاكالي من الممشى وعلى ضوء الفانوس لمعت بندقيه
حملها بين يديه وغطى راسه بحرم احمر اللون .
- "كركا " يا خانم !!

- ذيب .. !!

الا ان جدتي حاولت ان لا تسمعه !!

" استمرت الثلوج تتساقط واستمر صوت الطلقات و العواء
يتقطع احيانا ويعود الرصاص والنباح ..

- " نه مرو سيه " والذئب يهاجم !

"سهلت خيول الشرطه خانفه .. "

- جدتي .. كاكالي .. يقول هواليوم الثالث والذئاب

تهاجمنا الا تسمعين صوت البنادق .. ذيب يا جدتي ..

- اش اش .. من علمك لسانهم والشرطه يضربون

الرصاص في الهواء لتخويف " القجج جيه " أي .. وباب "الحفيظ"
مسدود فلا تخف يانعمان .

عندما دثرتني جدتي باللحاف ارتعشت بالخوف فاستمر عواء
الذئب وصهيل الخيول ونباح الكلاب .
رايت كاكالي من تحت اللحاف يتكي على ركبتيه قرب نعل جدتي
وهو يفرك اطراف اصابعه فوق النار .

39

ركضت نازلا الشاطي الصخري الواصل الى أنهر
والشمس تسطع على الامواج حين سمعت اصواتهم ..
صحت بصوت عال " ناردين .. خووله .. ايوب ."
ما كدت ارفع صوتي حتى ظهوروا صاعدين صخور الشلال ورفعوا
ايديهم مشيرين لي ...
- ماذا تفعلون هناك ؟
- هم قتلوا ذئبا ليلة البارحة .
- أين ؟ أنتظروني اعبر النهر..
" قبل ان اخوض في الماء رايتهم يقفزون الى النهر ويتناثر الرذاذ
من حولهم .."
- اتريد ان تذهب معنا لرؤية ؟
- أنا لم ار ذئبا من قبل ولكنني سمعت صوته !
- هو مثل الكلب!
- ولو سمع "المامور " قالت ناردين ..
- خالي في الدوريه !!
- وجدتك ؟
- لاتدري !
" في طريق " حوش كرى " تشاور ايوب وناردين وخووله "
فقال ايوب ..ز

- سياخذ كل واحد منا ما يريد من الذئب.. ناردين تريد
الاسنان لتصوغ امها " جناغ " لاختها الصغيرة وخووله يريد
عين الذئب اليسرى " وتأخذ أنت يانعمان " الطحال "...!!
- وماذا افعل به !
- لو اطعمته للكلب لصار ذئبا !!
- ليس عندي كلب ...
"كشرت ناردين بوجه ايوب و ارتفع صوتها "
- ولم لا تاخذ أنت الطحال حتى يساعدك الذئب في سرقاتك
- " منم دزه " !
- كلهم يعرفونك لا تجد شيئا امامك الا نهبتة .. حتى الذئب
تريد سرقة كإن ابوك هو الذي قتله !
- ومن قتل الذئب غير أبي !
- به .. به .. لنذهب يانعمان الى " مام احمد دولت " ونقول
له " راسته ملا احمد " كرك كشتوا "
" اخطف ايوب قطعه خيزران صغيرة من الارض وراح يعلكها
باسنانه ومن بين اسنانه تناثر اللعاب "
- أت- " هه .. كوري شورتي " يحسب نفسه ابن المامور..
وسل ان لاتذهب مع ناردين الى " رئيس العرفاء "
- " بشيله "
- " ميمونا " ..
" هجمت ناردين على ايوب وادخلت ناردين اظفارها في وجهه .. "
- " كوره وازيلي بينه " *
- " راوستا .. راوستا " كيف نسلخ الذئب وليست عندنا
سكينه!

قال ايوب ..
- خووله .. عنده خنجر صغير ولن ادليكم على مكان الذئب
حتى يعطيني خووله الخنجر !!
- ومن يقول انك لا تنهزم بالخنجر وتبيعه .. ؟
" لقط ايوب الخنجر وشده على حزام " د شداشته " العريضة
الأردان فهمست ناردين.. هو يلبس هدوم ابيه ...

- أسكتي يا ناردين فأنت تتحرشين به.
 "التفت ايوب ونظري الى "العلم المرفوع " فوق المركز ..
 - والان سنمشي مع النهر ولا نصعد الطريق حتى لا يرانا
 الحرس وأنت.. " التفت الى ناردين"
 ان اردت الرجوع الى البيت فارجي لان الطريق ملينا
 "بالقلغان" و"العوسج" و"الحيايه" !!
 - لماذا تتحرش بها . ؟
 - انا لا اتحرش بها ولكنها تفعل مثلما يفعل الاولاد " تسبح
 وتصطاد الاسماك و تريد رؤية الذئب !
 زمجرت ناردين ..
 - انا افعل كل شيء ولكني لا اسرق مثلك !!
 - هل سنقضون الطريق بالعراك.. اسكتي يا ناردين واسكت
 انت يا ايوب والا رجعت الى البيت ..
 "استمر ايوب يمشي على حافة النهر , يتوقف..يصعد ويزحف
 على الصخور ثم يرجع الى الوراء !
 قال خوله ..
 - أعرف أن " دولت " قتل الذئب قرب بيته فاين تاخذنا ؟
 "ازدادت حرارة الارض وازدادت حركتنا صعوبة فكلما تقدمنا بقى
 الجبل بعيدا ومن شقوق الانهار اليابسة تصاعدت أصوات
 "الكجل" حاده .. مخيفه.
 أوا ..أوا .. أوأ
 توقف ايوب و غطى وجهه الخوف ..
 - النسور والغربان لا تكثر الا عندما تكون هناك " فطيسه"
 ومن يدري فقد يكون رجل قتيلًا .?
 - وما علينا ان نفعل .?
 أمسك ايوب بالخنجر مقلوبا وقال ..
 - ارجعوا ان اردتم !!
 - ولماذا ورطتنا بالمجيء الى هنا وانت لا تعرف المكان ..?
 " نزل ايوب محني الظهر الى الوادي فتصارخت النسور
 والغربان صاعدة الى اعلى الجبل ورجعت تميل نازلة الى حفرة

ملئية بالاشواك , عندها راينا الذئب ممدد و قد رفع ارجله الى السماء!

- قلت لكم .. انا وحدي من يعرف مكانه ..
"سمعت اصوات الغربان مختلطة باصوات النسورحين مد أيوب
الخنجر الى راس الذئب..
"كركا " !

- هومثل الكلب فاين اسنانه !
- النسور نتفت بطنه ولم يبق سوى ذيله فهل اكل "
الكجل" انيابه !
دست بحدائي على راسه ومدت ناردين عصا الى عينيه ...
- من اخذ عينيه ؟

خاف ايوب واحمرت عينيه عندما رانا حائرين ..
- سارجع أنا الى قره تو فربما جاءت الذئاب الان تبحث عنه
" تصاعد العواء من اطراف الجبل مختلطا بصفيرالريح وصيحات
النسور ..

عندما ركض ايوب.. ركضنا وراعه !!"

40

"الجرار .. الجرار" !!
قفز كاكالي حاملا الفانوس فصرخت بي جدتي ان اصعد
الى السرير و تتلفت خانفه ..
" يارحمان يالطيب " ناظرة الى الارض والشراشف والنعال..
- عطشان !!
اش .. اش.
- قلت لك ان "الجرار" * لا يعرف الرحمه فهو
يخطف مثل "النشاب" واذا لدغك فلن يلحق عليك
طبيب ! .
"غاب كاكالي في الظلام وضوء الفانوس يتمايل في اركان البيت
- دير بالك .. دير ..! "

- قولي له " خبر دار " يا جدتي..!
أش .. أش
استمر كاكالي يركض على السطح , فجأة حين ارتفعت طبات
النعال ترج السطح ..
" وه ي .. سه ك بابي ته ره س " !
- كشتوا .. !
- جدتي .. لقد سحق كاكالي "الجرار" بالنعال
وقتله!

- الحمد لله !
"ظهر كاكالي اصفر اللون بعد ان ظل يفرك نعاله بالتراب !
- "عافرم " كاكأ ..
- هو مثل العقرب ياجدتي !
" التفت كاكالي حين رجعت جدتي الى السرير قانلا .. "
" هو " دوبشكا " كبيرة اذا لدغ احدا قتله ولواصيب المدوغ
بالاسهال قد يخلص من الموت .. بلام " داكي مامور " تقدرين
ان تتخلصي من شره اذا وضعت رجلك على حصيره او حتى على"
بارجي كاغز" لانه لايستطيع الصعود اليها ..!"
" واذا وقع علينا من السقف ...!"

41

القي حمه بالشص الى النهر وصاح علي غاضبا ...
- توقف عن رمي الحصى لانك تجعل الاسماك تهرب
- ولماذا لا تتركني اصيد مثلك ..
"سكت حمه وعاد يراقب الامواج ثم سحب "الشص" من النهر
- " تفو بلا ورسن "*
لقد اكلت بنت الكلب العجين .. هه .. اتريد الشص؟ واحذر
ان تجرك الاسماك .. !!
- واين تجرني الاسماك ؟

- تاخذك الى مغارتها .. " اشر الى وسط النهر .. تلك هي المغارات السوداء التي تنام الاسماك و"الجنيات" فيها ولا تخرج الا وقت مغيب الشمس !!
- ومن قال لك أن في النهر "جنيات"؟
" ضحك حمه "

" بياني جو بو حاجي ميران " وأسأله.. كيف امسكت به "الجنية" وادخلته في مغارتها ..؟
" رايت مغاور النهر مظلمة.. تجمعت حولها اعشاب خضراء تطفو فوق الماء. "

كان " حاجي ميران " يصيد السمك وقت الغروب ولم يشعر الا بخيط السمكه يجره بقوه الى النهر فغاص في الماء وكاد ان يختنق ولكن " ده ست " جرته اليها فاذا هو في مغارة الاسماك ..
- وماذا حدث بعد ذلك ؟

" انقلبت السمكه الى امراة صاحت به غاضبه اذ.. انت من يقتل بناتي ؟ فبكي " ميران " وتوسل وحلف لها بانه لم يقصد ذلك وانه سيترك صيد السمك ...
" عند الصباح وجدته الشرطه قرب الشلال حتى حسبوه ميتا فقلبوه على وجهه وراحوا يخضونه حتى اخرج الماء من بطنه وفتح عيناه ."

- ان كان ما تقوله صحيحا ياحمه فلماذا تصيد انت الاسماك
- " حاجي ميران " نصحني بانلا اصطاد السمك وقت الغروب

اشار "خالي سالم " الى فتحه بين الجبال الزرقاء العاليه ونحن قرب نهر صغير على الحدود الايرانية قانلا..
هذا قصر شيرين. !!

لم اصدق ذلك واشجار الجوز والتين و"التكي" تظلل حيطانه
البيضاء اللامعة تحت الشمس فصحت متفاجنا ...

- القصر!!

حمة... ناردين لا تصدق اننا راينا القصر فقل لهم ماذا
راينا؟

" ان حيطانه من البلور والذهب واللؤلؤ وفيه قباب عاليه
حمرء وحتى اشجاره من الذهب وفيه " تعيش " فيروز
خان " مع " العفاريه والجنيات , والحراس يلبسون "
طاسات" من الذهب وعلى ظهورهم عباءات من الحرير !
نهضت ناردين من مكانها ونظرت الى الجبال البعيده ..

- انتما تكذبان لان ابي يقول " قسر شيرين " وكو
"خانقين ...؟"

43

قبل غياب الشمس وعندما يكون خالي في الدوريه أتابع
الشرطه ينظفون أبسطتهم ويكنسون الارض ويرشونها بالماء ثم
يضعون تختا خشبيا امام المركز فيقوم " حه سه " باشعال
السماور وتكسير " كلال القند " * بفأس صغيره وقد اعتادت
جدتي ان ترسل لهم مع " كاكالي وحمة او معي " الكليجه "
و" جبن الاوشاري " فيتصاعد تهليلهم وفرحهم بالصينيه !
" تشكر اده كم .. خوا بزيباي كا " *
سمعت الشرطي " دلشاد " يتوسل جدتي ..

- اتركي نعمان معنا ولن نجعله يذهب للخيل

- او النهر "

" اشعل الشرطه الخشب بعد ان ضعوا أسماور قريب من بوابه
المركز

- هل يريد " البك الصغير " الشاي مع السكر او يشربه
"دشلما" ؟

- نعمان يشرب " عمامة القاضي " قال كاكالي ..
- جي "عمامتي قازي" ضج افراد الشرطه ضاحكين فوضع
كاكالي ثلاثة فصوص من "القد" و صب الشاي الحار على معلقه
صغيره في "الاستكان..

"صفتت اللقالق اجنحتها وطققت بمناقيرها فاستدار لقلق نازل
الى عشه فوق المركز مفروش الجنحين فتصايحت اللقالق
الصغيرة مرفرفه باجنحتها القصيره ..

غنى " دلشاد" ومع ارتفاع صوته ارتفع صياح "القلمون"
- لماذا يشهق " دلشاد" عندما يعني ؟

- اروله.. قال " صامال " ..

- هو مثل البطه في النهر!!

" مرت فوقنا بطات كثيره اختلطت صيحاتها بصيحات القلمون
والدجاج "

- الا تشناق الى امك يا نعمان ..

- امي ستصل "قره تو" في العطله الربيعيه وحتى اختي
"بسمه" ستاتي معها ...

- و "باوكم "

- ابي ..أنا لا أراه الا عندما يذهب ألى "السراي" وعندما

يرجع ظهرأ يحبسني في البيت ولا يريدني أن العب في الطريق .

- وعندك اصدقاء في "ياقوبه" ؟

- " كرومي و ابراهيم وحتى هوبي صديقي", وانت اين
اهلك؟

" اثار دلشاد الى الجبال .. هو وراء "هورن شيخان "

- وما اسم ابك .. لماذا لاتاتي به ليلعب معي !

"ضحك الشرطي بعد ان صب لنفسه " استكان شاي .."

- لم اتزوج بعد !.

- واذا تزوجت هل ستركب "العربانه" ؟ قره تو , ليس

فيها عربات تجرها الخيول وفي بعقوبه تركب العروسه عربه

مملوءة بالجوري و"الياس" ويحمل الاولاد الفوانيس في الزفه
و"يطشون حامض حلو , فماذا تفعلون انتم في العرس ..؟
- يقعد العريس فوق الباب ويبيده باقه من النرجس
والنسرين يلقي بها على راس "بوكة"
- ومتى تتزوج يا دلشاد .؟

44

سألته جدتي ..
- أصحيح ان الدببه تسرق البنات وتحب العسل..؟
- قال "كاكالي" وهو يكسر بالقدوم جذوع الاشجار
المتكدسه تحت السقيفه .
- هذا يقع في " بهار " دائما يا "خانم" *
"ففي مرة من المرات خرجت" بنت الكوخا" من البيت ولم ترجع
للبيت فخرجت القرية كلها تبحث عنها ولم تجد لها أثرا " وكان
الكوخا متالما ولا يستطيع ان يربالناس لان اهل القرية بدءوا
يتهامسون .. ان ابنه الكوخا هربت مع معشوقها وكاد الكوخا ان
يكون "شيتا" لما كان يسمع من اقاويل وصار يتمنى لو اكلتها
الدببه او الذئاب لو حصل على قطعة من ثيابها ليتمكن من اسكات
حلق الناس ويغسل العار الذي لحق به من اختفائها !!..
ومرت الايام وكانت عند الكوخا اغنام كثيره ترعى في
القرية .. فاشتكى الرعاة من قلة العشب الذي تاكله الاغنام وطلبوا
منه ان يتحولوا الى مناطق قريبه من الجبل ..
وبينما كان الرعاة يسرحون بالاغنام شاهدوا احد كلاب الحراسه
يلعب بشيء لامع ما ان اقتربوا منه حتى لقوا قلادة من الذهب
ولما كان الرعاة بسطاء ويخافون الله فقد اخبروا "الكوخا" فاغمرى
عليه من المفاجاه لانه عرف بانها تعود لابنته الغائبة فجهز الرجال
للبحث عنها وعند احد مغارات الجبل سمعوا صوتا ضعيفا

اكتشفوا فيه أبنة الكوخا فنقلوها الى القرية التي عرفت بان الدب
نهبها واتخذها زوجة له وكان يطعمها العسل واللحم النييء
فقتاوه..

45

" كتن كتانه و باوانم
عمرم كتانه .. كتانه "
ارتفع صوت حمة .. سمعناه يغني من بعيد .. وحين
وصلنا اليه مسح دموعه.
سالته ناردين.. أتذكر كيف أكل الدب أباك ؟
هز حمة راسه حين فأجنته ناردين فنهض راكضا واختفى
بين الصخور فسألنتي ناردين وانت الم تسال كاكالي ؟
- لا ..

- فلنذهب انا وانت لنسأل مام ميران!!
"كان "مام ميران" وحده قاعدا على تخت يلف سجارتة
والسماورات الفضية تغلي وقد صفت قريباها " قواري " الشاي
وانتشر الدفء في "الجاي خانة " فرحب مام ميران بنا كعادته ..
" به سر جاوا نعمان به ك .. جوني جاكى.. نه ردين
خاتم " به فه رمو " "

- جننا نسالك كيف اكل الدب " باوكي حمة" ؟
نفخ مام ميران الدخان عاليا واعتدل في جلسته ..
" كان " نازاد " صياد يصطاد الثعالب والغزلان والطيور ولا
يتحرش بالدببه الي تعيش في كهوف " جار كلاو " فيغيب عدة
ايام و عندما يرجع يوزع على القرية اللحم والجلود وقد نعود
اولاد القرية انتظار عودته فيتراكضون فرحين عندما يرجع !
وفي احدى المرات نزل ثلج كثير سد الطرق فاعلق اهل
"جار كلاو" ابواب بيوتهم من شدة البرد وهجمات الذئاب الا نازاد
لم يرجع !!

وما ان توقف نزول الثلج حتى قامت القرية للبحث عنه وكان الثلج قد دفن أثار الطريق وقرب كهوف الدببه وجدوا " ايسقانا " عرفوا بانها بقايا "ازاد " الذي اكلته الدببة . فيظهر بان دبا مر بالصدفه على " المصياده " التي كان " نازاد " دفنها تحت الثلج فاطبقت عليه فخلعها وراح يجرها الى المغاره فلحق به "نازاد" ليخلصها منه فحدثت بينهما معركة اكل فيها الدب وجه الصياد الا ان " نازاد" تمكن من قتل الدب ولكنه لم يستطع الرجوع الى القرية بسبب الجروح التي اصيب بها فمات قي الطريق من الجوع والبرد .

وبقت ام حمه وحدها حائره واطفالها الجائعين , فتسلحت انا وبعض رجال القرية وذهبنا الى المكان الذي كان نازاد يصطاد فيه فحفرنا حفرة دخلنا فيها للمراقبة بعد ان وضعنا " مصياده كبيره " ربطنا بها " بز " *حتى يجذب صوتها الدب وفجأه سمعنا "الورج " * يردد بصوته بعد ان اطبقت عليه المصياده فاطلقنا عليه الرصاص وقتلناه.. وسلخنا جلده وعدنا به للقرية ..
ابتسم " مام ميران " ابتسامه حزينه ونظر بعيدا الى الطريق الي بدعات تسمع فيه اصوات " لوريات الفحم " قادمه من " هورين شيخان " .

- واين جلد الدب يا "مام ميران" ؟
ضحك الرجل و"كرف" لنا بعض " فصوص القند من " الشكردان" * قائلا ..اتريدان رؤيته!

اظلمت السماء .. فسمعت صوتا مثل صوت النار المشتعله
ورايت الاف الفراشات تنزل من السماء فوق سنابل المزارع
الخضراء فصاح حمه مذعورا ..
نه مه جيا ؟ *
صحت بفرح ..
"جوله" * .. !!
الا ان صوتي ضاع فقد ارتفعت اصوات عاليه من القرية تصرخ
بخوف

" كوله .. كوله "!!!*

كانت الاف الجرادات الصفراء تنزل مثل الرمال بعضها نزل على
كتفي ووجهي وراحت العصافير والقلمون والديكه تنقرها فرحه
ولم نعد ترى المخفر ولا الشط فقد امتلات الارض بالجراد ...
"كانت الجراده تثني ارجلها الطويله وتقفز متعلقه
بالسنابل الخضراء او تطير فاذا وقعت على عود او "هرش"
قرطه باسنان مثل "المنشار" وأستمر الجراد يهجم حتى
صارت رائحه " قره تو" مثل رائحة الحشائش التي تتبول عليها
الاغنام ومثل رائحة الاسطبل في الصيف ولم نعد نشم رائحة
النسرين والاقحوان , فقد قضى على كل شيء اخضر ...

47

قال ملا احمد ..

- هم يقولون.. وبعد الجراد يا ام المامور سيأتي التموين
والقحط و" الكر" * مثلما كان الحال ايام الحرب أتدرين لماذا ؟لان
الكردي يصبر على كل شي لا الشاي و"الشكر" ..
- أعوذ بالله .. " لاهله ولا مرحبه به " ..

قال خالي ..

- اتذكرين "صديق" اغا " كوخا صديق " الذي يرسل لنا دائما اللبن والعسل , لقد اتلف الجراد سبع قرى من قراه ولم يبق منها شيئا , ان هذا الرجل سيموت من الهم !

- ولم لا تساعدونه ؟

- نساعده !! هو يقول هذا عقاب الله علينا !

- و الحكومه ؟

- هه هه .. انت لاتعرفين هذا الرجل . ؟

" عندما احتل "الانكليز" "دريد بلولا وجيا سوغ" زاره

الميجر الانكليزي لكونه زعيما كرديا وما كاد يصافحه حتى قام الكوخا وغسل يديه بالصابون فسأله الميجر لماذا غسلت يداك , وبكل شجاعه قال له الاغا .. لانك " كافر والكافر "بيسا" "يعني انت غير ظاهر!! فغضب الانكليزي وأخذ بساتينه وغاباته وارضيه !!

واليوم فعل "الجراد" " مثلما فعل "الميجر" فقد اكل زرعه ..

لا حول ولا قوة الا بالله ..

- وماذا ستفعلون له ؟

- ننتظر المكافحه !

" عند مدخل القرية الكرديه تكومت الاغنام والنعاج فوق بعضها , تئن من الجوع اما التي ماتت فظلت تنبعث منها روائح عفنه زارها اشتعالا صوفها واستمرت " قره تو" تشتعل بحرائق برتقاليه ودخان أسود والفلاحين يكنسون الجراد , بعضه تيبس من السموم وبعضه يتقافز ويعيد المحاولة !

ما ان اشعلت جدتي النار في " المنقله " حتى انتشرت
 رائحة بعرور محترق اختلط برائحة الازبال الرطبه فارتفع دخان
 اثار صيحات جدني فنهضت لتسد الشبابيك ..
 " ولك نعمان .. كاكالي .. حمه .. ما هذه الرائحة .. هي
 ليست رائحة الجراد !"
 - " حمه " يشوي الجراد !
 - يشوي .. ماذا ؟!
 - جراد ! .
 - حرام يا ابني ..؟
 - ولكن اولاد " روناك " جائعين !!
 - بابا .. الجراد مسموم "
 قال حمه ..
 - ولكن " ام هميله " قالت لي بأن النار تطرد السم
 - هه هه .. وصارت " العوبه " " دخثور " اخر وقت .

50

قالت " ام هميله .."
 - والله يا " ام سالم " نحن لم نجد فرقا بين البيض
 المسلوق وبطن الجراده!!
 " عوع "
 - نحن مضطرين والصغار جائعين لا يكفون من الصياح
 وما من شيء يشبعهم !
 " زمت جدتي شفيتها متقرزه... "
 - وبعد علينا الجراد " !!
 - ولكك قلت أن " البدو " كانوا يجمعون الجراد
 وياكلونه " يابسا " في الشتاء! .
 صاحت جدتي منفعله ..

- كنت احكي عن " المحل " !!
- وماذا تسمين ما يقع الان يا ام سالم, اليست هي سنة "
محل" والناس صاروا ياكلون "القطايس" ولم يعودوا بتركون
دجاجة ميتة تلقى في المزابل ,فالجياح يتلقفونها قبل الكلاب !!

51

"أستمر الجراد يملا ممرات البيت ويقافز في كل مكان
,حتى الطسوت " و " تنك" الماء و"الحبوب" * صارت ملاعب
لها !! "
اشارت جدتي الى " قره تو " في حزن ...
" صرت لا اعرفها , صفراء مثل الموت ,حتى الاشجار
وقعت اوراقها ورائحتها الحلوة كيف أصبحت.. " زنخه " روث
وسموم معقول ان يقلب الجراد الحياة !!

52

لم اسمع صيحات "ناردين" وسط وغوغه الغربان العاليه
وهي ترفرف فوق الخرفان الميته ..
اقتربت ناردين غاضبه وهي تخفي انفها بربطه حمراء ...
" هه مويان مردوا ".
وباصابعها راحت تعدها ... "يك.. دو.. جهار.. ده ."
"كانت الاغنام ثمانيه .. خمس عنزات واربعه خرفان.."
" هشتا " وهناك اكثر من عشرين " سه رمر " *
- " نه ي " انت لاتعرفين الحساب !

"ماموستا حاميد" قال.. "يه ك..دو..سيه .. جوار .. بنج
شش ..حوت "
قفزت ناردين الى حفرة امتلات بالخرقان الميتة فطارت
الغريان هانجه ..
- " كوره ... لا " ..
"رايت عنزه ميتة فتحت فمها الذي امتلا بالذباب
واصطكت اسنانها !
- " بورا بزى " !*
نعمان ..!
- " به لي " ناردين ..
- عنزتي الصغيره لم تاكل منذ يومين نائمه وعيناها
مملوءتان بالدموع فهل تبكي العنزة مثلنا يا نعمان ؟
- هي تبكي مثلنا ..!! وماذا قال ابوك !
" باوا.. نه خوشا " هو لا يكلم امي ولا يرجع الى البيت الا
في الليل , هو مع الشرطه ويقول . لا تاكلوا الحنطه
الخصراء ..!
- وماذا تاكلون ؟
- " جو زانم " *
الجراد ياكل الحنطه ولا يريد ان يموت , لماذا لا يموت الله
الجراد ولماذا لا ياخذون عنزتي الى "الخسته خانه" ؟*
" جررت ناردين من يدها واخرجتها من الحفرة حتى
وصلنا باب المدرسه فصاح بنا "القراش " "بابكر "
" جو بو زوروا "
- " بو " ؟
اشار الحارس الى "كواني" الحنطه الخصراء والبراميل و"البمبات
"وقد اصبحت المدرسه مخزنا لمكافحه الجراد !
خافت ناردين وركضت عندما اقبل اربعة رجال يلبسون عباات
صفراء وبايديهم "بمبات" مثل التي نستعملها لقتل الذباب ..!!

- أهنك اكبر من هذه المصيبة يا ملا ؟
- لا .. ومصيبة اكبر يام المامور.. "الحراميه"
الذين نهبوا الحراميه اكثر من خمسين " راس غنم "
و" الكوخا " ياطم ويصيح بالشرطه " ليش ما تضربوهم
بالتفك " جي اليس عندكم "فشك" وقد اعطيكم قبل
يومين خمسين طلقه !!
قالت جدتي مستنكره..
- الكوخا يعطيهم " فشك" فما شغل الحكومه!!
قال الشرطي ..
الطلقات محسوبة يا ام المامور.. ست طلقات لكل
شرطي واذا استعمها قطعوا ثمنها من راتبه, ورتب "
الشرطي الخيال" سبعة دنانير ونصف هو والحصان !!
- " دكيل باخ " زين ومن اللي يطرد الحراميه !
- المامور يعرف أحسن مني .. وقد قتلنا قبل ليلتين
اثنين من " السلابه" !!
- بطلقات الاغا ؟
- أي.. بلي. يا ام المامور !
- واي واي ..!!
وتدري يا ملا الحراميه يزدادون والاكراذ يقولون "
الاغا" يدفن الحنطه والشعير و" يليص" عليها الطين
و" يقشمر" الناس ويقول هذا علف للحيوانات قبل ما يجي الشتاء
! بس.. الناس تعرف" الاغا " وتعرف "دكايكه" * !!
وقت"التموين" يضم المحصول حتى يبيعه باعلى من سعره ..
"أسالك يا ملا.. ولماذا راح الاغا الى بيت الله !! "صلاته وصومه
المن " بس ..الله بالمرصاد هو الذي يطلع "حوبت الفقره " * و
"كل ما ياكله العنز يطلعه الدباغ " وراح يشوف..!!

- و"المهجومه" ؟
- جدتي .. المدرسة مسدوده والمعلم حامد قال لنا لن ارجعكم للصف الا بعد ما يروح الجراد والمعلم راح الى اهله في "قرغان" * وحتى "الفراش" بطل من المدرسة وصار يشتغل بالمكافحه ! أي .. وحتى "الجاي خانه" صارت مملوءة بعمال المكافحه الذين وصلوا من "خانقين" أي .. وثيابهم واصابعهم خضره
- عال .. عال .. يعني ومن اليوم راح تلازم الشطوط و"الحفيز" !
- المعلم .. قال ذلك واذا لم تصدقيني فأسألي ناردين ؟
- " زين " " عصفور كفل زرزور ! " *

55

- والله يا جدتي .. كلما لعبت صاحوا علي . " بجو " حتى "البيطار" قال لي .. لا اريدك ان تلعب هنا أتريد أن تتسمم !. وحتى " حاجي ميران " قال لي .. " بعد لا تجي للجاي خانه روح العب بالبيت " والله لن أذهب له ابدا !!
- لان " حاجي ميران " يخاف عليك !
- ولماذا لا يخاف على كاكالي !
- كاكالي رجال يا نعمان!
- واين العب ؟
- العب بالبيت ؟
- والمركز ؟
- لا لا ..
- اذن .. ساقعد بالباب وأتفرج !.
- تتفرج والاكراذ لاهين بمصائبهم وهل "الحفيز" فرجه "و لوراك خالك مع الشرطة فهي مصيبة اخرى ..

- ولكنني غافلت الشرطه ودخلت المركز فرايت "حمه"
يدور "المهفه" فوق راس خالي!
- وخالك .. ؟
- لم يرني لانه مشغول بالصياح ويتكلم بالهاتفون.
- وماذا فعلت ؟
- قعدت أنا و"حمه" في غرفة "النوبجي" وحمه
يجر "المهفه" فاخذت الحبل منه ورحت ادير "المهفه" ..
" ها ها .. هاي شلون" بنكه" هي " مندر" مليون حصو
معلق فوق راس خالي ومن جريت الحبل دارت البكر والمندر صار
يروح ويجي والاوراق راحت تتطاير.. وخالي يصرخ ولكم
الاوراق .. فوضع الملا فوقها حصوات حتى لا تطير !! *
- اقول .. لم لا يتركني خالي اجرالمهفه أحسن من حمه ؟
- أتصخمت " * صرخت جدتي بصوت عال..
" أي.. وعائزته بعد ابن المدير يصير " خزمه جي" ولك جوز من
مصايبك وبعدين ؟ ..
- كان صوت خالي عاليا وتلفون المركز " مو" مثل تلفوننا
في بعقوبه خالي يخلي السماعه يم حلقه والسماعه الاخرى على
اذنه والشرطي واقف يدبر له " الهندر" كلما خابر!!*
- هندر..!
- يقول.. حمه .. من غير " الهند" ما يشتغل التلفون
ويحتاج كل " شويه الى " تكويك" ثم صاح علينا الشرطي
"وزبا وزبا" .. ألمامور ديخابر "البيك" *
وكان خالي.. يصيح ..الجراد ياكل "قوره تو" لماذا يا جدتي ينزل
خالي السداره على عينيه من يخابر. ولماذا يقول لابي سيدي..
زين هو مو ابويه" ؟
اش .. اش ..!
وقال خالي.. والاكراذ يصرخون والمكافحة لم تصل
سيدي!! نعم .. نعم ولم تبق ولا حبه حنطه عندنا "زين" جدتي ..
"كيف يقول" ماكو" حنطه وبيتته مليون حنطه و"طليان"!
اش .. اش

- وماذا قال خالك بعد ؟
- خالي .. لم يقل عنا ولم يسأل عن ماما !..
- أي .. هو.. ملتهى بشغل الحكومه والتلفون مال الحكومه
- شغل .. هه .. " زين " ومن يحكي خالي ويا النسوان ؟
- " ولك يا نسوان ؟"
- والله ياجدتي .. سمعته يقول لها " عيوني.. روعي .. لا
لا يا شغل .. ياحكومه " !!
- " ولك والله لو سمعك خالك راح يذبحك " !
- ولكنك انت التي طلبت ان احكي لك !.. ها .. تذكرت!
أي .. و خالي قال .. وسيدي .. الجراد صار يزحف ...
و" قره تو " صارت فراشا من الجراد والناس يدوسون
عليه ... انتظر..!! وماذا انتظر سيدي .. الاغا والمختار
كلهم هنا .. " ينظرون " !.
- ينظرون ؟ *
- أي.. الاغا والمختار والبيطار كانوا قاعدين لا يتكلمون
ياجدتي .. بس .. يتنفسون!
- يتنفسون!!
- والله يا جدتي ..!
وبعد أن طبق خالي التلفون نفخ المختار والاغا فقال خالي
لهم ..
لقد سمعتم " البيك الكبير " يقول " سيرسلون لكم لوريات
بها مكافحة !.
وبعد ما طلوعوا صاح خالي على الشرطه ..
- شوف ملا احمد.. هل كنس الشرطه المركز ؟
فقال ملا احمد للشرطه ..
" ها .. سمعتم ما قاله المامور ومن اليوم ما اريد
يوصل الجراد الى مخزن الشعير والتبن والا ذبحنا المامور؟
ورجع خالي يصيح بالملا من باب غرفته ...
ولاتنس " الحصونه " فقل لهذا الحيوان " كاكالي " ان يقتصد بالتبن
والشعير .

- أي .. وقال خالي للشرطي ..
"ولك اسمع زين ملا.. أخاف "ايبوك" الشرطه علف من
المركز ولو راحت "حباية" شعير تره اطلعها من عيونك , فلا تقل
" أنا رجال صايم مصلي واخاف الله , تره أني واوي عتيك
واعرف "كلاواتكم" !! ها ها.. جدتي " أشوكت صار خالي
واوي "

استغفر الله ..

- "أي.. وقال خالي للمختار وراح أرسل الشرطه للاغا
واعرف شغلك, حصتي قبل "ريس العرفاء" ولا تنس.. تره أكل
الشرطه وخرجيتهم عل الاغا ومو بس هاي والخيل هم " !!
ثم "ضحك خالي وقال..
"شوف ملا .. ترا تي وراك وأعرفك شلون " انهيبني
ولفلوف" وتطير من الحافي نعال !!"
- ولك نعمان .. اش .. اش.. "أعزيت لحد يسمعك؟
- ومن هذا اليوم ما راح أخليك توصل للحفيز.
سمعت جدتي...
"لا حول ولا قوة الا بالله ولكم اييين أبني صاير حرامي وما
ادري " ؟

56

سمعت ام هميله تقول لجدتي ..
- تدرين.. "حسه" نهب من المخفر حنطه مسمومه
وخبزها واكلها وظلت يده على بطنه وهو يصيح الحقوني " منم
خه سته يه " فنقلوه الي " خاتقين" وما ندري راح يموت لو لا "
حيل.. والله أشعنده منّ طلع البوكه !!
ابتسمت جدتي قائله ..
- اييين "كرصة خبز "حسه" طلعت "وزنه" مو
رغيف

- أي ..بس منو اللي كان يبوك" .. الملا لو كاكالي !!
- من يقول هذا ؟
- أي.. مو كل يوم المامور يزعل على الملا يزفه ولك
- وين راح الشعير أو وين الحنطه ..اي غير الحاجه يا ام المامور!
- زين وهسه الحمد لله خلص الملا من المصيبه ؟

57

- رفرفت اربعة لقالق فوق المركز, فارتفعت صيحات
- "ناردين ويعكوب" وحتى افراد الشرطه خرجوا على الضجه
- فدمدم ملا احمد ورفع نظارته الطبيه ...
- عيب يا نعمان ..!
- والله يا عمو ..!
- اش .. اش .. لولاك ما جاء يعكوب وناردين ؟.
- ثم التفت غاضبا الى حرس المركز ..!
- نه ي .. نه ي ! فركضت داخلا الى البيت ..!
- ما هذه الضجه يا نعمان ..!
- لقد رجعت اللقالق يا جدتي !
- "لهولاه وقره عينيك ..
- والله يا جدتي .. من شافوا اللقالق ظلوا يصيحون
- و لماذا كنت تصيح معهم ؟.
- لا .. ملا احمد.. اراد ان يضربها بالبندقية والله يا جدتي
- ولكنه خاف ان يطلع خالي ..!
- وماذا فعلت بالقلق ..!
- ضربته بحجاره فطار ورجع وقد "تدلّت رجليه الحماوين وبقي
- جناحه يصغر وكان ينظر لي في غضب ولولا كاكالي لفقس عيني.
- هم هم ..!

- جدتي .. هذا اللقلق هو الملك الذي حكى لي كاكالي عنه
وقد وصل "قره تو" و كان يحمل في منقاره "حيه" والله حيه
ملتفه !!
- ومن اين جاء بها ؟
" صهلت الخيول فجفلت ناردين ونظرت الى اللقلق وهو يطقق
بمنقاره فالقبت الحجاره من يدي "
- واين ذهبت الحيه ..؟
- هه .. اكلها لان سم الحيه لا يقتله وحتى كاكالي يقول من
يرجع اللقلق من " ايران " يصيد اول حيه في الطريق وياكلها ؟

58

توقف نزول الجراد ولم نعد نراه فتحولت الارض الى
خرائب الا ان القرويين النازلين من الجبال ظلوا ينبشون اكوام
الاتربه وما تركته الحرائق.
قالت جدتي لام هميله ..
- عندما رايت النساء والاطفال ينبشون المزابل تذكرت ما
كان يفعله الناس في "الحرب العظمه " فقد كان الجياح يلّمون
روث الخيول ويفرشونه تحت الشمس حتى يتيبس فيخرجون منه
الشعير ويطحنونه "بالرحاة" *
و يخبزونه على "الصاج " فيصير خبزا ياكلونه !!
واليوم ..الجراد أكل كل شي وصارت حياتنا مثلما كنا في "سنة
لوفه"
- ولماذا يسمونها " سنة لوفه" يام سالم ؟
"تنهدت جدتي واشعلت سكارتين اعطت واحده لام هميله ووضعت
سيكاره في فمها وهزت راسها ..
- عندما وقع " المحل " اثلجت الدنيا وحتى النهر تجمد
وماتت الاسماك وتيبست الاشجار فاصبحنا نكسرهما كاحطاب

ونشعلها لنتدفا بها وظلت السماء غانمة ولكنها لم تكن غيوما..
بل غضبا من الله تعالى فماتت الاغنام و"الهوايش" حتى الثيران
القويه كانت " ترعرع " و تتمدد ميتة و مات الدجاج وماتت
العصافير ومات خلق كثير من الناس من الجوع .

نرى الناس يمشون متمالين وسرعان ما يقعون ولا يقومون ابدا
وكنا نبحت عن زاويه في بيوتنا لنختفي فيها طلبا للدفاء والبيوت
ذلك الزمان اكواخ من الطين بلا حمامات او مراحيض او حدائق
ولم تكن عندنا "حنفيات" للماء , أما النفط فكنا نجمع "القيير"
بالطاسة و نتركه حتى نحصل على قطرات تشعل لنا السراج لاننا
لانعرف الفوانيس و لا "اللالات" وحين يشتعل السراج يترك
دخانا اسود يسود وجوهنا و يبقينا " نحح " وكانت "الرازونة"
تمتلي بسخام اسود نكرفه في الصباح...

اما مشكلتنا الكبرى فكانت الحصول على الطعام اذ افقرت البيوت
واغلقت الدكاكين ولم يعد هناك من يشتري او يبيع وبدأت الاغنام
تموت وبدانا نموت من الجوع حتى الاغنياء بداءوا يموتون من
الجوع لان فلوسهم ما عادت تجد ما يشترونه ويبست ضروع
النساء فلا حليب لارضاع الصغار وصارت تصلنا اخبار مخيفة عن
الجوع لان الناس بداوا يأكلون "الפטانس والغربان والواوية"
وازدادت السرقات والقتل من اجل ذلك ..

- وكم استمر "المحل" يا ام سالم ؟

- ايام طويلة يا ام هميله ... بعدها بدا "العصملي"

يرسلون النجدات " اكلاك" محمله بالحنطة والتمر ولكن اولاد
الحرام لم يتركوا الناس ليعيشوا فكانوا يهجمون عليها وينهبونها
ويقتلون من فيها ثم يغرقونها في النهر ..

وفي احدى الليالي ارعدت السماء ونزل المطر كالسيول
جرف ما بقى في الارض واستمر المطر اياما حتى تعفنت الارض
والبيوت والثياب وصاح الناس الغوث واخبرا جاء الفرج فطلعت
الشمس وذاب الثلج فرجعت الاسماك ورجعت الطيور والعصافير
التي هربت من البرد ونما العشب من جديد وعادت الحياة من

جديد فنسى الانسان المحنة والجوع والعذاب الا انه لم يتعض
فرجع الى الشر والسلب والنهب ..

59

قالت جدي .. عندما رأته ثلاثه من افراد الشرطه
يخوضون الماء , ماذا يبحث الرجال في النهر؟ وانا أريد كاكالي
أن يساعدي في تنظيف البيت من الجراد فهز خالي راسه وعلى
وجهه ابتسامه غريبه .. ها.. ماذا قلت ؟
- اقول عندي " بمبات " واحتاج كاكالي والشرطه .؟.
- اعوذ بالله .. ابهذا الوقت ولا تفكر الا بالاكل !
" اسمع يا كاكال قل لملا احمد ان يمنع الاكراد من عبور النهر..
اولاد الكلب سينهبون الاسماك لو عرفوا .. !
- و ماذا ستفعل بالاسماك ؟
- الا ناكل يا امي ؟
- تاكل ! قالت بصوت غاضب .. تكفيك سمكه
او سمكتين ..!
- والشرطه و"القائم مقام" و "مدير الناحيه" الا ارسل
لهم شيئا ..
- سالم ! خلي الله بين عيونك .. الاكراد جياع وما دمتم
تمنعونهم من ضرب البمبات فاتركهم يعيشون ؟
- واي واي ..! لم لا تقعدين مكاني ..!
- اسم الله ..!
- وانت و نعمان الا تاكلان ؟
"ضربت جدي بيدها فانفتحت الباب ..!"
" ناكل " حو " *
أحسن ما " تزقنب " سمك و نترك الناس تموت من الجوع " *
" راني خالي واقفا أسمع فضربني بالنطاق !! "

ماذا تفعل هنا .. اطلع ... ؟

60

سالتني جدتي "مشيره الى النهر . هل كنت هناك ؟
"كان افراد الشرطه يخوضون في الماء وقد تبللت بناطيلهم
فرايت ملا احمد يشعل فتيلة "البمبه" من "الزناد" .. ويلقي بها
الى النهر ومثلما ترعد السماء يا جدتي قرقت الدنيا وفارت المياه
عاليا .. حتى الشرطه قعدوا على الماء من الصوت .."
بم بم "

وكان خالي بعيدا عند المركز عندما راي الاسماك تطفو فوق الماء
فهول نازل فوقعت سدارته في الماء وهو يصيح بالشرطه ..
الحقوا .. واجمعوا الاسماك " أشار الى مجموعة من الاطفال
" ولا اريد سمكة واحده تذهب الى هولاء الحفاة .. ألانه توقف
عندما هجم الاطفال والرجال وراحوا يخوضون الماء وراء
الاسماك ولم اصدق صرخات خالي وهو يركض ويسب بالعربي
والكردي واطلق ثلاثه من افراد الشرطه الرصاص في الهواء
فهرب الاطفال ثم رجعوا واستمر البقيه ينحدرون مع الماء ونسي
خالي نفسه وهو يخوض بالماء ويضربهم بالاحجار والماء يببل
ثيابه..

وكان الاكراد ياجدتي يتوسلون به " .. بو .. بو ماسي "زورا "
السمك كثير! ولكن صوت خالي كان اعلى منهم
- و بعد ذلك ؟

- " أمسك " خالي بشرطي مبلى الثياب وضربه
" سطره " على وجهه وسبه وشتمه .. "كلب ابن الكلب
لماذا تقف مثل الحائط .. الا تراهم ؟
فبكي الشرطي يا جدتي !!
- ولماذا تتعجب من أفعال خالك لانه عند الاكل يفقد عقله !
- والشرطي ..

اش .. اش ..!
"وجرف الشلال الاسماك فراحت بعيداً ونزلت طيور كثيرة هجمت
راحت تلقط السمك وتصيح صيحات غريبه ..
ضربت جدتي على صدرها بقوة سبحان الله .. لا اله الا الله " كل
أفه مسلط عليها أفه " *

61

"امتلا البيت برائحة السمك و مواء القطط وكان خالي
قاعدا على حصيرة ينهش وياكل , يسب ويصيح .. كاكالي .. كاكالي
صاحت جدتي غاضبه ..
- ماذا تريد منه .. ماذا اصابك " ولك اسكت بس .. الناس
و"البزازين" جائعين " .. !!
غص خالي وانقطع صوته فُشرب ماء و عاد صانحا ..
" البزون .. الهر . كاكالي .."
وكلما اردت الرجوع للبيت طردتني جدتي مشيره بيدها اليه وهو
ياكل .. " روح بره" ..
كان وجه جدتي بلا ابتسامه وهي تلقي بقطع السمك امامه و
الارض مملوءة من حوله بالعظام والتمن المتناثر
- ها .. الم تشبع !?
فقال خالي لها .. ولا تنس العشاء والغذاء !!!
ضمت جدتي شفيتها و"تقلت" على الحائط ...
"ان ما بقى يكفي لدفنك" !!

62

لقد تعودت الاختفاء وراء "الزوالي" مع التين والجوز
الذي تخفيه جدتي عني الا انني فوجنت بها تجررني من
الرازونه ..
- ماذا فعلت يا نعمان .. ؟

- لم افعل شيئا !
- هل قلت للاكراد خالي راح "ايذب" بمبه " بالنهر
ولك انت ما تعرف أن خالك " نفسه دنيه وميريد احد يشاركه
بالاكل " كيف قلت للاكراد ؟
- أي .. " مو " الاكراد ميتين من الجوع والشط مليان
بالسمك!

63

" أنا لم اعد اتحمل ابن ابنتك , أتعرفين ما فعله الملعون لقد قال
للاكراد ما قلته لك حول السمك وما كادت "البمبه" "تطق" حتى
امتلا الشاطئ بهم وراحوا ينهبون السمك ومن هذا اليوم لن يدخل
نعمان بيتي !"
قالت جدتي..

- لماذا تحمل نعمان شراحتك وانت نفسك .. "اعوذ بالله "
تدري السمك من تعبك وكذك" مو " ولم تنهبه من الحكومه !!
- انا انهب من الحكومه؟

- "هيّ هو " انت تنهب استغفر الله .. من يقول هذا ومن
يوم منعت الحكومه الصيد كان لك الحق لانك لم تسمع به ابدا !!
ولكن عندما حضرتك ضربت "بمبات " على كيفك صار الصيد
حرام على الجياع حتى رحتم ابن اختك يكفي ما فعلت
وانت "تلفلف" مال الله وعباده فاسكت احسن لك وانت تعرف في
قرية صغيره مثل "قره تو " كيف تريد ان لا يسمع القاضي
والداني الخبر والناس يموتون من الجوع ..

64

- متى نرجع الى بعقوبه يا جدتي.. ؟
- أ سم الله .. امك بخير وابوك وبسمه واخوانك ..
- "بس .. وين اروح" ؟ ناردين ستذهب وامها الى
خاتقين و"مام ميران" الذي يعطينا انا وناردين "القتد"
عزلّ "الجايخاته" لان الجراد اكل كل شيء واصبح
"مفلس بو" لان اللوريات لم تعد تقف عنده ..
- أي .. نعمان .. لان بعد "ماكو شكر" بالولايه وراح امك
ترسل لنا التمر..

- وكيف نشرب الشاي مع التمر !!
- حالنا مثل حال الناس يا ابني.. والتمر احلى من "الكر" *
- "الكر" ياجدتي.. مثل الفحم الاسود.. أي.. والاكراد ما
عندهم نخل ؟
- "بعقوبه" فيها نخل كثير وسيرسلون "تمر الزهدي
لفقراء الأكراد ..

- هه .. "تمر زهدي" ما تاكله الا الزمائل !!
- "ولك هاي نعمة الله" .. حرام تقول ذلك ..
- ولماذا تسمين الزهدي طعام الفقراء !!
زهقت جدتي قائلة والان ماذا تريد ؟
- اريد العودة الى بعقوبه لان العطله الصيفية ابتدأت .
- شوف نعمان.. خالك سيرسلنا الى " فيروز خان قصر
شيرين " !!

- فيروز خان !!
- أي .. وستعطيك فيروز "الحبه الخضراء" والجوز
والعسل" وتفرجك على الغزلان .. أي .. و"فيروز خان" عندها
خيول وزمائل واغنام ..
- صدق ياجدتي ؟
- اذا لم تصدق فاسال كاكالي و اسال حمه ؟

- " اصحيح ان " " فيروز خان " اعطتك فصوص وخرز
يا نعمان وسرقتها ام هميله "جون" صاحت ناردين. ؟
- " جوي بيكره " ناردين.. قال حمه ..
" كان " جيب " نعمان صغيرا ولم يكن عنده مكان يضع
فيه "الخرز" فاعطاها الى "أم هميله" حتى يصل " قره تو"
وتعرفين أن نعمان لم يركب في اللوري الذي اراد توصيلنا الى
قره تولانه كان خائفا من السائق الذي سحق " به هيه " قدام"
الجاي خانه " ..
واليوم ذهينا انا ونعمان الى "دايكي هميله " فانكرت انها
اخذت منه المجوهرات ولم تعطنا غير اربعة فصوص .
- " دزه " !! ولماذا لا تشكون للمامور حتى يضعها
في الحبس ؟
- خفت أنا ونعمان لأنها هددته بانها ستقول للمامور
ان نعمان ركب حصانا فوق في النهر ..
- " قه رج " ! *
- اسكتي فقد يسمعك ايوب ؟..
- هو مثلها " دزه " !
- وتعرفين يا نردين ان المامور يركب دائما حصان
ملا احمد كلما ذهب في الدوريه.. فكيف يروح المامور للدوريه اذا
زعل ملا احمد ..
صاحت ناردين بي .
- لماذا حمه يحكي عنك.. لم لا تكلمني؟
- اسكتي.. " نعمان كريا " !..
صحت غاضبا ...
- انا لا ابيك ايدا ...!!
- ان كنت لاتبكي فلماذا سرقتك ام هميله ولم لا تحك لي
عن "ميرزاده" !
تكلم معي يا نعمان والا رجعت للبيت ؟

"تضاحكت ناردين عندما " خرمشتها " الاشواك.."
قلت..

" مير زاده" لا تتكلم ابدا لان الاميرات لا يتكلمن الا مع الامراء"
وهي تعيش فوق الجبال وتحرسها الملائكة !!

- والملائكة ماذا كانوا يلبسون ..؟

" اسرع حمه قانلا .."

- يلبسون عبايات من نار!

- وكيف.. الا يشتعلون ؟

- لانهم ملائكة يا ناردين وعندهم رماح طويله يحرسون

فيها القلعه وكلما ارادت "ميرزاده" ان تشتري جاؤها بما تريد

وعندها اكوام كثيره من "الدر والالماز"

- ومع من تكلمت جدتك ؟

- عندما رات "فيروز خان" جدتي تلبس " فوطه

خضراء" بكت "مير زاده" و"باست" راسها وتكلمت معها ..

- اه ..!

" اشرت الى ما " نيران هورن شيخان "

و"مير زاده" تلبس ثوبا طويلا فيه ليرات كثيره ..!!

- هل لعبت مع "عبدول"؟

- "عبدول" عنده "سفظ" مملوء بالمجوهرات وقد

اعطاني منه ولو ارجعتها أم هميله لي لاعطيتها لك ..

"ظلت ناردين تحرث الارض بحذاءها الصغير وتنظر بعيدا الى

الجبل الابيض ..!"

- وماذا يعمل" باوكي عبدول" ؟

- " مامند اغا " مات من زمان.. وان الملائكة اخذته الى

" اسمان" والقت به في النار .. اتعرفين لماذا ؟ لان " مامند اغا"

عندما كان يغضب يذبح الناس ويشرب دمهم ويضربهم بيد

"الهاون" كما قالت جدتي " !!

- جون .. جون ؟

- "مامند" كان يلقي بالرجال من فوق الجبل الى الوادي

فتتكسر عظامهم يموتون , وحتى جدتي صاحت علينا عندما كنا

تلعب عند حائط القلعه ... لا تلعبوا هنا لان المكان " مسكون " *
وقد بناه "مامند اغا " فوق رؤوس من قتلهم , وفي الليل سمعت
انا و "حمه" صراخا وبكاءً واصوات رجال يحفرون ويتوسلون
- ولماذا " لم يقتلوا " مامند اغا ..?
- هم يخافون منه لانه "كوخا" وعنده " تفنك ود ماتجه
وبيواوا " .

"ارتعبت ناردين ولمت طرف ثوبها خانفه "

- وكيف لم يخنقكم "مامند" ؟

- قلت لك هو .. "مردوا " ..

- ولو ماتت "مير زاده" هل ستروح له .

- نه ي ..!

" لانه يكره زوجته " فيروز خان " التي أخذت منه "

عبدول" وانهزمت الى ايران و مثلما قالت لجدتي هي لاتريد ان

يصبح "عبدول" قاتلا مثل ابيه ..!

وظلت فيروز خان عدة سنوات تهرب منه وتنام بين

الاغنام وفي الصباح تصعد الى الجبل وتلبس ثياب الرجال حتى

لايعرفها ! .

- و"عبدول" هل كان معها ؟

"فيروز خان" انهزمت به الى "قصر شيرين" واصت به امرأة

بعد ان البسته "هدوم البنات" حتى لا يعرفه " مامند اغا !!

- وبعدين ؟

- فعلت "فيروز خان" ما يكرهه "مامند اغا" ففي

احدى المرات وصلت " فيروز خان " احدى ليال الشتاء الى القلعه

التي كان فيها بمساعدة بعض اصدقائها فهجمت عليها كلاب

"مامند " الوحشية فصقرت "مير زاده " لها فتوقفت في مكانها

وحين شمت رائحتها هزت ذيولها فرحة بها !!

وكانت عند " مامند" " مهرة " أصيله يحبها كثيرا فارادت "مير

زاده" ان تحرق قلبه , فدخلت "الطوله" وقطعت ذيلها بالخنجر

وفي الصباح عرف "الاغا" ما حل بفرسه المحبوبة عندما رأى

الدماء تملأ الارض فصرخ من الغضب "لانه عرف بان زوجته

هي التي قتلت " الفرس " فحلف ان يعطي من يقتلها او يأتي بها
له ان يعطيه " جرة " من الذهب ولكن " فيروز خان " كانت
محبوبة من الناس فاستطاعوا ان يخلصوها منه , واستمرت
تنهزم من مكان الى مكان حتى تمرض "مامند " ومات من القهر
فرجعت " ميرزاده " الى القلعة ونشرت العدالة وارجعت
كل ما نهبه زوجها من " حلال " الى اصحابه وصارت هي
" الكوخا " حتى يكبر " عبدول " ويصير "أميرا ."

66

- جدي .. أن خالي سالم وضع مام شمدين " بالحبس !
- اش اش .. هل تعلمت الكذب ؟
- لا والله أنا لا أكذب فقد سمعت خالي وانا واقف امام
شباك " العاقول " يصيح به "توش دزه..حرامي " قجغ جي "
"عجمي " , و"مام شمدين" يبكي ويحلف " نه ي .. به بيه غه
مير.. " * ولكن خالي لم يسمعه فقال للشرطة وهو " عسبي
القوا بهذا " العجمي " الى الحبس حتى نسفره الى بعقوبه .. "
- كاكالي .. "روح للحفيظ وجيب لي خبر " من الشرطة
هل ان مام شمدين في الحبس !!
هز كاكالي راسه ونظر لي بعينيه الصغيرتين وقد ارتفع صوت
جدي مولوله ..
" الا يا " مكصوف العمر والنوبه " رجعت على هذا الفقير!! "

67

" استمر الثلج ينزل في " قره تو" حتى دفن الطرق ووصل عتبة بيتنا فخرج الشرطه "بالكركات" يحاولون فتح ممر يستطيع خالي الخروج منه الى المركز, ولم تعد "جبال هورن شيخان" تظهر فالسماء صارت مثل القطن المندوف , ومع نزول الثلج استمر هجوم الجياع فكان الناس والشحاذون يقفون في الطريق ..
يصرخون ويضعون ايديهم على حلوقهم و الذين لا يحصلون على شيء ياكلونه يقعون من الجوع ويموتون من البرد !
وظلت الذئاب الجائعة تهجم كل ليله وتاكل الانسان والحيوان !"
قالت جدتي .. لن تخرج بعد اليوم من البيت ؟

- والمدرسه !

- انهجمت .. !

و"من النافذة سمعت دوي النهر مختلطا بالسول النازلة من الجبال التي صارت انهارا سدت طريق هورن شيخان فجرفت معها قرى كثيرة و كسرت اشجار البلوط واغرقت معها قطعان الماعز والاغنام واستمر المطر نازلا بلا انقطاع وسط الصواعق والرعد ..

68

سالت جدتي " كاكالي..

- ماذا كنتم تفعلون عندما ينزل الثلج ؟

- نسد ابواب بيوتنا فلا نخرج خوفا من الذئاب والدببة الجائعة !..

- وماذا كنتم تاكلون ؟

" تعودنا خزن " الساور" والحمص و" البرنج " و"البرغل"

والعدس والماش والابخشاب , أما اللحم والجبن فكنا نضعه في " بساتيك " كبيره لان الذي لا يحتاط للشقاء يموت من الجوع

والبرد لعدم وجود أسواق أو دكاكين ..

كانت حياتنا صعبه فكنا لا نرى اللحم الا عندما نصطاد والصيد

صنعه خطيره ومثل " نازاد" مات الكثيرين فالدببه جائعه والذئاب

تهجم كل ليلة على القرى والبرد شديد . وكان الكثير يموتون من
البرد !

- ولكن الجبال مليئة بالاشجار ..؟
- ومن يستطيع قطعها ونقلها الى البيوت والحياة "قورسا
" وتحتاج الى فؤوس وحمير للنقل .
- و"النان" سألته جدتي ؟
- الأوغوات والملاكون ياكلون " الرقاق " والفقراء يطحنون
البلوط ويعجنونه ويشونه على النار وطعمه مثل "نشارة الخشب
- وكيف كنتم تحمون أنفسكم من المرض والموت ؟
- من يمرض او يتعرض لعضات الذئب يبقى في مكانه لعدم
وجود " خسته خانه " وفي الصباح نجد بقايا عظامه فمن يهتم به
لان كل واحد يفكر في نفسه وعائلته ولا معين له الا الله .
- واتذكر يا أم المأمور كيف كان عشرات الناس يموتون من "الكحة
" ويتفلون الدم من حلقهم وما كنا أو سمعنا بشيء اسمه "السل "
- لا حول ولا قوة الا بالله.. و"الجنديه " ؟
- لم نسمع بها ولكن عندما كنا نساغر الى خاتقين كان
"الارخداشيه " *يركضون وراعنا وكنا نخاف ان يعودوا بنا الى
ايران ولو كنا نعرف ان في العسكريه "برنج وكوشت " لما بقينا
بعيدين عنها !!
- ولماذا هربتم من ايران؟
- الجوع .. يا ام المامور فالأوغوات لا يرحمون احدا
ولا يشبعون من نهب مال الفقراء , وما ان وصل الجراد الى ايران
قبل سنوات حتى حلت مجاعات كثيرة واخذت الامهات يبعن
اولادهن من اجل لقمة العيش فهربت الى " قره تو " لاعمل حتى
استطيع ان أتدبر اسرتي .

جدتي ؟
- أتعرفين ما قاله خالي للاغا ؟
- يا.. أغا ..؟
- الاغا الذي أكل "ظلي" وحده ..!!
- شيطان !!
- أي .. هو الذي حكى معه خالي وقال له ..
" أغا " انت "معليك " ..بس خلي الشرطه ياكلون وهم
ينظفون لك القرية من الذين يمنعوك من " تهريب " الشاي
والظليان " الى ايران لاننا من يحمي حلالك !
- اشلون اشلون .. خالك قال ذلك ؟
- والله.. يا جدتي وقال "الاغا " له " زور باشه "
وكيف اطّلع الظليان والشاي اخاف من الايرانيين " ؟*
فقال خالي ..
" لا عليك فنحن والشرطه الايرانية متفقان شرطتنا
يقطعون الطريق بحجة التفتيش وبعدها نقدر ندخل " الشاي " أي ..
ودير بالك علينا لاننا يا نريد ان نعيش "
ضحك خالي وقال لملا احمد ."
"ولك ترجم زين للاغا , موتتفق وياه لاني ما اعرف كردي وقل له
"شيلني وشيلك" !
- " زين .. جدتي اشلون خالي يقدر يرفع الاغا والاغا
مثل الثور, متين وطويل وسمين " ها ها .."
- اتعزيت!! ولك صدق هذا الحكي ؟
- والله يا جدتي.. هو كان يحكي والاغا يسمع , ثم ذبحوا لنا
" ظلي ودجاج وهجم الشرطه على الاكل ..
يتعاركون ويتدافعون وياكلون اللحم والتمن ولم يتركوا
غير العظام..!
- ولماذا لم تاكل مع خالك ؟
- قال لي " قوم من هنا انت بعدك " زغير " وعيب تاكل
ويانه ..
- واكلت من القدور ؟

- لا يا جدتي !!
 - ولم تأكل !! " سوده علي " عفيه سالم ويه الاكل يعرف
 "بطنه وبس" !!
 جدتي..
 وكان اولاد القرية يتوسلون.. " توخاتري خوا "
 ويشيرون الى حلوقهم وبطونهم , أي.. أوواحدهم صاير
 مثل الخيط !!

70

دخل خالي البيت غاضبا فصاحت به جدتي ..
 - ها .. " تتزقنب " *وابن اختك يموت من الجوع !!
 - يكذب .. هو اكل في المطبخ !
 - عال عال .. " ابن البيك " ياكل بالمطبخ .. أي .. ولو سمع محمد
 سعيد انك تاخذ نعمان معك لتتباهي بابن المدير حتى " تبوك " على
 كيفك! اعود بالله من لساني.. الظالم يبني بيادر الحنطه والشعير
 و"جنايك " تضرب الناس "بالقرباج" وتهزب " الجاي " ولك "
 لمن تصلي وتصوم تريد " تقشمر " ربك ! "ولك مو هذا حرام"
 - هيه .. حرام !! والذين نهبوا حلال الكوخا مو حرام؟
 - ومن عرفك بذلك ..؟
 - الكوخا قال لي !!
 - الكوخا .. " بعد ما " دعبل " لك الطليان .. وو ..
 "الترس " يترك الامهات والاطفال في الدروب يموتون
 من الجوع ويتهم الناس بالسرقه وانت والشرطه "
 أدوسون " بيوت الجوعاتين بالبساطيل!!
 " اضطرب خالي ولم ينزع سترته "
 - ولماذا لم تطلب من " الكوخا " ان يشبعهم أو تساله لماذا
 يخفي الحنطه والشعير ؟

" شوف سالم " مال ابقى وياك هذا القطن طلعه من اذانك ولك
سويتته انا ونعمان ناكل حرام مثلك .. لا لا .. كل شي ولا هذه الحالة
فحتى "محمد سعيد" صار ميهمك وانتظر شويه.. لان "دكايك"
ما راح تخلي "محمد سعيد" يسكت وانت تنهب وتسلب الناس !!
- وماذا سيفعل بي "يطهرني" !!

- أي .. ومن اليوم راح أتبرء منك.. يالله نعمان نرجع
"البعكويه" .. بس شوف ..اني ماراح احكي بس راح اخلي ابن
اختك يحكي وبعدهه تعال طلّع روحك ؟"
"لم اشعر الا وخالي يسحب مسدسه من حزامه وقد انتفخ وجهه
وراح يردد بصوت مخيف ..

- والله لو تخطيت باب العتبه راح افرغ المسدس براسك
وانتحر ..!!

صرخت جدتي وسقطت فوطتها وهجمت عليه فركض "كا كالي"
على صراخها و القى بنفسه على خالي متوسلا فركضت باكيا الى
جدتي وهي تبكي وتولول .. "وبعد وبعد.. يروح " يونس"
واليوم سالم

رايت "احمد دولت" يدخل البيت ويضرب المسدس بيده وي طرح
سالم على البساط ..

ولاول مره ارى رئيس العرفاء مخيف الوجه وشواربه المعكوفة
الثخينة ترتجف واحمرت عيناه وهو ينزع نطاقه ويلقيه على
الكرسي صانحا ..

- لن ابقى في الشرطه بعد اليوم ..!!

ثم انحنى على جدتي و"باسها" من راسها قائلا .."أحسببهاه علي
ثم امسك بيدها ...

عندما خرجنا من البيت راينا الشرطه واقفين امام البيت.. ما ان
شاهدوا احمد دولت حتي دخلوا المركز متدافعين ..!!

"في الليل ونحن جالسون على ضفة النهر سألت جدتي احمد دولت .. اعرف يا ابو " سرهنك " ان سالم لولاك لما بقى ساعه واحده هنا وانا مرتاحه لانك انت من يمّشي الامور في " قره تو " .. بس شوف " احمد " قبل ما اروح اريك ان تنسى ما وقع حتى لا تصل الامور الى " محمد سعيد " و " اترجاك " أن ترجع من الاستقاله لانك ابن " و جاغات " نهضت جدتي نريد تقبيل راسه الا ان الشرطي بادر بتقبيل راسها متمتما بكلمات الاعتذار ... ولينتها ذبح لنا " خروفا " وجلس مع جدتي يحدثها عندما سألته وكيف اصبحت شرطيا وانت ابن اكبر اغوات " قره تو " قال مبتسما

"صحيح اننا عشيره كبيره ولكن الحكومه يام سالم اكبر والناس في القرى عندما يرون " الشرطي " ينهزمون من هيبه الحكومه ففكرت ان اشتغل بالشرطه وفي احدى المرات زانا "الميجر " وعندما راني اقفز فوق الحصان وهو يركض اعجب بي وطلبني من ابي لكون " ياورا " عنده فبقيت معه سنوات وقبل ان يرجع لولايته سجلني شرطيا واوصى بي , وكما تريني الان يا ام المامور انا مشغول بما يقع من مشاكل ومصالحات بين العشائ حتى صرت اعرف أن كل قضية لا تتحل هنا الا " بالفلوس اوالنسوان " والحكومه تعرف ما يدور عندنا ولكنها تسكت لانها تريد الامان !!

72

بقيت يومين العب مع الكلاب والارانب والغزلان التي كانت تملأ بيت رئيس العرفاء واسبح في النهرواطارد الخيول والحمير , حتى جاء خالي وقبل راس جدتي باكيا وارتفع الصياح والتوسل فتمنيت ان لا نرجع الى بيتنا لانني كنت اشعر بالفرح في بيت " دولت " حتى اجبرتني جدتي على الرجوع ؟

القي " كاكالي " السرج على ظهر الحصان ورفع السلسله
 من المعلف ورفعني بيديه الغليظتين الى ظهر الحصان ..!
 - لم لا تترك السرج على الحصان .?
 بدا كاكالي مشغولا بحصان احمد دولت الاسود "
 - كوره .. نه ي .. قلت لك مائة مره .. أنت صغير على
 السرج لاتقدر لان رجلك لا تصلان الركاب ..!
 - ومتى اركب على السرج !
 - عندما تصبح رجلا.؟

" نعمت " متى اصبح رجلا ؟
 ابتسم " نعمت " ومد رجليه الى الماء البارد ..
 - ولماذا تريد ان تصبح رجلا .?
 " جدتي تمنعني من القعود مع الشرطه وكاكالي يمنعني من
 ركوب الحصان الا بعد ان يرفع السرج وحمه يخوفني من جنيات
 النهر ..
 - ستغمض عينيك يوما وعندما تفتحها ستجد نفسك
 " بياوا " وعندك " موستاش " * مثل شارب احمد دولت ..!
 - نعمت .. لماذا لا تستحي النسوان مني وتستحي من
 خالي؟.
 - خالك رجل يا نعمان!
 - ولكن .. ولكن ..!
 - ماذا تريد ان تقول ؟
 - واللقالاق لم لا تستحي مني !!
 " نظر نعمت الى سطح المركز واللقالاق تططق بمناقيرها
 - كيف تستحي منك اللقالاق وهي طيور يا نعمان ؟

- اعرف انها طيورا ولكن عندما تنزع ثيابها تصبح نساء"
" سكت الشرطي وتهامس , وكاكا لي يغسل ظهر الحصان
الاسود حين لغط بكلمات ايرانيه .
- ماذا قلت له ؟

"ابتسم نعمت ونظر لي .."

- اوصيته ان يشتري لي خيمه صغيره ..!
- انت تكذب علي... لقد قلت له .. " جينو " !!
"جفل الشرطي ولملم رجليه ورفعهما من النهر"
- " جينو " !!

- به لي..انا اعرف" كاني جينو" وسبحت فيه!
"سحب نعمت" كيس التتن" المعلق بحزامه ووضعها
بجانبه وادخل يده في جيب سترته العسكريه واخرج دفتر "اللف
الصغير" ونزع ورقه منه وضعها على طرف بنطاله البرتقالي.. ثم
ادخل كفه في كيس التتن واخرج حفنة من التتن وضعها على
الورقه وبرم الورقه بعد ان بللها بشفتيه ووضعها في فمه واشعل
الزناد و"كح" بصوت عال
فسالني نعمت و الدخان يغطي وجهه "
- وماذا رايت في" كاني جينو" ؟

- رايت نسوان " زور جوانا " !!

" كنت وجدتي عند " فيروز خان " فاردت ركوب " بهرام "
حصان" عبدول فذهبت الى" الطوله " وحدي وكان الحصان
عاليا لم استطع الصعود عليه فكومت بعض الصخور عند رجليه
لاصعد عليها وكان المعلق مملوءا بالتبن والشعير ثم مدت يدي
في التبن وفتحت" الزنجيل" وركبت الحصان وحين رفع
الحصان راسه "أرخت" "أحبيل قليلا مثلما علمني كاكالي
والخيول تصهل و تحتك ببعضها ثم طلعت به الى الطريق بعد ان
ضربته برجلي على بطنه فأمال راسه واسرع مهرولا , وحين
هزرت أحبيل"شب"في الهواء وانا امسك بالحبيل حتى لا يوقعني
واستمر المهر صاعدا التلال وعندما بدءا بالنزول راح
"يعنفس" قدام " كهريز" بين الاشجار ولم اشعر الا بنفسى أطيّر

في الهواء وحين فتحت عيني سمعت أصوات " زن " واربعة " كجان " صائحات " مردوا .. مردوا " - وماذا كانت البنات يلبسن ..؟
 هن عاريات ولا يابسن " كراز " فخفت من النظر لهن وهن يتصايحن .. " مندالا .. مندالا " وجاءت نساء كثيرات مبللات وشعرهم ينقط بالماء نه وانه هه مويان.. " زن " وه كو كلاويز " ورونك " - و ثيابهن ..؟ قال الشرطي
 - هن لا يلبسن اية هدوم " ..هه .. هه .. دخن الشرطي سجاره اخرى لفها بسرعه .. - واين كانت ثيابهن ؟
 - جوزانم .. هي من الريش و شعرهن " دريج " زرد سور .. ره ش " - وو .. " نه مك " " اشار نعمت الى صدره ..! " - نه مك !
 - به لي .. عندهم " ديوس " مدوره و نازله وكبيره مثل البلور.. فقلت لهن اريد حصاتي فتضاحكت الجنيات ؟
 " تنهد الشرطي ولطم شرطيا مد عنقه فوق راسي .. - وماذا رايت أيضا ؟
 - " قاج .. ره نكي و كو ماست " !
 نعمت .. نعمت .. صاح كاكالي غاضبا ..

75

- الكلب ابن الكلب ..
 - من هو الكلب ابن الكلب ؟
 - " أنجب " *قلت لك لاتقعد مع الشرطه وكاكالي انت السبب
 - نه ي والله..

- اش .. اش .. لقد سمعت ما كان يحكي نعمان .. لا ..
"خوش" حال صار الولد !.

76

جدتي..

- هل ذهب خالي للحرب ؟
دمدمت جدتي باشمنزاز ..
من ذكرك بها يلعنها الله ؟
- لان خالي كان يحكي للاغا في المركز ويقول له كنت
ضابطا في الجيش وحاربت الانكليز فطردوني من الوظيفة
- به به دخلي يسكت احسن ؟
- من هو اللي يسكت يا جدتي ؟
- اش اش . اكفرا تنفس فتتلقف الكلمات .. ماما انا كنت
احكي مع نفسي ..

"اشعلت جدتي سجارتها وتنهدت .."
- " بدكة رشيد عالي " .. " كان الناس يا نعمان
يركضون .. والطائرات تضرب البمبات والمقتولين فوق
الارصفه والشوارع و لم يفكر احدا بدفنهم ..
- وابن كان خالي ؟
- في " سن الذبان "

"لقد اصبت بالخبال وانا اسمع اخبار الحرب فتركت بعقوبه الى
بغداد بعد ان رحل العسكر و بلا عقل ومن عربه الى عربه اصعد
وانزل تائه بالدروب اسال الجنود والناس .. عن سالم ؟
كان الناس يخفون عني, يسمعونني ويؤملوني سالم رجع الى
بعقوبه لكنني كنت الطم واصرخ كلما طقت "دانه" او مرت طياره
وعند "علاوي الحله " راني ضابط ملطخ وجهه بالسخام والطين
وانا تائه فنزل من السياره قاتلا..

لقد هاجم الانكريز "سن الذبان" معسكرنا بالطائرات
فانهزم من انهزم وقتل من قتل وانهزم واصبحنا لانعرف اين
نذهب فاتقي الله يا امي وانتظري قليلا حتى يعود ابنك!!
سالم .. سالم ...!!

كنت اصرخ ولا ارى شيئا و "مثل يوم "المحشر" رايت كل
واحد لاه بمصيبته , أما المصيبة الأكبر فهي الناس "فما ان
سمعوا ان " رشيد عالي " قد انهزم وتاهت الحكومه حتى هجم "
الهنثليه والحراميه والدايحين " على محلات اليهود ودكاكينهم
وبدءوا بالفرهود !! .

" وبين الرصاص المتطاير كنت اركض حافيه والعربان يذهبون
ويكسرون "جامخانات و"كبنكات" الصياغ والمغازات"
ويفرهدون الذهب والفضه واليهود يردون عليهم بالرصاص و
الناس مثل " الكلاب المكلوبه " لا يوقفهم حلال او حرام " يدمون
ويدوسون " علي القتلى .

هذا "شاييل "حجل وكردانه" وهذا شاييل طول قماش وذاك
شاييل "طشت" فمرت من قدامي عربانه مسرعه وسمعت "
العربنجي "يصيح .. الحقي يا والده فنزعت نعلي وركضت اريد
الوصول الى العربانه و"الفشك" يتطاير من حولي ولم اصل
للمحطه الا وانا "متشاهده" !

كانت المحطه " اتصوسي" فارغه من الناس فالذين لم يذهبوا
للفرهود بقوا في بيوتهم خانفين من الموت !
وبعد ساعات تحرك القطار ولم يكن في " الفاركون * الا جنديا
ورجال معمم وانا .. وما ان وصلنا "خان بني سعد" حتى نزل
الجندي من القطار.. أه .. ليتني لم اركب القطار " ضربت جدتي
كف بكف "

رايت " شاب يهودي يتفرج وحده على القطار ولم اسمع ألا
صرخه "رجت القطار من طوله الطوله" فرايت الشاب يقع على
وجهه فقد القى به الجندي على رصيف القطار و سحق راسه
بالبسطل ...!!

فصرخت بالجندي ..

"ولك ليش ياظالم النفس..الله لايعطيك ..ما ذنب هذا المسكين !! "

- ولماذا .. ضربه الجندي يا جدتي ؟

ارتفع صوتها متفجعا .. قتله لانه يهوديا ...!!

وهكذا الحال يا أبني فصار الناس يقتلون متبرعين دون

خوف لا من الله ولا من الحكومه ..

- والشرطه ؟

- يا شرطه .. " البلد تايه وكل شيء تايه!"

وعندما وصلت بعقوبه في الليل رايت اكوام من "تنكات

البنزين" ضربتها الطيارات تحترق. وبعد يوم بلا ماء ولا طعام

وصلت البيت وأنا أصرخ .. راح سالم !!

الا ان أمك أوقفتني وجرتني من عبائتي قائله ..أش أش .. سالم

نائم في الغرفه ..!!

نسيت تعبى وطعامى وشرابى والقيت نفسى عليه" أبوسه " وهو

نائم وأنا غير مصدقة فقد انهزم مع العسكر وجاء متخفيا ومرتديا

عباءة وعقال وكوفيه " فظل عندنا في البيت أكثر من شهر لا

يخرج للطريق وما ان هدأت الحالة حتى سلم نفسه للحكومة

فقدموه للمحاكمة لانها اعتبرته" افرار " * هرب من المعركة

وترك سلاحه ومع الواسطات وتدخل بعض الاصدقاء حتى

لايحبسونه طردته المحكمة من الجيش ..

" راحت جدتي تدخن كثيرا فسألتها في خوفاً ..

- ولماذا لم يسلم خالى سلاحه عندما رجع من الحرب ؟

قالت جدتي في حزن ..

- عندما انكسرالعسكر والطيارات تضربهم راح الضباط

والجنود الذين بقوا احياء ينهزمون و المصيبة لم تكن الانكريز بل

" العربان " الذين ما ان شاهدوا العسكر ينكسر حتى هجموا مثل

الجراد عليهم وراحوا ينهبون السلاح والارزاق يمسون بالضباط

والجنود فيأخذون هدمهم وسلاحهم والعسكر يتوسلونهم الابقاء

على سلاحهم لانهم يخافون من الحكومة ان تحبسهم او تصلبهم

لان البندقية " امانه" ولكن "العربان" الكفره اخذوا يذبحون

ويقتلون" بالقامات و" المكاوير" * من لايعطيهم سلاحه وحتى
يتخلص سالم من الذبح سلّم سلاحه لهم !!..

77

" طقطقت اللقائى بمنافيرها وارتفعت اصواتها
وفرشت اجنحتها البيضاء فوق "المخفر" فنظر "ملا احمد"
الى الارض التي رجعت تغطيها الخضرة قائلا ..
- جاء الربيع يا ام المامور ورجعت الدنيا مثلما كانت "
تنهد " كل شي رجع الى حاله "القججيه" والواوية والحراميه
"كأن شيئا لم يكن , حتى الناس نسوا المصيبة .. !
" نفخت جدتي سجاتها وبانت على وجهها الحيره ..
- هي الحياة دائما " يا ملا " مصارعة بين الخير والشر
"الافنديه والفجج جيه..الفقراء والاغنياء ولا يدوم الا وجه
الكريم.

- صحيح يام المامور.. والا كيف يعيشون!!
" نظر " الملا" الى الارض والجبال وقد فرشتها "ازهارالبابونك
والنسرين والنرجس والقلغان والكعوب والشقائق الحمراء
والزرقاء" وامتلات باصوات الاغنام وعاد ينظر الى سفوح الجبال
ويتنهد..

" عندما هاجمنا الجراد رايت الارض التي لم يبق فيها غير
الرماد والشوك والجياح والانهار اليابسه حتى حسبت ان الساعة
التي وعدنا الله بها قد حلت ونحن ذاهبون اليها اما , اليوم
وعندما رايت اول فرع اخضر قي الارض اليابسة سالت نفسي ..
وهذه الازهار والانهار والنجوم من هو صاحبها و لاجل من
رجعت فصليت لله تعالى انه من يعرف الجواب.

78

- ولك.. نعمان قلب كل شي ولا اعرف ما علي أن افعل !!
 - اسم الله.. ؟
 - لا.. " ماكو شي " قال خالي..
 ان ابن ابنتك دق لي طبل " يم " الشرطه قانلا.. خالي
 انتقل الى بعقوبه والان لا احد يدري او يشتغل وحتى المختار
 وصل قانلا " سلامت بي " متى ينفك حضرتكم من المركز ؟
 ايصيرانتقل ولا ادري.. زين.. ومحمد سعيد كيف
 يصدق هذا " الزعوط " !
 - ولك يا زعوط هذا ! لا تبحث لك عن حجه الم تقل
 لمحمد سعيد خلصني من " هالنكره " فلماذا لم تتصل و
 تعرف ماذا وقع
 - أي.. " مو " التلفون " خربان " ومحمد سعيد بالشام
 - " بالشام لو يحلب " صاحت به جدتي.. فمن هو وكيل
 محمد سعيد ؟
 " كان صياح خالي مسموعا "
 - واحد من اقرباء المدير العام!
 - ولىش خايف .. ولىش انت " بايك سايك " !!
 - همم ..
 - أشو اتهمهم " اييين امسويلك مكسوره وتخاف ..

79

وقف افراد الشرطه عندما اصعدوني الى الباص الخشبي
 وكانت بعض النسوان يتكلمن مع جدتي ..
 كان اخر مارايته اللقالق .. تنظر من فوق المركز منشغلة
 بأعشاشها و سمعت صوت الشلال يتعالى ونيران هورن شيخان
 تتصاعد من بعيد ..

- قالت ناردين .. "خوا حافيز .."
"عندما تحرك الباص راح "ايوب وحسه ويعكوب" يركضون مع
الباص فارتفع "العجاج" ..
بقي "حمه" ساكت ينظر الى المركز وهو يختفي وراء الغبار .
اعطيت "حمه" مابقي عندي من "السهميه والكليجه" التي
ارسلتها امي لنا فمد "حمه" يده من السياره والقاهها لهم فتوقفوا
يجمعونها من الارض , الا ان خالي لم يعترض او يقول شيئا !!
حين ابتعدت "قره تو" شعرت بالحزن تمنيت من كل قلبي ان
ترجع السيارة فقد شعرت بانني سافتقد الجبال والشط والاعنام
والخيول واللقائق و" ناردين وكاكالي وايوب ومام شمدين وحاجي
ميران والشرطه والمخفر" .
"عندما غابت " قره تو " وراء الشمس الحمراء تملكني
احساس بالحزن ورغبة بالبكاء فامتلات عيناى بالدموع وادرت
وجهي كائني ذاهب الى عالم لا اعرفه .."

شناء اللقالق ..

بعقوبه

- 2 -

شناء اللقالق

بعقوبه

- 2 -

" حشاره الله يساعدكم

خبز شعير ما عدكم " *

" كانت اصوات اولاد " القيصريه " تسمع بقوة

ووضوح وهم يرددون بصوت عال عبر الدروب المظلة على النهر

وقد انهمك الفلاحون وعمال البلدية في حشر " نهر خريسان " !

كانت مئات المساحي ترتفع مرة واحدة لتلقي بالطين الى

الضفتين التي تكومت عليها الاطيان والاحجار وارتفعت روائحها
فشعرت بالدوخة من رائحة " السيان " الاسود .

" تارجحت العربة وهي تمر بين اكوام الطين وفي طريق

ضيق لا يسمح بمرور أحد الا وتلوث بالاوساخ .

هوب ..!

سهلت الخيول ورفعت اقدامها عندما صاح عليه

" جاوش "

البلديه..

- و لك وين امولي .. اعمى لو مفتح !!

جفلت الخيول وداست اكواما من " النوى " الذي تركه

الحشارون بعد وجبه الظهر المعتاده من " التمر الزهدي والخبز

" فاضطر " العربنجي " * الى الوقوف و الدوران الى الورااء . و

الخيول تتعثر وتسهل خانفه ...

- أي .. عمي .. مو الطريق مسدود ..

- أي و عمه اليعميك .. روح الى طريق " الهويدر " ..

اجفلتني صيحات الجاوش وهو يسب " العربنجي " فانكمشت في

مكاني خانفا من هذا الاستقبال بعد ان تعودت على كلمة " كاكاء "

التي يفتح الاكراد فيها حوارهم !! قيل ان يتعاركوا ؟

" نزل خالي من العربة وهو يسب ويشتم الحشارين عمال

البلديه الذين يلقون " التمر " نوى الى الارض الا انه سكت

وصوت " جاوش البلديه " * يتمتم..

أي ..نعم بيك .. بس "ديالى" السنه تهدد
بالفيضان فكان من الضروري الاسراع بحشر النهر والا غرقت
الولاية !

- ولكنكم لم تتركوا طريقا للعربات ..؟
رجع وصعد العرباته وهو يقرط شارباه باسنانه ويتأفف.
- بيك .. مهمتنا الحفر لا تنظيم المرور . !
"رايت يد خالي تهتز وكأنه يريد أن يضرب الجاوش الا ان
جدتي جرت يده بعنف ..
- سالم ..! هاي مو "قره تو" حتى تضرب الناس
على كيفك" *

شهق خالي مزمجرا وهو يقظم شاربه الاشقر وتراجع
وصعد الى العربة ..
ظل صوت الاولاد عاليا .. وهم يتقافزون على أكوام الطين
حشاره الله يساعداكم ...
كانت الفوضى والروائح العفنه في استقبالنا وقد شعرت بالتعجب
والالام عندما رايت "القيصريه" ضيقه وسخه فاحسست بالضيق
وتمنيت الرجوع الى قره تو والجبال ورائحة الشفانق والورود
والنهروالخيول ..
" فجأة تنبعت على صيحات فرحه .. من هنا وهناك
- ولكم هذا نعمان ..!!
تصايح اولاد القيصريه عندما شاهدوني قاعدا في العربه
مستبشرين ..

"و لكم .. نعمان رجع من الاكراد!؟."
هيه هيه ؟
وتراكض الاولاد مع خيول العربة يتضاحكون وقد ارتفعت أصواتهم
نعمان .. نعمان !!

- تدرّون ؟
 " هوبي " شاف الملك
 - الملك ؟
 - هوبي ... هوبي.. المحبّل ؟
 - أي هوبي !
 - يكذب!
 - و"سيد ادريس " !..
 اش اش
 - وكيف رايت الملك ؟
 نزع هوبي " العرقجين " من راسه وانبطح على التراب ووضع
 مرفقيه على الارض, قعدنا حوله نتفرج ...
 - كنا نمشي في "شارع الرشيد" انا وابي ..
 - واين كنتما ذاهبان ؟
 " نطرشيد ..يساله "
 - "سوق الصفاي " *
 - يا جماعه "خلونه" نسمع ؟
 وسمعنا " مزيفه وجنانات" وثلاث سيارات مليئه
 بالجيش والشرطه يصيحون .. ديرو بالكم .. الملك !
 "أي .. الف "ماطورسكل " واكثر تصيح ..
 " أنحنى هوبي وكأنه يركب دراجه بخاريه وراح يحرك رجليه
 ويديه "

" غن عن "

أي .. وعلى "الماطورات " كان يركب شرطه هدومهم
 حمر وسود وفوق رؤوسهم " قحفيات " من الذهب وكانت
 تمشي معهم خيول وسيارات جيب ومدافع ورشاشات ..!!
 وانبطح الناس على الطريق .. ومرت سياره وهي من
 الذهب والفضه تبرق تحت الشمس وكان "فيصل الثاني " قاعد
 في " القماره " أي والله .. فيصل الثاني بس.. هو مو مثل صورته
 المعلقه في مدرستنا , هو احلى من الصورة. حتى ثوبه كان من

الذهب والحريير وبيده "محابس" من ذهب و"در" و كان يضحك
ويسلم على الناس والسياره تمشي " يواش يواش " و "بعد
اشويه "
ثم وقفت السياره ونزل الملك وجاء ماشيا على رجليه وما ان
رأني حتى قال ..

- عيني.. "وهيب" قوم اقرا لي محفوظه ؟
فقرأت له ..

" مليكنا مليكنا نفديك بالارواح !
عش سالما عش غانما

بوجهك الواضح

- ها .. اشتغل التسفيط!

- وابو ادريس .. وحتى فيصل الثاني قال لي.. "
شوف هوبي لا تنسى روح الي "مصطفى الشالجي"
ليعطيك هديه.. أي واذا..

لم تصدقوني .. الملك اعطاني ربع دينار..!
" راح يفتش في جيب " الدشداشه "
ربع دينار .. أي.. والله !

" اشو وين راح الربع .. ها .. أي.. مو ابويه "كفخني"
واخذ الربع مني واذا لم تصدقوا "خلونه نروح للعلوه" و
نسألنه ؟.

- يالله نروح ... صاح الجميع !

- اقول .. خلوها العصر .. "ابويه هسه " بالجامع .

- ولك يا جامع !؟

صاح "سمعوا" هو اكو واحد عدكم يندل باب الجامع؟
- ومو بس هاي و يقول انروح "للعلوه" ولك يا علوه؟
قال رشيد .

اضطرب هوبي وتراجع حتى حانط " بيت مبارك "
- عيني "سمعوا" .. دخلي هوبي يحكي وبعدين نتفاهم
وياه ونشوف؟

- هو هو.. ولك .. بس عاد هوبي ؟

- فيصل الثاني يسلم على ابن البقال !!
- عاعا .. شوفوا الكذب ؟
- زين .. والملك بعد وين راح ؟
- تحير هوبي بين الاصوات المتصاعده فالتفت لي ..
- عيني نعمان .. انت مو شفت الملك ؟
- ابويه شافه !
- شفتو.. مدير الشرطه شاف الملك ليش تكذبوني ..!
- ابن الحرام.. انت وين والمدير وين !
- " من طرف الدر بونه سمعنا " فخريه العرجه " تقول مستغربه.. "
- زين والملك يمشي على " الكاع " حتى يوصل لابن حمودي
- و" احمده " أبوالدوندرمه " يقول.. والملك من يفرشون له
- الزوالي والسجاجيد و" يذبون " عليه الورد وابن البقال " جنبه "
- فيصل الثاني .. يمشيله .. اوي .. " فدوه و لك جوز ! "
- زين نعمان .. وبيت بيت الملك؟ مو مليون " ميوه " ومربى
- و غسل وقيمر!
- أي .. والملك ؟ ميصافح أحد بس الناس تبوس أيده ..!
- أي .
- وسيد ادريس ...!!
- أش أش ...

3

- استمر " ابراهيم وكرومي " يتراکضان حولي وانا أدفع
- بالسياره متعجبين ...
- أي .. واولاد الاكراذ هم الذين يعملوها .
- وهذه " ستدي بيكر "

- لا.. قماره ؟

مد رشيد اصابعه الملوثة بالطين ناظرالى "اللوري الصغير
- الم تقل ان الاكراد ينقلون بمثل هذه اللوريات تنقل الفحم

من الجبال .. كيف يصنعون الفحم ..؟

" في احد المرات ذهبت انا وحمه الى "هورن شيخان"

ورأيناهم يكسرون اشجار "الحبه الخضراء" والبلوط والجوز
ويشعلون بها النار وتبقى النار تشتعل ليل ونهار حتى تصير فحم
بس .. هذه النار تنطفئ في الشتاء وترجع في الصيف ..!"

- و"الكواني" ؟

- الكواني .. يملأها الاكراد بالفحم ويحمون بها اللوريات

- زين واللقالق سألني " غفوري "

- هي تعيش فوق المركز.. تطلق بمنافيرها , وتقول جدتي..

هي تذهب الى " قصر شيرين" في الشتاء وترجع في الربيع الى
قره تو..

وتدرون ان اللقالق بنات سحرهن واحد من السحارين لانه اراد
الزواج بهم ولم يقبلن ؟

- ومن يقول ؟

- كاكالي !!

- ومن هو كاكا ؟

- وانت .. اش .. دخلك *

كان " ابن النداف" اكبر منا و يتدخل دائما فيخرب قعدتنا وكنا
نكرهه !!

ولكن صوت" ابراهيم افندي " جلجل عاليا ..

" ولك " عميطي" .. ابن "الكاله " اشو هم لافي هنا والله لو

شفتك تتحارش بالاولاد ..!

"سمعنا العكازه تطير فوق رؤسنا فقفز عميطي هاربا .."

نهض "جودي" من الارض وارجع للضابط "العكازه

- أي .. نعمان ..وبعد ..؟

- أي ..مو هذا ابن النداف ..!

- "خلي ايولي .."

- أي ..
وكان كالكالي .. يمنعنا انا وحمه من السباحه عندما يكون
القمر بدرا لان اللقالق في هذه الليالي تنزع ثوب الريش فتعود الى
أصلها وإذا رات البنات احدا يتفرج ...!!

" تصايح الاولاد "

- شيصير ؟

- ايصير حجاره !!

- ليش ؟

لان الساحر جعل كل من يحاول الاقتراب منهم حجاره لان
الساحر يخاف يتزوجن ويذهبن منه ..

- وبعد يا نعمان ؟

"مره صعدت انا وحمه الى عش اللقالق فوجدنا قلاده من

ذهب!!!"

- واين ذهبتم بها ؟

- "حاجي ميران" قال لنا ان اللقلق نهبتها من "بروين خانم

- وماذا اعطتكم بروين ؟

- الاكراد .. ليس عندهم فلوس فاعطتنا تين وجوز .

- و من هو "حجي ميران" ؟

" أبو الجايخانه وأنا وناردين كنا نروح له يوميا فيعطينا

"القند " لان الاكراد لا يشربون الشاي مثلنا ! ويشربونه "

دشلما " يضعون فص القند في حلوقهم ويصّبون الشاي

بالماعون ه ويشربونه مرا .. "

- زين.. وماذا في الجبال ؟

- كل شي.. غسل وجوز وفسق وغلان وذبابه ودبيه ..

بس.. الدبيه تقتل من ياخذ العسل منها ومره اخذنا " احمد دولت "

وكانت عنده " برنو " * فضربها بالطلقات .. طاخ .. طاخ ..

واخذنا العسل منها وعندما جاء الليل قال دولت .. خلي نروح ترى

الدبيه راح تهجم علينا ..

- والحبه الخضره ؟

- " قزوان " هي مثل الزعرور ..

صاح الاولاد ..
- متى تلخذنا معك للجوز والعسل .. ؟
- وكيف تروحون وانتم لا تعرفون كردي ؟
تروح انت وحمه معنا ..؟

4

" عند مدخل القيصريه ظهر " تحسين " فصاح
"سمعو" ولكم تحسين وصل من " الحله " فتراكضنا صائحين..
تحسين تحسين ..!
- تدري .. هوبي شاف الملك ؟
- ابن المحروق !! انا شفت الملك ؟
" تجمهرنا فوق " قنطره " ابراهيم افندي " متدافعين وارتفع
ضجيجنا

- زين تحسين.. واشلون شفت الملك ؟
- كنا نسبح بالبحيره من نزلت طياره الملك ! ونزل
فيصل الثاني فصفقتا له وصاح علينا ..
تعالوا .. أغسلوا الطياره وغسلناها بالماء والصابون وكنا
نملئ السطلات من ماء البحر ؟
- وصدق ماء البحر مالح ومر ؟
- أي ! وامي من تريد ملح تطبخ به تصيح علي
تحسين.. روح جيب شوية ملح ؟ وأروح اغرف بالطاسه
فتاخذ ه امي من يدي وتضعه في القدر !.
- ياه !
- وكيف تمشي الطياره على الماء ؟
اش .. اش ..
" ولك .. بها " مكايين والمكايين من يلاذ بره " تخليها
تسبح فوق الماء "

- ومن عرفك انت يا هوبي .؟
- زين خلي نسال نعمان! موانا واياك رحنا الى سينما " بيت حبيم" وشفنا الطياره تنزل للبحر ؟
- ياجماعه خلونه انشوف الملك وبعدين اسالوا "
- أي.. تحسين وماذا كان يلبس الملك ؟
- مثل جماعة " معلم ابراهيم افندي " يلبسون كشافة وينشدون ..
- " ارتفع صوت الاولاد سويه وراحوا ينشدون .."
- " ياهنا نا.. في الربيع "
- اي.. وفيصل الثاني لابس مثلهم , كل شي أزرق !
- ويقولون الطياره تحترق لو اشعلت شخاطه فكيف وصلتم لها ...
- " ففتشونا الحرس وحتى" الدعبل " اخذوه منا ومن كنا نغسل الطياره .. دخلت انا غرفه الملك !!"
- " صاح الاولاد بصوت واحد "
- غرفه في الطياره !
- أي.. بس.. و غرفه الملك فيها قنفات "اسكمنيات شطح" !*
- والفراش يا تحسين ؟
- " ابتسم تحسين ولمعت عيناه الصفراون "
- وأفراش .. ينزل ويصعد .. كله " سبرنكات "
- واللحاف من الحرير والدر والياقوت ..
- و "الدوشك"*
- أي.. والمخدات و" الجراجف" ؟
- كلها من الحرير وريش النعام ومطرزه بالورد ومليانه بالريش ..
- والنعام.. شنو ؟
- نعم !!
- والريش ؟
- مثل الريشه اللي يخليها " ابن البرشه" في سدارته .."
- إي ام الريشه ! واللي يسموهم ...

- لفي .. لفي .. قال عيسى ابن ليلى فرحا..
 - والقنقات يا تحسين ؟
 - من الفضة والذهب والخشب و"الكلوبات كلها ثريات
 من البلور الاحمر والاصفر ..!
 " اخرج هوبي كومه من الدعبل الملون من جيبه "
 ياجماعه مثل هذا الدعبل " اصفر واخضر و"كلكلي" واحمر "
 - وقبقاب الملك ؟
 "غضب تحسين عندما احتكت به حمير بيت " جسمله" المحمله
 بالجص
 - يا جماعه كل شيء من الذهب .
 " نفص تحسين دشاشته وهمهم غاضبا .. أي .. مو هاي الزمايل
 وصخت هدومي ؟
 قال هوبي ..
 - انا قلت لكم سياره الملك من الذهب والالماز !!
 - وكيف ياتي الملك بالذهب ؟
 - أنتم ما تعرفون؟ الملك عنده جبل ياخذ منه الذهب ويعطي..
 - آ .. آ .. ولماذا لايزو الملك بعقوبه ؟
 - سيزورها قريبا !
 - ياجماعه خلونه نشوف الطياره ؟
 - أي .. تحسين.. وبعد ذلك ماذا فعلتم ؟
 - غسلنا الطياره فاعطانا الملك اكراميه..
 - اكراميه ! " صاح الجميع ...
 - فتمتم تحسين وادار وجهه متعاليا .
 - لماذا لا تقول ؟
 - اعطى كل واحد منا " مائه فلس" !!
 " شهق الجميع "
 - مائه فلس !!
 " أي .. "ميت فلس " ووزع علينا " الجكليت والبادم
 والبسكت .
 - والوصى ؟

- كان يلبس "سداره" "سوده" وبيده سبحة من الياقوت .
- وماذا أعطاكم الوصي ؟
- اراد ان يعطينا.. ولكن الحراس طردونا ..!
- ولد الكلب ! ؟
- أي وطارت الطيارة ودارت " البنكه" وكان صوتها عاليا وظلت تمشي على الماء و صعدت ..
- وكيف تطير الا يخافون.؟
- لا .. بالطيارة اكو حزم يشدونها على بطونهم حتى لا يقعون
- والحزم "هم" من الذهب ؟
- " تلمس " هوبي وكرومي " الحزم الملفوفة على دشاديشهم "
- هو ..وو, كل شي من الذهب و طارت الطيارة ومالت وسلمت علينا فصفقتنا لها !
- "التقط تحسين عود يابس من التراب وراح يعلسه بين اسنانه أنيالك تحسين..شفت الملك ؟
- استدار تحسين محاولا النهوض من مكانه وكأنه تذكر شيئا
- انتم لا تعرفون بان " فيصل الثاني " كراني" ؟
- اشلون اشلون .. فيصل الثاني كرانيك .؟

5

- والملك يا جدتي.. قال تحسين لنا هو.. كراني ؟ شنو كراني ؟
- ابتسمت جدتي ..
- يعني تحسين والملك ولدوا في يوم واحد !!
- كيف يكون فيصل الثاني وتحسين ولدوا في يوم واحد

- أي .. أبني.. الناس يولدون ويموتون بإرادة الله .. الحمال
والملك فلم لا تصدق!! وهذا مكتوب على "الكصه " هذا ملك
وذاك "عربنجي" الله وحده موزع الارزاق والمناصب !
- أذ كان ما تقوليه صحيحا يا جدتي فلماذا لا يكون تحسين
ملكا ؟

دمدمت جدتي..

" أي.. وليش ميصير ايصير بها الدنيا كل شي"..ابن "العربيه"
يصير ملكا !

- الحمال والملك ..؟

6

صاح ابي بصوت عصبي ..

- ولك وين رايح من الصبح .. هم رجعنا لطلايبك "

- الملك .. يا بابا ..!

"سمعت ساعة الحائط تدق سبع دقائق "

- ولك يا ملك ؟

" من المجاز سمعت ابي يقول لامي .."

- اي .. والملك من يقعد من النوم ايريد له ساعه وساعه

يمشط ويسبح .. ومن ياكل ساعه !! "

" أنبرى رشيد " قانلا .."

- ولكم وين رايحين واليوم عطله ؟

- الم تسمع .. الملك راح يوصل " بعكوبه" !!

- الملك ؟

ومن راس الدرّبونه رايت هوبي..يتقافز مثل "الشاذي" صانحا ..

الملك .. الملك ..!*

لعلع صوته عاليا فخرجت " فخرية " من بيتها وحتى الخبازه "

ام كرومي وليليى الملايه" وقفوا امام حائط بيت "حجي رشيد.."

الملك ... الملك !!

امطرت السماء وتحولت الفيصريه الى طين وزلق فصاح رشيد ..

- اركض !!

- والمطر ؟

- هووه .. خلي نتبلل شوويه ؟

"الحق بنا "كريم وابراهيم وابن ابو البريد" وكان هوبي واقفا
امام الدربونه وقد ادخل دشداشته في بنطاله الاجرب ونزع
العرقجين ..

هوبي .. عيسى يريد المجيء معنا ..؟

اش .. أش

- ليش الملك فرجه لا .. لا ميصير!

و"فخريه اتريد اتشوفه ؟

"زعق هوبي وقفز هنا وهناك وضرب على صدره فوقفه" ودود
" صائحا..

- ولك انت منو حتى تمنع الناس ؟

- عيني "ودود" "مصطفى الشالجي" جعلني مراقبا وقال

سجل الاسماء ..؟

" اخرج من صدر "دشداشته" .. دفتراً ... ها .. تعال اقرا ؟"

"سمعو .. رشيدد . ابراهيم . كريكر .. جمله .. ملوكي" .. بس

انت ونعمان وسمير مو وياهم ..ابكيفكم!

صاح كريم .. ولماذا لم تسجل اسمي !!

- ها ها .. ابن " الخبازه و ابن هيدي وابن جسمله "

" ظهرت " نللي " بجزمتها السوداء وقد شدت شعرها الطويل "

بقرديله حمراء" وحملت بيدها باقة من الورد فلم تنظر لنا

- زين ونللي ؟ قال ابن ملا حميد ..

جفل هوبي !!

- لا يابه .. البنات مو وياته ؟

"وضع مصطفى الشالجي سدارته تحت ابطه وقال بصوت

عصبي.."

- من هنا تسيرون بالاصطفاف والغائب اشوي اذانه. معلم
ابراهيم . معلم خليل .. يلله ؟!
- انا سأخذ البحاره .. قال معلم ابراهيم ..
- زين ابراهيم افندي .. روح ..!
" يس يم .. يس يم "
" حاول هوبي القفز الى " البقجه الصغيره " فصرخ المدير به
- هوبي .. ماذا تفعل بالحديقه !"
- استاد .. اجيب ورد .. ؟
- امش من هنا ابن الكلب ... الورد للبنات ..
" من "جامع الشابندر" و"الوكفه " وحتى البلديه اوقفونا على
حافه "خريسان" و الكناسون يكرفون الطين والوحد وقد امتلات
الساحه بالاعلام العراقيه!"
- متى يصل الملك ؟
- بعد قليل !!

7

أرتفعت صيحات الاولاد في "الدربونه" عندما اصطدمت
طياره ورقيه باريل الراديو فارتفع صوت "بدور"
"ولكم .. تالي عاد مو خربتوا الراديو" !!

8

- قال كَرِيم لقد تعبت من بيع الخبز واريد ان اذهب الى
قره تو الم تقل لي ان الجبال مليئه بالجوز والعسل والحبه
الخضراء .

- انا اقدر اصعد الجبل و "احوش" الجوز والغنب
والزبيب ولا اريد منك الان الا ان تدلني على الطريق حتى اروح
وحدتي؟..

- والذيابه ! بس تروح تاكلك ؟ واين ستنام ؟ كان
يمكن يخليك " مام ميران " تنام في " الجايخاته " ولكنه افلس
وترك القهوة!

"كرومي" .. غير تقول من الاول حتى ياخذك حمه لو
كاكالي و هسه كل واحد ماكو !!

- زين.. نعمان وكيف سافرتم الى الاكراد ؟

" ركبنا بالعربه ولا واحد في الولاية ..بس .. الديكه
"تعوعي" وبعقوبه حلوه من الصبح وماء خريسان صافي والبط
يسبح و الموز مدلي على النهر و"الدفلى" على الشواطى حمره
وببيضه و حتى الدكاكين "معزله" .. وقعدت جنب العربنجي
وظلت رجلي على جرس العربانه.. ترن .. ترن " ومن وصلنا
المحطه ونزلنا من العربيه" قالت جدتي ..
"اريدك ان تقعد على المسطبه ولا تتحرك ولا تقترب من السكه
حتى لا يفوتنا "السريع" .

" رايت "سطلات" حمراء لاطفاء النار" وجدتي تقول.. ومن
تشتعل النار " يطشون " الرمل عليها .. بس .. السطلات فارغه
وليس فيها ماء,, بس رمل ولم يكن في المحطه حتى ولا شرطي ..
بس .. "الضوايات مشعوله" "!!"

- أتذكر يا كرومي ؟

من وصل" الوصي" للمحطه الجديده , كان يلبس ملابس خاكيه
مثل الضباط والحراس ملتفين حوله وكنا نقف على الشارع
والبنات يلقين الورد عليه وحين نزل الوصي اعطته المعلمه مقص
من الذهب .. قص به الشريط الطويل فصفقتنا له حتى دخل هو
و"الكباريه" الى المحطه

- أي .. وانتظرت والمحطه فارغه والعصافير تطير

قرب السكه فسمعت ماكنه الماء تشتغل..

"جو .. جو"

خفت ورحت ابحت على جدتي فوجدت بابا مفتوحا دخلت منه
فرايت صورته فيصل الثاني فوق " جربايه" من الذهب و قنفات
نظيفه ومزهريات "جوري" وفوق الشرشف الاحمر كان تاج
مطرز بالذهب , ما كدت امد يدي حتى سمعت صرخه اخافتني ..
- ولك شكو عندك هنا ؟

وهجم علي شرطي عنده شوارب ثخينه "بالدونكي" !! بس.. "
المراسل" وصل وصاح بالشرطي .. ولك.. هذا ابن مدير الشرطه !!
وخاف الشرطي والقي بسجارتته الى الارض وداسها برجله وراح
يتوسل والله ما ادري ..
قال المراسل لجدتي ..

- ام سالم .. نعمان .. دخل غرفة الملك ؟
صاحت جدتي مرعوبه .. ولك شلون.. اتريد تهجم بيوتنا ؟
قال كرومي ..

- زين .. شلون بس ارواح للاكراد ؟
- أنا راح احكي مع حمه ويشوف لك درب ؟
" من اخر الدرّبونه تصاعد صوت الخبازه ولك كزيم موالخبز
برد؟

9

قال هوبي.. وهو ينزع " العرقجين " من راسه طواه امسك
بحبل غليظ من " الليف" لفه حول رقبتة "
- والان ستشاهدون كيف انتحر "يونس" ؟
"توقف رشيد عن نبش الطين الاسود المتكوم حول نهر
خريسان واقترب من الدرّبونه"
قلت له..

- هوبي يريد ان يصلب نفسه ؟
فقال هوبي .. نعمان جيب لي " اسكملي" من بيتكم؟

"وما ان دفعت بكرسي الخيزان من الباب حتى قفز هوبي
وقعد عليه ووضع رجلا على رجل!!
- نعمان . لم لا تعطوني واحد من هذه " الاسكليات"
- اش .. اش .. ابن الكلب .. صاح به قدوري ثم اشار لي
نعمان لتلعب مع هذا " الشاذي " ؟
" تلهى قدوري مع امراه حملت على راسها "سفطه" من
عباءات الغزل
- بسيطه .. قال هوبي لرشيد ..
- راح اصعد على الاسكلمي واربط الحبل بالشباك ,
تعال ابراهيم وانت يا رشيد امسكا لي الاسكلمي ؟*
- والان !!
"كرف هوبي حفنة "حامض حلو" من صينييه "ابراهيم"
ووضعها في حلقه
- ولك ما تشيع من الحرام ؟ يلله جيب " عأته "؟
- نعمان .. اعطيه عشره فلوس وسارجعها لك بعدين؟
- واذا مت .. قال كريم..
- بسيطه .. ياخذها مني بالجنه !!
- بالجنه ؟ عبالك الجنه " خان جغان " وابن البقال حاجز
بيها " لوج " !
صاح رشيد بي ..
" قشمر " !!
ولك تعطي الحرامي عشره فلوس؟ ياجماعه ابن المدير يستحي
وهوبي ميستحي .. وهسه اطلعها من عيونه .. جيب ؟
- خليها ..!
- ولماذا ؟
- لان نعمان يريد ان يعرف كيف مات خاله !
"صعد هوبي على الكرسي ووضع الحبل حول رقبته
وربطه بالشباك ثم رفس الكرسي بقدمه ..!"
خ .. خ .. خ ...

رايت هوبي يرفس الحائط وقدامتلا فمه بالتفال وكريم ورشيد
يتفرجان عليه ويضحكان !!
- ها ابن الكلب .. خلونه نشوفه شلون يموت يموت !!
"التفت قدوري عندما شاهد هوبي يرفس . متعلقا بالحبل فركض
صانحا ..

" ولكم.. راح يموت ابن حمودي ..?
قفز قدوري وامسك بالحبل وقطعه بسكينه صغيره اخرجها من
جيبه فصرخت بانعة العباءات ..
مات الولد .. مات ..?
- ولكم شيموته ؟
القى قدوري.. هوبي فوق " السيان الاسود* وداس على بطنه
بالنعال
- ابن المحروق .. تريد تبلي الولد , الا يكفي ان خاله قد
مات ؟
"انقلب هوبي على ظهره وتلطح وجهه بالاوساخ , فركضت ام
كريم صارخه "

يبو ..يبو "
- منو مات ؟ .. هوبي..؟ لا .. قصرت يا قدوري ليش ما
خليته يموت وخلصتنه من شره !!
ظل هوبي ممددا واصفر لونه فرجع قدوري ورفسه على على
جنبه !

- أي .. وتعتقده مات ؟ قال رشيد ..
- ابن الكلب.. هذا " بزون ابو سبع ارواح"
رجع قدوري مهددا والله لو شفتك هنا لخنقتك بيدي ولكن ؟
وصل.. سمير وعبد الودود" راكضين !
- شكو ..?
- هوبي مات .. قالت "ليلي الملايه "
- اشلون .. اشلون ؟
- اتعرفون " اشار قدوري اليه ..

- اراد توريط نعمان عندما حاول ان يصلب نفسه
 بالحبلى.. ولكن ..
 - كان لك ان تتركه يفتس؟
 - ايا ابن الكلب.. همهم "ملا حميد" بصوته الغليظ ..
 الا تكفي مصائبهم حتى تجدها لهم.. ولد "الاوادم" يركض لهم
 الموت ركض "شكول" هوبي ينهزم منهم الموت لا حول ولا قوة
 الا بالله!
 " ارتفعت الضحكات من اخر الدربونه وتجمعت نساء كثيرات امام
 البيوت فامتلات الدربونه بالاولاد والبنات وانفتحت ابوابا اخرى
 حتى " ام يوسف" سالت زوجة النجار
 صدق هوبي .. مات ؟
 - عيد يا "ام نللي" لو مات وخلصنا من شره " عفيه
 وقت " ابن الاوادم يموت وابن الزنا ايعيش "
 "اختفيت وراء العباات عندما ظهر" معلم يوسف " من اخر
 الدربونه مترنحا وقد تهدل شعره على وجهه ..
 " ها .. جاء السكران .. "

10

قال حمه.. حين راني خائفا.. من دخول البيت ..
 - لم لاتدخل ؟
 - "وزبا" *
 " اشرت له ان يسكت .. اخاف تطردني امي !."
 - بو جي؟ الا تذكر خالي يونس؟*
 - " له فكرم جو !"
 " عندما أنتحر خالي قالت لي بدور ..

- من هذا اليوم يانعمان ما راح اخليك تدخل البيت انت
والجنطه ..بس تنتظرني برأس الدربونه حتى اخذ الجنطه منك
حتى ما تعرف "بيبي" انت راجع من المدرسه .. فهمت ليش؟
لان "بيبي" ضيعت ابنها و"باجي مريضه" !!
وعندما راتني بدور ابكي.. احتضنتني وبكت .."
" ليش ليش .. يونس يا عيني.. ليش سويته ؟
- وتعرف ياحمه ؟
اليوم اراد "هوبي" ان يمثل امامي كيف مات خالي!!
- وتريد تبقى بالدرب وما تدخل البيت ؟
" ارتفع صوت امي .. لم لاتدخل البيت ؟
"همست له " اسكت ولا تحكي لهم وساحكي لك ما تريد بالكردي

11

"من عادة امي وجدتي البقاء في الحوش حتى يرجع
ابي من السراي..فكانت "بدور" تدفع اخوتي للنوم وتنزل من
السطح فابقي انا وحمه نتحدث حتى نشعر بالنعاس الا هذه الليلة
شعرت بالخوف عندما رايت هوبي معلق بالحبل يرفس ولا
يستطيع الكلام فتذكرت يونس وقد رايتته معلق بلا حراك وانا انظر
له وابكي ..!
"رحت اردد مع نفسي لماذا تأخرت بالدخول الى البيت ولم اكلمه
واصرخ "

12

رأيت " بدور " ترفع فوطتها الى السماء باكية ..
 ليش ليش وام جاسم تصيح بها .. بدور .. خذي الولد بعيداً حتى لا
 يموت من القهر ..
 أه .. لو كان لي ولد صغير لجئت به ليلعب معه " رفرفت
 عباءه يدور وضممتني بذراعيها " ..
 - فدوه كَرِيم .. اخذ نعمان معك ليتفرج على العيد!! " "
 " حين رأني مترددا والاولاد بثياب العيد يتراكضون
 ويضحكون , عادت تبكي ..
 - عفيه نعمان لتتقهر؟ أنا راح اخذك للعيد بعد ما تنقّض
 النسوان من العزاء ..

13

- ومن كان يطبخ لكم " جيشت جنده روز "؟ سالني
 حمه...
 - جوزانم؟ " " سيه .. ده " الجيران طبخوا لنا الاكل الا
 ان امي وجدتي " نه خوري " ؟
 - وماذا كنت تفعل؟
 - ادور من بيت " كرومي الى بيت " جسمله ومن بيت "
 حجي رشيد " الى بيت نللي " حتى أتخلص من البكاء
 والصراخ ..
 - " اخر جون بنوسه " ..؟
 - لم استطيع القراءة لانهم كانوا يبكون !
 - ومكتبا ؟
 - "ماموستا " يريد مني الواجبات والمعلمون يحكون عن
 خالي .. كيف كان يلعب ويسبح في النهر ..!
 - والطلاب ؟

- اكره " عميطي " ! هو يمسكني بالطريق ويقول
ضاحكا .. أي وخالك صلب نفسه ومات كافر !!
- جي كافرأ ..؟
- نازانم .. ابن الكلب كان يركض ورائي كلما خرجت
الى " الرملية " لاشتري ..
- ولماذا لم تقل لابيك حتى يضعه في الحبس ..؟
- " باوكم نجو بو مكتب " هو بالدائرة دائما ؟
" نهض حمه وضرب صدره بقوه "
" نه وه سه ك بابا.. به خوا منم كشتوا ؟

14

ما .. ما .. اريد امي ؟
" باجي. " حزينه يا نعمان لاتقدر على رؤية العيد !
وبصوت باك همست لي "
" تعرف خالك قد مات وان شاء الله في العطلة الصيفيه " تفك "
امك حزنها "
- وكيف " تفك " أمي حزنها ؟
- بعد سنه تترك الاسود وتلبس الالوان !!
- ولكنني البس الوان ؟
- أنت ولد يا نعمان والاولاد لا يحزنون بس النسوان
- وأليش.. الاسود !؟
- مسحت بدور دموعها ..
لان الموت اسودا يانعمان.
- الموت ؟.

15

كان ضجيج الطريق عاليا فسمعت اصوات الطبول
و"الصرنايات" واولاد المحلة يلبسون ملابس جديدة حمراء
وبيضاء ويتصايحون ضاحكين وانا قاعد على عتبة بابنا .
هوب ...!!

صاح جاسم البقال وهو يقطع الطريق على الطبال و"الدنبكي"
ياالله ارجعوا .. تره الجماعه عندهم عزه ؟
تمتم الرجلان بخوف "لاحول ولا قوة الا بالله" الله يرحمه
واوقفوا العزف .. !!

"في العيد تجدد الصراخ والنواح وكانت جدتي قاعده امام "
المنقله " تمسح دموعها وامي تبكي "
كلما جاءتنا النساء باكيات وكل واحد تبكي وتقول ..
الله كريم يا ام سالم هو في جنة الحور .. حرام تبكين حتى
لا يتعذب !!

- نعمان ... لم لا تذهب الى العيد معنا ..
قال ابراهيم..

اش .. اش ...مو خاله مات ..!

16

- "جون جزنا " سالني حمه ؟
" في العيد تمتلي بعقوبة بالعربات والحمير و"أبيض وبيض"
و" الطرشي " " الكو " و"كبة ابو بلاش" والمراجيح وشربت
الزبيب "
وعنما نصل للعيد .. نسمع "دواليب الهوه" تدور واصوات
العربات و البنات والاولاد يشترتون وفي العيد نسمع صوت " بانعة
الماء " " بكليجه وأبفلس يا ماي " !!
وحين ارجع للبيت تضعني " بدور" في الطشت وتصب علي
الماء الحار و وتفرك راسي وجسمي بالصابون و تقول لامي
"تعالوا افرجوا و شوفو هذا "المكدي "

"ولك وين كنت طامس ماكو بلديه اتشيل الزبل والروث من العيد ؟"
سكت حمه فسالتة .. وكيف العيد عندكم في " جاركلاو" ؟
لم يرد علي ونهض راكضا وقد ملات الدموع خدوده .

17

في الليل يتجمع اولاد القيصرية تحت ضوء الفانوس
وترتفع صيحاتهم ..
- تخاف مني ؟

- لا ..
- اتخاف من " عبد الجني " ؟

- لا ..
- اتخاف من الاعلى مني ؟
- أي !!

" صفق هوبي وانقلب على ظهره .."
- اتعرفون ما فعله " حرامي بغداد " ؟
" نظر كل منا الى صديقه " ..!

" اشتريت أم الحرامي " لمبه عتيقه " من " ابو عتيق للبيع "
حتى تضوي بالبيت فارسلتها معه الى " المبيض جي " وبالطريق
راح الولد يخض اللمبه فسمع طقطقه ففتح اللمبه ولقى " محبس
مزنجر " فراح الحرامي يفرك به واذا " عبد اسود .. طمطماني!!"
يطلع له من بين الدخان .. طويل مثل المناره وله اسنان مثل
المنشار قانلا ..

" شبيك ابيك واني عبد بين ايديك .. شتريد واتمنى "
خاف الولد واراد أن ينهزم ولكن العفريت امسك به وقال له بابا ..
قول شتريد وهسه اجيب لك لاني خادمك .. تريد .. اكل .. هدوم
ملاعيب .. كل شي ؟
وكان الولد جانعا لم ياكل غير خبز الشعير فطلب منه وهو خائف ..
" ممبار " !

- هوه .. "مبار رمضان"!
فوضع العفريت أمامه " طاووه " فيها "مبار محشي
باللوز والكشمش والتمن واللحم " من اين جاءت لا احد يدري !
فاكل الولد حتى شبع !
صاح الاولاد ..

- وبعد ما شبع الولد ماذا طلب من العفريت ؟
- بنى له العفريت قصرا من الذهب والالماز وفيه " كيب
كثيره وقنفات و " شاذروانات " وملا له البيت بالبقلاوه
والزلابيه واصابع العروس والداطلي والشكرلمه واللحم
والدجاج .. أي ..
و "المحلي والسعلبيه !
أي .. مو قلت لكم ما ان يفرك الولد " اللمبه " حتى تحضر
الصينيه وفيها.. " شفت " هوبي حلقه " قوزي على تمن وكبه
حلب وكبة حامض وكبة موصل ودولمه ودجاج مشوي وكباب
وسمك وباسطرمه وهريسه وكيك وبادم و صمون وخبز عروك
وتشريب وطاس كباب وو .. !!!
- زين .. واين المحبس الان ؟
" زعق هوبي .. لو اعرف.. وين راح.. كان طلبت لي "كيوه
"ايرانيه " ؟

18

ويقول "هوبي" يا جدتي العفريت يقدر على كل شيء
قالت جدتي ..
- استغفر الله يا نعمان .. الله هو القادر على كل شيء..
- و كيف للعفريت ان يصبح خادما للولد ويعطيه ما
يريد ؟
- لان "المحبس " يانعمان يعود للملك سليمان ومره
من المرات زعل النبي سليمان على العفريت لانه تأخر في
ايصال " محبس " الى "بلقيس" ولكن العفريت تلهي

باللعب ونسى ان يوصل المحبس للملكه فغضب الملك
عليه قاتلا ..

"راح احبسك بهاي اللمبه انت والمحبس واخليك تصوير
دخان الى ابد الابدين ثم القى باللمبة الى الطريق مع
الازبال "

وتعرف يانعمان ان " سليمان " الذي اعطاه الله كل ما
يريد والجن والعفاريت يشتغلون عنده ويسوون كل ما يريد
بامر الله .

" نظرت جدتي بعيدا و بصوت باك .. قالت ..

ويقدر المحبس يرجع لي المدلل .. قادر .. "

وراحت تبكي فركضت خارجا من الغرفة ..!

اش .. اش ..

جدتي تبكي !

- اوف .. ماذا قلت لها ؟

- و " سيد ادريس لم اقل لها شيئا ..!

19

- قل .. بزونه ..!

- بزنى !

- " نه ي .. بزنى له كوردي .. بلام له عه ربي بزونه

ناوي .. بشيله "

- بشيله .. سالني حمه ..؟

- " به لي .. " بشيله . بزونه "

" كانت امي تعلم حمه العربي فتضع يدها على

" الماعون " وتقول بالعربي .. " ماعون "

فيقول حمه ..

" قاب " .. فتعيد امي قولها .. " ماعون " فيرد حمه " ما اوون

" لان " حمه " لا يعرف ان يلفظ مثلي كلمة " ماعون " !

ضحك المعلم في الصف وقال ..

" هذا ما اريدكم ان تتعلمونه من ام نعمان وهي تعلم الولد
عربي وهي طريقه بسيطه الحفظ
ساله.. جبار ..
واذا تعلمنا الكردي .. ماذا سنحصل عليه ؟
قال احمد افندي ..
عندما تسافرون الى "خانقين واسطمبول ولندن" راح تعرفون
كيف تحكون مع الناس .

20

من الدربونه تصاعدت " صفقه وهلاهل "
" ويحمصه ويزيبه "
اوقت العشه تشريبه "
ركضت " بدور " متلفته .. ولك نعمان هم طلعت وقت العشاء ؟
"في الدربونه اضيئت الفوانيس بعد ان اكمل "عباس التنك جي"
مسحها من السخام واشعالها , اذ تعود عامل البلدية يوميا ان يملا
الفوانيس بالنفط ويشعلها عندما تغرب الشمس ثم يرجع مع
شروق الشمس ليطفنها لعدم وجود كهرباء في المحلة .

21

على طرف نهر خريسان يقعد الاولاد يصطادون الاسماك
ويتحدثون فكنت اجر جلد الدب الذي جننا به من "قره تو "

وأفرشه على عتبة بيتنا لاتفرج عليهم فيتجمع اولاد المحلة
متعجبين ومتساءلين

- نعمان .. كيف اصطاد خالك الدب ؟

- خالي لم يصطد الدب .. " احمد دولت " هو الذي اصطاده

عندما نزل علينا من الجبل وكان يمشي على رجلية وهو كبير مثل
الجاموسة وقد فتح فمه الاحمر المليء بالاسنان فانهزمت
الخيول و الشرطه فرحت ابكي من الخوف ولكن رئيس العرفاء
ضربه بالبرنو ست طلقات وهو يصيح.... هوف هوف ..

قال غفوري..

- "أي.. شنو دولت هذا .. بله "!!

أش أش

- خلونا نسمع ؟

و جر الشرطه الدب و ربطوه بالحبال وجروه بالمسلحة حتى
وصلنا طريق اللوريات ثم سلخوا جلده الذي نقعد عليه الان
والقوا به الى الوادي .

22

- والذئاب ؟

- السيارة "

- وقره تو .. هل بها ذيايه !

- مليانه .. وتهجم على القرية في الليل ونسمعها

تضرب " الكاع " برجليها مثل الحصان " طب . طب "

ومن تهجم على القرية تاكل الطليان .

- وابو الدكان ؟

- "مام شمدين "

عنده " بازيند " معلق على ذراعه وتقول جدتي..

الملائكة هي اللي تحرس "شمدين "وتطرد الذيايه عنه ..!

- ودكان شمدين ؟

- ليس عنده دكان وانما يحمله فوق حماره وبه
خاناته كثيره مملوءه بالزبيب و"من السما والحب
والزعرور.

و نشترى منه السمسيميه ومن السما والجوز وعندما
يصل" قره تو " ينفخ في بوق صغير " طوط .. طوط" ..
فنعرف بانه جاء ليبقى اربعة ايام و بعد ان يبيع الحامض
حلو يرجع الى قصر شيرين .
- وما هو قصر شيرين ؟

" قصر كبير فيه جن وشياطين وقد رايته عندما ذهبنا الى
" فيروز خان" والقصر كبير وفيه قباب حمراء من الذهب
والحرس يلبسون عباءات حمراء ..!"
- والغزلان ؟

" غزلان الاكراد ليست مثل غزلان بعقوبه , قرونها كثيره مثل
الاشجار و تنطح من يقترب منها وقد اصطاد " نعمت " لي
في " شاهو تبه" ايل" كبير و جائني بالراس وفيه القرون .."
قال كريم ..

- اليس هو الذي تعلقونه في مجاز بيتكم ؟
- اي .. وعندما يركض الاليل يصعد الجبل ولا يستطيع
احد اللحاق بها ..
- والغزاله الصغيره التي عندك ..?
- قتل الشرطه امها وكانت تاكل من يدي الحمص واللوز
وتشرب الحليب ..

- واين ذهبت الريم يا نعمان ؟
- ضربها " رشيد " على رجلها فكسرها فارسلناها الى "
هادي المجرجي" فلف رجلها ثم انكسرت مره ثانيه
وظلت امي تبكي وتولول عليها عندما ارادوا ذبحها .

كان نهر خريسان يغص بالسباحين عندما ارتفع صياح .. " كريكركر " ..

- ولكم المسلحه !!

" ما ان ارتفع صوت "كريكركر" ملعلعا بصوته الرفيع حتى توقفنا عن السباحه ورحنا نتدافع لصعود الجرف واحدنا يتعلق بالآخر .. أن ظهور المسلحه وابي قاعد في "الصدر" يدفع الشرطه وعمال البلديه للهجوم علينا فتلقي "الدشاديش" الى النهر ويتولى الشرطه من يسبح " راشديات وجلاليق ويلقون ايضا بالفدور والمواعين التي تغسلها نساء المحلة بالنهر . وكنا قد اتفقنا على قعود " كريكركر " على الجرف حتى ينبهنا اذا ما وصلت المسلحه .

كنت اكثر الاولاد خوفا لان ابي ما ان يراني مبلل الجسم حتى تشتغل علي العصي ولا يتمكن اى واحد تخليصي من الضرب و بعدها يلقيني في غرفه الدجاج !.

24

" صهيوني كلنا لك سلم "

صهيوني كلنا لك سلم ...!!*

- ولك من علمك هذا ؟ صاحت امي ..

- ماما اخذونا في المدرسه باللوريات والطلاب يصيحون

"صهيوني قلنا لك سلم .. ماما مامعنى سلم ؟

- يعني ذب سلاحك .. والان قل لي كيف سعدت باللوري ؟

- ماما.. ابن ابو بلاش " رفعني من حزامي والقي بي الى اللوري.

- كان اتكسرت.. ابن الكلب .. أي .. مو نعمان "طوبه"

يلعب بيهه .. اني اله !

" قالها خالي عبدالرحمن غاضبا ."

" أي .. وظل اللوري يدور بنا فلم ارالنهر.. بس رؤوس"
القلمطوز" وسعف النخيل و الطلاب يقولون وصلنا المحطة
"درنه" على"ام النوة " ورجعنا للسوق ! وبعد هذا وقف
اللوري وتدافع الاولاد ينزلون ويضربون الاحجارا على اليهود
بالسوق وصاح " خليل " علي حين اردت النزول معهم , لا تنزل
انت ! " سمعته يقول للسائق.. اخاف "ينفشخ" و نتورط مع
الشرطه "؟

"من خارج بيتنا تصاعدت " الهوسات "
" صهيوني كلنا لك سلّم".
فخرجت راكضا وانا بلباس الرياضة ..
- هوبي.. " شنو " صهيوني .?
- يهودي ؟
- وماذا فعل اليهود ؟
- "متشوف ماكو مدرسه " اليهود يقتلون العرب في
فلسطين !!
- وماذا سنعمل ؟
- نذ بحهم ونذبهم بخريسان..!!
- أشلون أشلون ..?
"امسك و"دود" بخناق هوبي وجره الى الحائط "
- ولك ابن الكلب هم رحى تلعب بذيلك ولك ياذبح ...?
- لا.. ودود غلظت .. راح انفرهدهم !
- ولك يا فرهود وياذبح الم تسمع ما قاله "مصطفى
الشالجي " لنا بالاصطفاف" لا اريد احدا يعتدي على يهود بعقوبه
لانهم عراقيين مثلكم أي .. وحضرتك تقول نذبهم ونفرهدهم..!!"
قال هوبي ..
وانا قصدت يهود فلسطين ..!
- لا صحيح كلامك .. بس ..انت تعرف وتحرف!!
فالانكليز" يريدون ان يلهونا بالفرهود والذبح حتى ننسى
مصيبة " فلسطين " !!
"قطع صوت خشن جاء من الدرّبونه "

- " عفيه ابني ودود هكذا نريد اهل بعقوبه يفكرون "

- أي.. عمي " كاظم " .. !

" استدار "كاظم ربل" بجسمه الضخم و"تفل" على "هوبي" غاضبا ..

- أتعرف ماذا حصل العراقيون من الفرهود بعد " دكه رشيد عالي " الم يتخرب كل شيء " ولكم متجوزون عاد .."

" تجمهرت نساء ورجال المحله متعجبين لان "كاظم" كان رجل طيب القلب يفتح دكانه صباحا ويغلقه اخر الليل ولم يتدخل في ما يقع الا نادرا وقد اثار ذلك "زوجة النجار المعروفة بمرحها المعتاد " فقالت ضاحكه ..

- اييين " ابو جواد " هالاياام تحب لك يهوديه.. يلله عاد تزوج وفضهه قبل ميروحن الفلسطينيين ؟

"تفاجأ الرجل و تغير لونه ولم يرفع راسه .."

- شوفي " ام جبار عليك ان تحكي ويه المتهيات ولدهن وبكل عزه لاطمات "بوك ونهب" وانت حايره بزواجي !

فاطبقت " ام جبار " الباب دون كلمه . !!

25

"ونزلت "المسلحات" الى الطريق وعلى ضفه خريسان
المقابله للقيصرية أنتشرت افراد الشرطه يلبسون "خوذات
حديديه" وبايديهم " الدونكيات " !

مر "حنون " "السقاء" يتحامل على "تنكات الماء " وقد
تبلل بالماء عندما لمح " عبوش " مسرعا ..

- ها "ابو خضير" اشو تركض ؟

- ليش متدري ؟
 - شكو .. ؟
 - اضراب ..!
 - شنو اضراب ؟
 - يعني عَزَلُو .. ماكو مدارس ولا بيع ولا شراء ..!
 - عبوش ..بس .. " اني سمعت العطله على فلسطين .."
 - عمي ..شنو.. فلسطين ..
 " اريد انصحك نصيحه لوجه الله بَطْل من نقل الماء لان الولايه
 راح تمد " بوارى مي للبيوت وما راح احد يحتاجك ..تعال اشتغل
 معي.. واعطيك ما تريد ..!"
 - وياك .. اييين تريد حراميه مثلك ..!!

26

" لم تحصل " بدور " الا على رغيفين من الخبز عندما
 صاحت " ام كَرِيم " مولوله .. "
 " ولكم انهجمت الدنيا ؟ "
 " كان اكثر من عشرين رجلا وامراه يتدافعون امام التنور وقد
 وضعت ام كريم فوطه ملطخه بالعجين على راسها ..
 فسألته " بدور " يمه شكو ..؟
 - خلص الطحين فماذا اقول للناس !
 مد " عبوش " راسه من فتحة الباب "
 - قولي لهم رجع التموين !
 - لا بشرك الله بالخير .. ماكو غير علوم الشر عندك؟
 " جفل عبوش وتقدم من " التنور "
 " شوفي " ام كرومي " انا ما عندي مصلحه .. بس ..جئت اقول لك
 من اليوم بعد ما تعطي الحكومه طحين الا كمية لاتكف وانا على

استعداد لمساعدتك.. بس... اعطيني توكيل وانا اتكفل الباقي مع
الاعاشه !!..

قالت الخبازه .. " زين وشنو مصلحتك " ..
- مصلحتي .. ان ..

" قطع عبوش كلامه عندما سمع " بدور " تصيح علي فاسرع
راكضا وهو يتمتم ..لنفسه .. "اجاك الموت يا تارك الصلاة .."
- قالت جدتي يبين " ابو الفايز " رجع لكلاواته يقشمر
الناس ..

- جدتي جدتي .. شنو " فايذ " ..؟

27

كان الهجوم عنيفا .. فتساقطت الاحجار على شناشيل
اليهود ودكاكينهم !

- كلب ابن الكلب .. أيهود وين رحتوا ؟

" ظهر هوبي " يعلس " بادم " ضاحكا فصاح به "ملوكي" ..
- ها ابن الكلب .. اليوم تاكل بادم و "العباس" فرهدتو
اليهود مو " ؟

توقف هوبي من المضع

- " عيني "ملوكي" .. ماكو "جعفر" تره هو الفرهد "

العرق " مو اني وخطيه " ابو حسقيل " كان يتوسل " ابا لوك "
بس لتذبحونه شيلوا كل شي ولكن "جعفر" ظل يضربه " سترات
" ويصيح ..

- كواد .. " اتبيع عرك واذر الفلوس لليهود! ..أي واني

و" سيد ادريس " ما فرهدت بس شفت "البادم مكوم

عالكاع " وقلت خطيه نعمه الله اتصير جوه الرجلين !!

28

"اختفى " شيلمو وحيم " واغلقت ابواب اليهود .. حتى
"راحيل" لم تعد تظهر في البالكون "
فصاحت " حسنيه " .

- "هم زين خلصنه من شرهالبريوك" اربع وعشرين
ساعه "امزوكه اوواكفة فوك السطوح أيأولد المحله واكفين
واني شبي حظي ..؟

29

اليوم لقوا قتابل ومسدسات في بيت " عزرا اليهودي "!!

- من اين سمعت ؟

- انا رايت القتابل..!!

- انت رايت القتابل ؟

"كانت اصابعها تحرك المسبحة بهدوء وهي مستمرة

تقرا الاداعيه"

- تكذب..!

- ها .. هوبي كان هناك ..؟

" يرتفع صوت جدتي .. كلما غضبت "

- عيب يا نعمان .. تسمع مثل هذه الحكايات؟

- والله يا جدتي .. هم هجموا على بيت "عزرا" وكسروا

الباب و" حياوي " يصيح..

أذبحوا اليهود ؟

- ابن " الكاولي " ؟

- أي .. حياوي ..

- يا ابن " الرعنه " ..

" اشعلت جدتي سجاره ثانيه وتقلص وجهها فظهرت التجاعيد

والخطوط على خديها ودمدمت..

" أي ..ابن " الكاولي " صار لي رجاّل براس اليهود الفقراء "

عادت جدتي تسالني ..

- حياوي ..؟!
- أي "حياوي وابن "حبش" هجموا على "ساسون
الصايغ" صائحين " ايهودي كواد تريد تروح الفلسطينيين وابو
نسيم يتوسل والله يابه ما اعرف وين فلسطين؟
و"ابن حبش وحياوي" كرفوا الذهب وباعوه
الى "عبوش" كرومي قال لي..
ولولت جدتي..
" ولكم هذا شنو "عبوش" يلطم بكل "عزه.." بالفرهود..
بالتموين.. بالفايز .. ولكم وين الحكومه ؟
- شوف نعمان ؟ والله لو رايتك واقف مع "الهتليه"
لجعلت ابوك يسلم جلدك و" تاليهه " ابن الكاولي
والسيبندي " شاخين بيهه .. ولكم اشراح ايصير بهذا
البلد ؟ "

30

دخلت " أم مهدي " وعبائتها الصوفيه ملطخه بالعجين
وتفوح منها رائحة الخبز المحروق !!
- واليوم يام سالم ..نص الطحين طلع تراب والناس..
بس.. يريدون واحد يدك بالدف.. "ضموا الطحين والشكر
والتمن"..
ولكم وين اسلاميتهم ورجعنا " الذاك الطاس وذاك
الحمام"

- وما رحت للتموين ؟
- يا تموين ام سالم ..اليوم داسوا بيت عبوش ولم يجدوا
حتى "حباية حنطه " زين..مو مني ومن بيت هنيدي"
اشترى عبوش كل الكواني.. وين راحت ؟
- والحل ؟
- عندكم يا ام سالم .. لانكم الحكومه ؟

قالت جدتي ..

- وتريدين محمد سعيد يحبس عبوش؟

- بس شلون؟

- ولازم انت وفخريه هم يحبسوكم !!

" ارتاعت ام مهدي .. "

- دخيلك واحنا شعلينه !!

- مو تريدن العدل؟ اتبيعين حصه الناس وتقبضين

الفلوس وبعدين تصيحين .. الحكومه .. عبوش !!

" عادت جدتي تبحث عن قوطيه التتن "

شوفي داده " ام عباس " كل الناس تحكي عن افعال عبوش

وحياوي بس.. من الذي يوكف ويصيح يا عالم هذوله

لاعبين " طوبه " بالناس أكو وأحد يقول اني .. لا .. بس نقدر

نقول .. احنه شعلينه ..

- أي .. مو من واحد يحكي اتصير عداوات !!

قالت جدتي ..

- اش عجب يام ستار.. العداوات متوصل بس عليك..اي

ومن تكرف الحكومه "ارزوقي وحياوي وعبوش " وهالشكول..

مراح انت وغيرك تصيحين ..

" يابه .. ترى الشرطه ومحمد سعيد وسالم وابوعلي "

ماخذين برطيل من اليهود وعبوش وجماعته .. شمسوين؟

- سترك يا ام سالم هذا مو ثوبي؟

- وثوبي انا؟

من الراديو.. ارتفع صوت "عزيز علي ! *

" ياجماعه والنبي احنه عدنه بستان..

طامعين الناس بيهه من زمان الرومان ..

وسفه كلمن جا دخله صايره "خان جغان" .

طوفه امعرر امفلش والحراميه تحوف !!

" فدوه اروح الى حلقك "

كان من عادتنا انتظار " عمو عزيز " كل يوم خميس
وعندما تظهر العربيه ويرتفع العجاج نبدا بالصياح انا وسميره
وسنان وعبدالله وغزوان وحتى بسمه ..
" جا عمو عزيز !!

فقد تعود " عمو عزيز " ان يحمل لنا اكياسا مليئه باللوز
والفستق والزبيب وعلك النايلون والنبق وتكي الشام والطرشانه
والسميط والبادم والشكرلمه وقمر الدين والزعرور "
فنتراكمض ونختطف الاكياس منه فيبتسم لنا ونحن نصيح بلهفه
- شوف عمو عزيز .. سميره اكلت الطرشانه ..
- عبد الله نهب مني " المكاويه "
- خلص الزبيب..!!

فيؤملنا عمو عزيز ضاحكا .. الاسبوع القادم .. فنصيح
كلنا.. ليش.. ليش انريدك تجي كل يوم ؟

"بيي "
صاحت بدور وهي تركض في حوش البيت
"باجي" .. تعالي شوفي نعمان ؟
خير .. خير !
"شعرت باصابع امي بارده وهي تقترب من اجفاني .. اسم الله..!"
- هو لا يقدر ان يفتح عينيه ..
- تعالي .. "اجفاته حمره .. متورمه " !!
- يمه " كل هذا من الشطوط .. ليل نهار .. طامس بالشط
ولم يسمعي احد ؟
- اش .. اش ..
اسكتي يا بدور.. الولد تعبان ..!

- وشلون ..؟
"صفتت امي بيدها .. كل هذا من امي " يمه " .خلي ناخذه
للطبيب .. لا .. لا !!
لم تتحمل بدور .. فصاحت .. "
- لعنه الله عليك يا "ام سلمان جابت له "كبلي* وعتمه..
اسم الله !
- بس بس ..يلله.. خابري المركز ! بنتي يا مدرسه
أتركه هنا اعوذ بالله .. كل مصايينا من المدرسه ؟
"ولولت امي فغطت البيت صيحات و كلمات لم اسمعها من قبل..
- عيني نعمان .. اشوف عيونك ؟
- و لك يا عيون.. هو ما يقدر يفتحها! أي ..كله من
"خريسان" قلت لمحمد سعيد " دز " شرطه .. بلديه .. ليمنعوا
الاولاد من السباحه ولكنه ظل مثل قالب الثلج حتى عمي الولد !.
- صلي عالنبي, بنتي " ساره " انت عاقله .. اشو ..
" شممت رائحه فوطه جدتي التي تعرف كيف تسكت الاصوات "
" يمه الولد ما بي شيء, بدور.. اين الشاي ".
" شعرت باصابع جدتي اليابسه تضغط على وجهي..
- سنغسل عيونك بالشاي واذا امتنعت .. تعالي بدور؟
روحي للشالجي وقولي له نعمان انهزم من المكتب .. يا ه .. لعنة
الله على المكتب!!
- أي .. تحرقني ..!
- تحرقك .. وخريسان ؟ اربع وعشرين ساعه وانت مثل
"الركه " * طامس .. طالع ..!
- خليه بالبيت حتى يجي محمد سعيد ويدبرنه ؟
اقترب حمه من فراشي!
" كوره نه مه جيا ..?
" منم خسته يه ! *
نفخ حمه بقمه وهو يطرد دخان سجارة جدتي بيده فقد اعمتني
رائحه التبغ الا انها استمرت تشعل سجارتها وتنفخ في عيوني ..
" الدخان أيطيب عيونك ؟"

- حمه ..!
- به لي ..!
- اتذكر كيف كنا نسبح في قره تو ..
- به لي نعمان ..!
- تقول امي .. السباحه هي السبب .؟
- عاد حمه ينفخ ..!
- خريسان " بيسه"!
- حمه.. قل لابي .. لو سالك هل كان نعمان يسبح في
النهر قل له من وصلنا من قره تو وهو لم يسبح في النهر
هو يسبح بالحمام! " تيكه يشتي" ؟

33

- تراخوما!!
- بيبي...!! صاحت امي ..
- والحل ؟
- " كان صوت الطبيب عاليا رغم ضجه السوق"
- لا حل له الا بالعملية ؟
- تنهدت امي!
- دكتور ؟
- ان كنت تريد ان ابني ان يصاب ابني بالعمى فاتركيه
كما هو ولكنني انصحك بالاستعجال ؟
- و العملية ؟
- في بغداد طبعا .. ويمكن ان لا تطول ..!
- وبعدها ..!
- يبقى في الظلام بعيدا عن الذباب والتراب والنهر!!

34

عندما ارجعوني للبيت .. كانت اصوات ابناء المحله والجيران
تسمع بوضوح وامي تفودني من يدي كالاعمى ..
- اش .. اش .. راح نعمان يعمه ..؟
- لك لا .. امه راح تأخذه الى بغداد !!
- ولماذا بغداد ؟
- قال الطبيب .. الحقوا .. ترى راح يعمه و لازم عمليه ..
خطيه ؟

35

أش .. أش
- شوفي بدور .. "ساره مريضه ولازم ايشوفهه الطبيب ؟
- "أهلل بيبي" ..."
- " ولج شنو اتهلهين " ونعمان بيا حال !!
- أي صدق بيبي ؟
- بنتي " جده بدرية " شافتهه قبل ميتمرص نعمان
وابتسمت ..
- اش اش .. خلي صوتك " ناصي " ؟
- فدوه بيبي .. اني أربيه .. صلوات .. وتفرح " وتنسى "
باجي " الحزن ؟

36

شعرت بدفء اصابع جدتي وهي تحتاطنتني امام "
الجاماخانه " والنساء يتفرجن علي ولم تظهر امامي الا ظلال
دامسه ..

"من الحوش ارتفعت اغنيه ...
" دلول يا ابني دلول
عدوك عليل وساكن الجول " *

- بدور .. بدور.. صاحبت امي بغضب وهي ترجع للبيت...
- ولج.. هاي شكو؟
- باجي .. هاي " ام اسماعين " تلولي لابنها !
- بره .. يلله بره .. الولد تعبان و لا اريد احد هنا ..
- " سمعت ضجه النساء وهن يتقافزن خارجات .. يتعاركن على النعالات
- عيب يا بنتي .. جيران ..؟
- " انت امسويه الولد فرجه .. مو عيب يا امي " ..!
- أي.. غير من المحبه ..
- ازدادت أمي عصبية فهمست بدور ضاحكه ...
- " باجي " .. أبشّري ؟*
- ملعونه!!
- " فدوه.. باجي .. ولد مو ؟ "

37

- والان متى تسافرين انت ونعمان الى بغداد ؟ انا لا استطيع رؤيه نعمان ممددا " ارتفع بكاتها"
- نعمان ؟
- نعم يا جدتي ..!
- جماعتك يسألون عنك ؟ ويريدون منك ان ترجع لهم بسرعه ..
- " وبصوت حاولت ان يكون ضعيفا "
- ولكن الطبيب يقول بانني مريض ..!
- صحيح يا نعمان ..! ولكنك لا تقبل البقاء ممددا مثل البنات و"ربعك" يلعبون في الطريق اتريد ان تبقى هكذا ؟
- لم لا ترد علي ..أتريد ان تكون مثل "عتو" حمال في السوق لو مثل اولاد " عطيه " لا ابدا .. ابوك بالوجود و ينتظرك ان تعود الى المكتب وتنجح وتصبح اعلى منه! وحتى امك لا

تريدك ان تبقى مثل النسوان.. انت ولد؟.. حتى " بسمه " وهي لا تعرف بعد الكلام البارحة رايتها تلعب بدفاترك وعندما سالتها بدور .. أين ترديدن.. اشارت لك .. نعمان .. بسمه تريدك ان تلاعبها وتذهب للمكتب معك؟

- ولكنني لا استطيع الكتابه يا جدتي !

- ولكن .. عيونك سترجع مثل السابق ؟

- وحمه ..؟

- اتريد حمه معك ؟ اسمع .. انا وانت راح ننزل

بالمستشفى أن شاء الله ومن تطلع بالخير راح ننزل في بيت "

عزت الرشيد " وحمه أين ينام والبيت صغير ..!

- سينام معي ..؟

- لا يا نعمان.. حمه غريب وعيب ان يكون معهم ولا

تنس... عندهم بنيه وما أريد أن أقوله لك بعد ما تخلص العمليه

نرجع بسلام ان شاء الله ..ويكون حمه معنا.

واليوم اريد منك ان تقول لامك.. اريد ارواح الى بغداد !!

- أخاف بابا يضربني!!

- لا نعمان .. بابا يحبك ,ويخاف عليك من يشوفك تسبح

وتلعب بالتراب فلا تحاول البكاء فقل لامك لا تنقهرى و تقول لها..

ماما اتريديني ابقى بالبيت لو ارجع للمكتب ؟

38

مارسيل ...

- الم تقولي انك لن تتزوجي الاولاد الخائفين ؟

- أي نعم .. بببي وقلت اريد ولدا قويا مثل نعمان يدافع

عني ويطرد الذين يضربوني بالحجاره من أرجع للبيت ولد

يلعب ويتعارك ويحب جدته ويحبنى ولا يخاف أحد ..

- مارسيل .. تريد ولد مثلك يانعمان .. سبع لنتزوجه

لأنها لا تريد واحد مثل هوبي ولا كرومي.. تريدك انت ؟.

"خفت صوت جدتي وهي تقترب من مكاني "

- وحتى تحبك مارسيل تريد ان تضع لك دهن بعيونك. الم
تسألني.. شلون ..أشوف مارسيل .. " عيب تبكي , اخاف
حمه يسمعك "؟

- حمه في بعقوبه !

- سنقول له مارسيل.... صديقك يبكي !

- هو يحبني ..!

- وحتى لو يحبك صير مثله سبع وقوي ..!

- بس ... عيوني تحرقني .

- شويه .. وتروح الحرقه وبعدها راح اتشوف "حمه
ومارسيل" وتلعب معهم .

"ظلت جدتي .. تمسك بيدي , وبصوت خافت همست لي ..
- والان .." يواش يواش " قل معي قبل ما ننزل
الدرجات....

" الله ومحمد وعلي.."

39

نعمان ..

بغداد " ليست مثل بعقوبه هي مليئة بالناس والسيارات
"سمعت صوت بائع متجول .."

" اسكيمو .. اسكيمو .. " بيض اللالك "

- جدتي ؟

- لا نعمان .. خليها بعد ما يشوفك الطبيب وساشترى لك
ما تريد ؟

ما .. ما .. ما ..!

- زين .. ساقول ألى مارسيل أن لا تعطيك " المحابس
الخلوه " فهي أوصتني أن لم يسمع نعمان كلامك فلن
أعطيه شيئا ؟

- جدتي ..

- أش.. وصلنا وراح نصعد.. قل ..
"الله ومحمد وعلي" ..
"من الممر المظلم الذي قادني جدتي فيه ارتفع صوت
مارسيل" ..

- هلو نعماناليوم أنت احسن .. تعال؟
" فكت جدتي اصابعي من يدها " وهمست لها "
مارسيل.. الولد.. ها .. أقول لنعمان انت حلو.. تعال هنا!
" كانت رائحة مارسيل حلوه مثل رائحه امي .. "
- " عفيه بالسبع .. عيونك حلوه " !
"سمعتها تغسل كفيها بالماء وتفرك اصابعها ثم رفعتني بيديها الى
السرير"

- بس اشويه .. أي... الطبيب وصل ؟
" ما حولي ظل يشبه الدخان فلم ار وجه مارسيل ولكنني سمعت
صوتها

جدتي . ؟

- جدتك خرجت للبالكون تشرب سجاره.. أهدأ قليلا ؟
"شعرت باصابع مارسيل تطبق على يدي" .. اوه .. لقد خفت
الاورام وحتى اللون الاحمر راح !!
- طيب والوقت يا دكتور؟
" صوت ابي كان مضطربا ولكنه لم يكن عنيفا كما تعودت ان
اسمعه "

- سيبقى الليله هنا وصباحا .. نبدا العمليه ؟
" بكيت عندما سمعت بالعمليه الا انني شعرت بيد ابي تمسح على
وجهي ."

- عيب نعمان.. تبكي وتخاف والان قل لي من كان يركب
الخيول وحده في "قره تو" ويصيد مع الشرطة الدببه !
" عمرني فرح كبير وانا مغمض العينين وقد امتلات عيناى بدموع
الفرح لاني عرفت بان ابي يحبني .. !

"لا اذكر شيئا ولكنني سمعتهم ينزلون "البردات" وكان
المكان بارداً و صوت رجل يقول " امسكوا به جيداً " !
بعدها شعرت بالشمس تشع قويه فلم استطع فتح عيني الا ان
شعرت بشيء يحك اجفاني " فرحت أصرخ حين احسست بانني
مقيد بالسريير فلم استطيع الحركة و حمه يهمس في أذني..
"كاكا نعمان ... مارسيل "زور جوانا" !
عرفت بان الطبيب و مارسيل و ابي وجدتي وحمه واقفون حولي
ولا اراهم .. "

41

والان كم صار عدد " المحابس " عندك يا نعمان ؟ اريدك ان تقولها
بالكرديّة ..!!

- " دوانزه " *
- والصف ؟
- قولي له توش له صنفى جه نداء .. كان حمه يحكي معها
- " منم له صنفى سيه وسانجح للرابع والطلاب يغنون ..
- "صف الاول يتحول ..
- صف الثاني حرامي ..
- وصف الثالث مثلت .. "
- صف الرابع مربع !!
- وصف السادس مسدس !!
- " عافرم " نعمان .. هل تحبني ؟
- وساتزوجك عندما اكبر!
- ولو سافرت بعيداً ؟
- عندي طياره وسأخذك معي ..
- "ابتعدت مارسيل عندما سمعتهم ينادون عليها " فاقترب حمه
وهمس لي ..

- مارسيل "زور جوانه و شعرها " زيو " !!
- اعرف ذلك !!
- جون " وانت لم ترها حتى الان !!
- ولكني احبها !!
- " بلام.. "قال حمه .. "نه مه جوله فهل تقبل امك؟
- تقبل!!
- ومتى تتزوجها ؟
- ساتزوجها عندما اكون " بياوا".
- وقتت لها نحن سنبقى في بيتنا و بيتنا على الشط وابي
عنده سياره مسلحه و"خيري " سيأخذك كل يوم
للمستشفى و عنما اطلع من المدرسه ارجع انا معك الى
البيت .
- زور باشا !!

42

" سالتني مارسيل... واصدقاؤك الا يضربونني "

- اصدقائي لا يضربون اليهود وهم لا يتعاركون معنا انا
وحمه , وفي محلنا بيت " نسيم و راشيل" وما يضربهم غير "
ابن حبش" و هو " أفرار" و عندما امسكه "الانضباطيه" بكي
فقالوا له انت كل يوم تضرب اليهود بالمحله .. زين .. نحن لن
نحبسك اذ سنرسلك الى فلسطين لتحاربهم . !

43

- أي .. وهذا الولد لا ينام الليل الا ويسألني هل نامت
مارسيل وماذا ساشتري لها ؟

وعندما سمعت مارسيل ذلك مني ظلت تبكي يا " ساره"
وتصيح.. ليش ؟

- ولماذا تبكين يابنتي؟
- نهبوا بيتنا وفرهدوا ثيابي واحذيتي والشتاء على
الابواب ولم يبق لي غير جدتي العجوز وقد وضعتها عند الجيران و
وتقول .. واليوم عرفت بان الطبيب يريد الهجرة الى "لنده"
وساكون بلا عمل وتعرفين ما تؤدي له الحاجة !!
- ولماذا يريد الطبيب الذهاب الى لندن ؟
- "بيبي.. كل من احواله جيدة سيخرج من البلاد ويروح
الى فلسطين او لنده الا نحن الفقراء الذين لانملك شيئا والناس
مبتلينا .. انتم يهود . !!

44

سالنتني امي وكيف كنت تقضي الوقت الم تشتاق لي والى
بسمه ووو.. وتعرف .. كنت هنا وقلبي معك ..!
- كانت جدتي تاخذني كل يوم الى " حمام المالح " نعبر
النهر وألجسر ليس مثل جسر بعقوبه ومن الجسر اتفرج على
الشط والاولاد يسبحون وفوق الجسر يبيعون " الدوندرمه ام
البسكت "

- وبعدين ؟

- نصل بغداد ..!

وبغداد فيها سيارات حمراء أم الطابقين وطيارات
ويبيعون فيها " اسكيمو ولوزينه " ولكن جدتي لم تشتري لي "
مناظر " كل الاولاد يلبسون مناظر وكلما اردت شراءها ابعدتني
قائلة .. نعمان.. " هيه أبكومه فلوس .. غاليه !!
وبعدين نازل من الشارع الى "باب الاغا" وفيه "بايسكلات
وعرباين " وكلما اردت شراء "مكاويه" قالت .. وهذه مال شعير
ودبس عوع . بس .. ماما.. المكاويه فيها " جوز هند ..!"
- لماذا تقول جدتك ان نعمان كلما وصل للجريده
رفض ان يتحرك من مكانه !

- أي ..ماما .. من السرداب يطلع صوت الجريدة"
"شو.. شو " والجريدة تمشي على عرباته .. تروح وتجي..بس
الرجال محبوسين بالسرداب .. خطيه ؟ وجدتي لا توافق ان
تشتري لي جريده وتقول .. انت.؟
صغير والجراريد للكبار وعيب تلزم جريده بيدك وانت ما تعرف
تقرأها ليش هي مو مثل "القراءه الخلدونيه "
" تشو تشو .. ددو ددو ..
" صوت الجريده حلو يامي "
ددو .. ددو .. دو ..
- وماذا تقول الجرائد يأمي ؟
- تحكي الجريده اخبار البلد؟
- كيف ؟
- يعني .. الملك فيصل ذهب الى البلاط الملكي ورجع من
البلاط و بابا راح الى بغداد ورجع من بغداد !
- وماذا يقولون عن بعقوبه ..!
- يحكون عن الاولاد الذين يسبحون في خريسان
ويقولون والبلديه راح تحبس كل من يسبح بالنهر لانه
مليان بالامراض
"سيفون .. سيفون بارد ..!"
- ماما .. سيفون ..!
- انت مريض ..!
- مارسيل قالت تقدر تشرب السيفون.. بس ..!!
- وجدتك .. تقول نعمان ما يحب بغداد.. لماذا لا تحبها ؟
- ماما .. بغداد حلوه .. فيها سيارات وملاعب وجسور
ولكنني لا احب محلاتها ولا الاولاد فيها .. الاولاد هناك بس
يتعاركون ويشتمون و بيوت بغداد مثل القبور وسخه ومظلمه و
بغداد رأحتها مو حلوه فليس فيها بساتين.. بس بعقوبه احلى
وبها أصدقائي ... !
وبالليل تصعدني جدتي للسطح لانام في بيت عمي " يحيى " من
وقت واخاف انا من الظلام .

- ماما .. ومن كنا ننزل في بيت " عمو عزيز " " ام سميره " كانت لاصقه على الحيطان صور " اسمهان وعنتر وعبله وطرزان و " بشاره وكيل واسماعيلين ياسين " وحتى " شكوكو وعزيز علي " بس جدتي .. تعاركت مع ام سميره وقالت لها .. " اشلون اتخليين نسوان مفاريع ويه الرجال مو عيب " وتضحك أم سميره

- يمه .. هذوله صور!!

- صور لو شياطين !!.. بنتي هذا حرام , والله يذيك بالنار وكان " عمو عزيز " يقول لها .. أي .. ام سالم .. اشو بنات بغداد " ذابات العبي " " سفور " .. زين .. هذوله ليش ما تقولين حرام فكانت جدتي تقول له .. اش اش هم شربت خره ..!*

" صاحت امي عيب تقول ذلك يانعمان ؟

- والله ياامي هي تقول له ويضحك !!

أي .. و " عمو عزيز " من يشرب " عرك " يصب عليه الماء ويصيرمثل اللبن و بعد ما يشرب يصير فرحان .. بس العرك رائحته مثل " اسبيرتو المسنشفى " يدوخني .. و جدتي تصيح به ولك هذا حر ام ويضحك عمو عزيز ويقول لها ..

- بس .. ام سالم .. انا سمعت من جماعتكم .. يقولون النار ما يدخلها غير " العجانز " مثلك !!

فغضبت جدتي وصاحت ..

- ها .. اييين بديت اتخربط ..؟

ويضحك عمو عزيز ويقول لها .. كلامك صدق .. يا ام سالم أنا اشرب بس ما احكي على الناس !!
وتجرني جدتي اخيرا من يدي .. ونروح للفراش ..

- مارسيل .. تعطيني محابس وورد وتحكي لي سواف..
تسميها قصصا.. عن الغابات والموسيقى والورد والبحر
وتغني لي مثل "اسمهان" وتبوسني في الصباح والليل.
وسالنتي مارسيل .. بابا اين يشتغل ؟
- قلت بالشرطه.

- وعندكم يهود بالمحله؟

"حكيت لها عن "ام روبين وسميروموشي ونسيم وحييم " ومن
قلت لها ان " شاؤول " كان يتغدى عندنا و"راشيل وام "ياهو"
يشربون عندنا الشاي والقهوه كل يوم العصورو"كرجيه الخياطه "
تفصل الى امي وبسمه الهدوم وانا كل يوم اشترى البادم من "
ساسون" تعجبت .

وقلت لها و في احد المرات " عكاوي " بسط * " شنطوب " ابو
" عتيق للبيع " ومن سمعت جدتي لزمتمت "جعفوري " وضربته
بالنعال وصاحت ولك " ابو الطيور " الا تخاف الله
- ماما عيب تحكي الى مارسيل مثل هذا ؟

- عيب!! مو جعفر ميستحي ويشرب عرق ومن " طشت
عليه " ام غفوري " الماء الوسخ وهو سكران قال لها .. وهذا
"المي " من الحمام فتقلت عليه " " وقالت له " ادب سز "

- ماما .. متى تصل مارسيل ؟

- عندما يرسل لها ابوك السياره

- متى ؟

- واين ستذهب معها ؟

- اخذها للبيستان واركب معها العربانه. ماما .. مارسيل تحب

الخوخ . !!

مرت طياره فوق السطح..راحت تتمايل ..تنزل وتصعد وصوتها
يرتفع .

- ماما .. هذا عزيز!!
 "عضت امي شفقتها ولم تجبني "
 كان " ابن عريمون وابن هيدي " فوق السطح يلوحون
 لها بسعف النخيل ...
 - انا شفت سائق الطياره !
 - اني ..!
 - ماما.. هذه طياره "عزيز " شوفي " البروانه " !*
 - أي.
 - والطياره محمله قنابل راح ايذبهه على بيوت اليهود..
 صاح رشيد !
 - حيل !
 - لك لا .. راح ايذبهه على فلسطين قال تحسين..
 " عادت الطائره تميل باتجاه "جامع الشابندر "
 - الطياره تسلم على الجامع ..
 " لنع صوت بدور " الا ترون الطيارة تميل بجناحها..
 - ولكم .. هذا عزيز بالطياره ..!
 - أي.. والله سلم عليّ . !
 - زين .. ما راح ينزل في " أم النوه " ؟
 - لا .. هو رايح الى فلسطين ..
 - زين ماما .. و"ام عزيز" هل ستذهب معه الى
 فلسطين؟
 - لا ابني .. هناك حرب ..!!
 " بقينا نتطلع للسماء ووقف الجميع في دروب " القيصريه "
 المتربه حتى اختفت الطائره ولم يبق غير صوت الرعد ."

- ولك شفت عزيز ..؟
 - ولك يا عزيز... قال هوبي ؟

- يا عزيز .. عزيز الطيار ؟
 - ولك عزيز .. شبع تراب !
 - لك شنو .. شبع تراب.. قفز ابن " الملا " على هوبي
 ونزلت " الكفخات " على راسه و فوق عرقجينه فانقطع
 حزام دشداشته ...
 - كلب ابن الكلب .. شبع تراب !!.. انت شبعت تراب
 " ولم تنفك المعركه الا بوصول " ام طالب " التي قالت
 بصوت غاضب ..
 " ولكم .. باباه .. اشبيكم " انجلبتوا " خلو الولد نايم .. يا عيني
 حتى .. اوه .. لم يجدوا منه ولا وصله واحده!!
 من " الجام خانه " ارتفع صوت جدتي..
 - " الخاييه مهديه " رَوّحته من ايدها؟
 - ماما ! شنو رَوّحته ..!
 - يعني راح الى ولايه ثانيه .
 - ومتى يرجع ؟
 - عن قريب ..

48

- جدتي.. اصحيح ان عزيزا مات . ؟
 تلملت جدتي ..
 - أي .. جدتي .. من قال هوبي عزيز مات .. ضربناه "
 جلاليق"
 - زين وام طالب .. ليش تقول .. عيني .. خلو الولد نايم هل
 هو نايم في البيت ؟
 اش .. اش .
 " قلت عندما اقترب حمه " ..
 " شوف حمه كان عزيز كلما وصل للقيصريه يروح يتمشى
 بهدوم الطيران قدام بيت " ام عربيه " مع ودود وسمير وطارق "
 وهم يتكلمون معه ويضحكون وكان من يشوفني يصيحنى...
 - ها " نعومي " متى تاتي انت ومارسيل لاخذكم بالطياره.. ؟

- ومتى تروحان معه؟

صحت بعصبيه ..

- نروح !!

قال سمير ...

- ان " عزيز " ضربه اليهود فوق " تل ابيب "

بس شوف.. حمه .. مارسيل ما تدري من ضربوا اليهود " عزيز "
في فلسطين .

49

- الا تريد ان تصبح طيارا سألني " ابن النجار " فكيف لا

تستطيع ان تعمل طياره من الورق !

- خالي عبد الرحمن يعرف كيف يعملها من " الابر و*

ويلصقها بالشريس "

50

" استعرض الجيش وسط الطبول والابواق والموسيقى فلم يبق في
بعقوبه من احد لان الكل جاؤا الى المحطه لتوديعه في ذهابه الى
فلسطين.

وكان الطلاب الصغار ينشدون ..

"موطني موطني" ..

والطلاب الكبار ينشدون

" بلاد العرب اوطائي " .

51

قال هوبي.. عندما راى " خزعل " راكبا سياره عسكريه

وقد وضع سماعات على اذنيه!!

- شوفو .. خزعل.. هم رايح الى فلسطين ؟

- وكيف يحارب وراسه يرعش ؟

- هو بس يخابر بالتلفون ومايقاتل وقد وعدني ان ياتيني

بقمصله !

قال رشيد ..

- والذين يذهبون الى فلسطين يحاربون لو يشترون ؟
- عيني رشيد.. هم راح يحاربون ويشترون لان اليهود
- عندهم دكاكين مليئه " بالنكات* وعندما ينتصر الجيش
- العراقي راح الجنود يفرهدون ما عندهم !!
- لا خوش حرب مال بيت حمودي !!
- قطعت "سلمى بنت الملا" الحوار وهي تبكي وتولول ..
- أويلي عليهم " !!
- فصاحت امها غاضبه ..
- ولك شنو.. ابوك لو اخوج وياهم ؟
- " استمرت سلمى بالبكاء وهي تتمرغ بالتراب "

52

بدور ؟

- نعم " باجي " ؟
- الدنيا مقلوبه وانت تسمعين الاغاني . ؟
- باجي هذا "عزيز علي "

53

- وانت رحنت للسينما ..؟

- ذهبت مع خالي عبد الرحمن والسينما فيها كراسي
- اسفنج وعندما اطفوا الاضويه .. طلع الفار.. اسمه .. أي لا ..
- ماوس " يلعب مع " البزون " واكل منه الجبن والبزون يصيح ..
- ميو .. ميو..

- وبعدين شفنا طرزان !

- و من هو طرزان ؟

- طرزان .. رجال يلبس جلد نمر ويعيش بالغابه وعنده "
- شاذيه" اسمها " شيتا" والغابه مليانه حيايه وفيله وسباع وبها
- تماسيح والتمساح جر الغزاله للنهر يريد اكلها فضربه طرزان

بالسكينه وقتله وخلص الغزاله فصفق أهل السينما له و صفقت أنا معهم !!

54

كان هوبي اول من وصل الى النهر ووقف عند عمود الكهرباء و كعادته في نقل الاخبار هز راسه قانلا ..

- متدرون ... ترى بعكوبه غرقت ؟

" عكرت جدتي وجهها "

- هه .. و غراب البين هذا بس شغله علوم الشر !

" فاض نهر ديالى وارتفع مأوه و اغرق بساتين البرتقال و التفاح

حنى وصل الشاطي, ورجال البلديه يركضون و العمال يحفرون

ويكومون اكياس الرمل "

- واين سنذهب يا جدتي لو جاءنا الفيضان و دخل

القيصريه ووصل الى بيتنا .؟

- نبقي في البيت ..؟

" حيرني جوابها.. لانني فكرت بالطشت فاذا وصل الماء الينا

ركبت فيه ..

- أي .. و المدرسه مغلقة و لا احد فيها و معلم " يوسف " يصيح

الحقوا .. الدوام في نهر ديالى وراح يسجل اسماء الغائبين !

- زين و الصوفوف ؟

- و لك .. يا صوفوف صرخ " كزيم " .. هم راح ياخذوننا

ننقل تراب حتى نوقف الفيضان .

" في الليل ارفع عواء " الواويه " عبر نهر ديالى و كأنها تبكي

قالت جدتي ..

- حتى " الواويه " انهزمت من الفيضان و حين تدخل

بعكوبه لا تبق دجاجة و لا ديك فيها !!

55

- " كزيم " الا تذهب معي لنرى الفيضان ؟

- مشي ؟
- لا خليفه نتعلق بالعرباين احسن وهي رايعه " للهويدر
وبهرز"
"ولم يكمل كريم كلماته حتى قفز وتعلق بخلفية العربيه فتصاعد
التراب الذي اثارته الخيول من حوله " ..
"من "راس العكد " ارتفعت اصوات الاولاد .."
"عمي وراك .. عمي وراك"
عمي .. عمي !!
"ما كاد "العربنجي" يسمع الاصوات حتى ادار جسده قليلا الى
الوراء وانهاه بالقمجي ضربا على راس "كرومي" المتعلق بين
العجلتين الاخيرتين .."
قال " ابراهيم "
- لم لا ينزل .. ؟
- كيف ينزل والعربانه سريعه ..
" عندما وصلنا راكضين كان "كرومي" متسخ الدشداشه وراسه
الحليق مغطى بالتراب .. يبكي ويصيح ..اي .."الوصخ" عداوه
ويايه *"
فحاولنا رفعه من التراب فتمزقت دشداشته واتسخت اذيالها
الطويله
- الم اقل لك لا تصعد بها .. ؟
- ولد "راس العكد" ولد " الكحاب" صاحوا عليه ..

56

" رأيت ديالى تسطع فوقها الشمس و"الروج" يصعد وينزل وكل
دقيقه " يدوي الطوف " بصوت مخيف فتقع حيطان البساتين في
الماء .

- واين كنت واقفا ؟
- فوق الجرف يا جدتي ..

رايت " كاروك و جربايه وحصران " فوق الماء, حتى الديكه
 رايتها راكبه بالطشوت "تعاعي" أي.. والناس مثل يوم العيد جاوا
 يتفرجون ويبيعون " الجرك والملبس والسيفون..حتى "سكران
 ابوالمسميه" كان قاعدا على الجرف يبيع المسميه .
 - والفلوس ؟
 - عطشت وشربت بها سيفون.. و ..
 - عال .. يعني ولا فلس بقى عندك ؟
 - وماذا افعل ؟ "خطيه" كريم..هم اشتريت له سيفون !..

57

لم تظهر من " مقبره الشريف " الا بعض القبور المهدمه
 منتشره حول القبه الطينيه الصغيره والمياه تتعارك وتصعد "
 الجرف..!"
 - نعمان .. تعال .. اسمع ؟
 " وقف كرومي فوق جذوع النخل الممدده على الشاطي ورفع
 راسه الى النهر.. صائحا ..
 " دياله الحياه اتردين " تنكه " لوابريك " ؟ *
 " ابريك !"
 "تردد الصدى راجعا بصوت مخيف "
 - سمعت ؟"ديالى" تقول .. تريد ولد حتى تغرقه !!
 - بس .. يونس .. كان يسبح بدياله ولم تقدرهي ان تغرقه ؟
 - " يونس " كان يعرف كيف يلعب على "الصويرات"
 يدور معها ويسبح .. أه..لو كان باقيا اليوم.. لماذا سكنت ؟
 - اى .. مو دياله " غميجه ومليانه بالبياره " ومو كل
 واحد يقدر يسبح فيها .. حتى النخل ما كان يظهر منه الا السعف
 وتريديني ما اخاف!
 " ترامت مقبرة الشريف وتبعثرت حولها القبور والماء يلطمها
 بقوه "

- اقول كرومي .. ان كانت هذه مقبره فلماذا اخذوا خالي الى
"سامره " وابوك اخذوه" للنجف" فمن يدفنون فيها
قال كرومي ..
- يدفنون فيها فقراء بعقوبه والذين ليس عندهم احد ..

58

- ولك .. هاي " ابزيزه "*
"ركض" كرومي وابراهيم" ورايتهم يضربون كلبا اسود اللون
طويل البوز , قصير الاقدام."
- ولكم خطيه!
- حسبتها " غرييه "*
- أي .. "الغرييه" تنبش القبور وتاكل الموتى وتقرط
عظامهم و جلدها لا تؤثر فيه الخناجر ولا الرصاص !!
- وكيف تموت ؟
- اذا ضربتها على " خشمها " لان روحها فيه ولهذا من
تمشي تخلي ايدها عليه !!
"بدات الشمس في المغيب فارتفعت اصولت مرتعده جاءت عبر
الشط مختلطه باصوات" الواويه" !!
انتبهت على صوت " خيري" ..
- واي .. واي .. رجعت للشطوط.. أه .. لو راك عمي ,حظك
هو الذي خلصك هذه المره !! لانه كان منذ ساعه يفتش الشرطه
الذين يعملون في الفيضان' و في بالمره القادمه ستري بانني لن
اتستر عليك ..
وانتم ياولد الكلب "اشار الى اصدقائي" ...
ابتعدوا من نعمان والا رميتكم بالنهر !!

59

" ارتفعت الغربان.. صاعده نازله مثل موجات سوداء وهي تحوم
حول اشجار البرتقال مختلطة باصوات "النواطير" !!
" عا... عوو..و..!!"
وعلى حواف السواقي اليابسه تكومت عشرات الغربان الميته..
كانت الغربان تنزل وتنقرالبرتقال ولا تترك الا القشر. والنواطير
يوالون ضربها بالمعاجيل" * فتساقط مفروشه الاجنحه..
- ولك.. " هوبي" .. اش.. عندك ويه الغربان ؟
- "راح اوديها عشه للبزازين"
قال.. " اموري" اخاف ابن الكلب طلعت فتوة جديدة"
وتالي الليل تصيرالغربان عشانكم ؟
ضحك اموري .. قائلا ..
- وتدري نعمان .. الغراب ما يقدر يوصل للنخله ولو
وصل النخله لاصبحت بعقوبة بلا تمر!!

60

"يثير السجن عندي الخوف فعند الغروب وحين ينقطع الناس من
المرور أرى صواني كبيره فوق رؤوس الحمالين تدخل باب السجن
وفيها مواعين مملوءة "ثريد شجر" وقد امتلا الجو برائحة زنخه
هي رائحة الطعام..!
فقد اعتدت الاختباء بين اغصان " تكيه" * كبيره خوفا من أبي ,
كما تعود " رشيد" ان يلحق بي وهو بشيرالي صواني الطعام
و" يتمطق" قائلا ..
" أو يلي .. ثريد شجر" ؟
اما الليلة فلم يتمطق فقال متحسرا ..
- يا.. حرامات الاكل.. الليله راح ياكله السجائين لان
المساجين اخذهم " سعيد العبد" للفيضان ينقلون الرمل ويسدون
الانهار.. متشوف "سعيد العبد" صاير مثل "هرالمطايخ اش متته!
- الا يخاف ان ينهزم السجناء ؟

- واين ينهزمون ؟ الا ترى الحديد والسناسل بارجليهم
وايديهم فاين يروحون ؟

61

- ولك وين رايح ؟
مد " عبد " راسه من وراء " الطوفه " !
- اجيب برتقال ؟
- حرام ! قال " ابن الرقاع "
- و موحرام يروح البرتقال للنهر واهل البساتين انهزموا
من الفيضان ؟
فصاح رشيد منها ..
- ولك اخاف يطلع لك واحد مثل " جاسم البقال " ابن
الكلب ركب " القفه " ووقف وسط البستان الذي غرق بالفيضان
وبيده " مكوار " وكل من يقترب و يريد ياخذ برتقاله يضربه
بالمكوار !!
- اعرف.. قال " عبد " ..
" البستان كبير ولم تبق فيه ولا طوفه فاختلط البرتقال مع
برتقال " محمد الديري " !!
عاد " عبد " يدفع بالطشت الى البستان قاتلا ..
- كلهم متشابهن " المغلواني " * جاسم مثل عبوش ..
كلب ابن كلب لا يشبع و يريد " الفردقال " * تاخذه "
ديالى " ولا ياكله فقير او جائع مثلي ..

62

من مدخل " القيصريه " وصل " هوبي " راكضا..
- تدرن.. " عبوش " غرق ؟
رد " عبد الودود " مبتسما ..
- ولك .. هذا شيغركه " بزون ابو سبع ارواح "

- و"ابو دريس" لقد سمعه جماعه يصيح..
 " دخيلكم راح اغرق" بس .. محد طلعه !!
 - دخلي يموت ..قال كريم ؟
 - أي .. أي .. ظل شيء لم يفعله عبوش "التموين
 والفرهود والفايز !!
 - نط "ياس ابو اللوريات"..
 - اخاف هذا" كلاو من كلاواته " !
 - والله يبين كلامك صدق!
 "اختلطت اصوات النساء والرجال والاطفال ..كل يبشر الاخر ..
 - "عبوش" غرق ..!!
 - بشركم الله بالخير !!

63

- هيه هيه .. ابو "البسطال" !!
 قفز "عميطي" محاولا الامساك بي فحاولت التملص منه
 الا انني اصطدمت بثوب خاكي راح يصيح بصوت قوي..!!
 - ولك شتريد من نعمان ؟
 " فأجنتني صوت " خالي سالم راجعا من المركز "
 - لا عمى .. ما اريد شيء بس ردت اسأله ..?
 - ولك بيتكم وين ؟
 - عمي " بالعنافصه"!
 - وين ؟ بالعنافصه وجاي للقيصريه لازم جاي اتبوك " !!
 " تقافز اولاد المحله متصايحين يتقدمهم "عقق" ابو
 "الركي" *
 - أي !! عمي سالم و"العباس ابو راس الحار" *
 - هذا كل يوم " ايتخم هنا و"ايبوك" ويتعارك والبارحه
 اخذ مني " رقيه " وانهزم .. أي .. وداعتك "بيك" هذا
 كل ما يشوف نعمان يصيح عليه..
 "ها.. " ابو الكريك" " "ابو البسطال" *

وقال "ابن ليلى الملايه" ..
 - و"موبس هاي عمي ويقول له ليش "يونس" قتل
 نفسه ومات كافر "
 زمجر خالي و راح يفتل شاربه..
 وساكتين عليه ليش ؟
 "رايت النطاق ينزل فوق راسه فيعوي باكيا.. التوبه عمي...
 "عريف عبد الرحمن" يلله .. خذه للتوقيف والله .. الليله
 لاطلع لك جلد جديد ؟ ..
 - خطيه الولد .. !!
 " جاءت أصوت" ام زهوري وام غفوري " من " راس الدرّبونه"
 يركضن متوسلات... ثم توقفن فجأة عندما أقترين من الجمع وقد
 الجمتهن الدهشه !!
 " وي .. هذا ابن " السيه بندي " عاشت ايدك ياسالم !!! *
 "ركضت الى بيتنا فالتقتني "بدور" متسائلة ..
 - ماذا يفعل خالك هنا ؟
 - اسكتي .. ابن " السيه بندي " اخذوه للحبس ..لم اكمل
 كلماتي الا وشعرت " بالنطاق " يسقط على راسي وخالي يصيح
 بوجهي ...
 - ولك تترك ابن "السيه بندي " يضربك ولا تقول !!
 "امتلات الدرّبونه بالنساء والاولاد فركضت " ام جاسم وخجه
 الخياطه" ..
 " بيبي.. !! هذا ابن السيبندي " اللي صاكر " المحله " *
 ما ان راى "سالم " النساء يتجمعن حوله حتى صاح بالشرطي ..
 - عبد الرحمان " يلله اضربه " كلبجه" وخذه للسراي..
 ثم التفت الى حيث وقف " ابن السيه بندي " وقد تولاه اولاد
 المحله بالراشديات" !! *
 و" الليله .. راح اخليك متندل دربك !!"

"لاحت رؤوس الحراب .. تلمع بين الروابي
نحن فتوه للجهاد.."
هيه..

واستمر هوبي يقرأ النشيد..
- نعمان .. لم لا تسأل جماعتك " بيت النصاره " هل
صحيح أن "نللي" بالاذاعه... ؟
هاها .. تصايح الاولاد وصلت نللي!!
انفتحت ابواب القيصريه وازداد الصياح والضجيج عندما نزلت
"نللي" من العربة وهي تلبس ثوبا ابيض اللون ..
فصاح هوبي ..

- " نللي .. هاي.. انت كنت بالاذاعه ؟
"دارت" نلي" وجهها ولم ترد عليه ودخلت الى بيتها "
- شفتو ؟ نللي" كانت بالاذاعه لانها لم تحك معنا !!
- زين.. واللي يروح للاذاعه ميكلم الناس ؟
اش اش ..

كان " هوبي " ينفخ " ماصوله طويله " * القى بها جانباً عندما
سمع الاولاد يتصايحون " فقال ..
- أتعرفون الاذاعه ؟
- لا .

- الاذاعه مبنيه من " الكاوتشوك " تدرون ليش؟ حتى من
يمشي المذيع ما نسمع صوت المشي !!
- وماذا يفعل الذي يدخل الاذاعه ؟
- يلبس " قندره " كاوتشوك !!
- زين .. وشلون " نللي " تروح الى بغداد ونسمعها في
بعقوبه .. سأل ابن " الكواز "
فرد عيسى ..

- "ولك.. هاي مكايين جابو هه من بلاد ..!"
وقال " ابن الكهوجي "
- اخ .. لو كان عندنا راديو كان سمعناها؟

نهض "عقق" رافعا طرف "دشداشته" وهو يعاين اكوام "الراقي" ويصففه على الحصريه في مدخل الدر بونه..
- زين .. انا سمعت "نللي" بالاذاعه وشنو صار؟
"حمل هوبي نعله في يده وتقدم من" اكوام الرقي"
- شوف "عقق" راح اخابرلك المتصّرف واسأله
ولك انت "زمال" اش تعرف غير "ركي عالسكين" !!
اش اش

- زين " .. نللي" ما تعرف تغني ليش اخذوها للاذاعه ولم
ياخذوا "أبويه" حتى يقرأ لهم القران؟
أقترب "هوبي" وصاح متفاجئا ..
ها .. "ابو راسين" !!

سمعتوا؟ يريد "ابو راسين" ان ياخذوا "ملا حميد"
للاذاعه" .. يا جماعه لو قرا "ملا حميد" راح تحترق الاذاعه
لان صوته مثل "الكركوعه" !! *

65

- تعال نعمان؟
"وضعت جدي بيدي عشره فلوس" قائله ..
- روح الى "حسن غايب التتنجي" ولاتنس..جيب لي
تتن "شيرا زي مو هندي"
- واذا ما عنده؟
اش اش ..
"لحقتي" سمير "وكان يلبس بيجامه بيضاء اثاره التعجب ..
عند اولاد القيصريه الذين تعودوا ارتداء "الدشاديش" فراحوا
يتصايحون.. ولكم شوفوا سمير اشلابس!"
قلت ..
- انا رايح اجيب تتن الى جدي .
- وابي يريد "برنوطي" .. *

قال " حسن غالب" وقد امتلا دكانه بالسجائر والمزين
واكوام التتن وهو يلف التتن بالجريده
دير بالك أبنى .. تره الولايه مليانه عرباين!!
- بس.. " عمي حسن " سمير يريد " برنوطي " ..
ضحك " حسن غايب " ..
- البرنوطي عند " شليمو اليهودي "
ما ان وصلنا قنطره السوق حتى سمعنا صوتا تهديديا....
" ولكم هذوله ولد القيصريه هاجمين عليه "
وتراكض اربعة اولاد بيدهم العصي والحجاره فصاح سمير بي
اركض فركضت وتناثر " التتن " على التراب حين انهالت علينا
الضربات..

و لكم ليش ؟

"تعثرنا بالاحجار فوق سمير على الارض وسال الدم من وجهه
وانقطع الطريق بين " راس العكد والقيصريه " وتناثر الطابوق
والحصى وارتفعت صرخات النساء والاطفال فامسك " حجي رشيد
" بواحد من الهاجمين والقاءه على التراب ..

- و لك هاي شكو ؟

- عمي هذوله القيصريه البارحه شتموا " الهويدر " واليوم
احنه هاجمين عليهم !!

- زين .. وانت من " الهويدر " واش جابك البعكوبه ..
يلله من وجهي لو " اخبز بيك الكاع " عفيه ولايه كل محله
بيها صايره حكومه ولكم بس عاد مو ملينه من السياسه
والقشمره واليوم عليه " الزعاطيط " واي .. واي .. هذا
من جماعة " الباشا " وذلك من جماعة شيخ خ

خ .. "خره" اعوذ بالله من لساني ولكم هذا مو وضع !!
عندما التفت "حجي رشيد" وشاهدني مغطى بالتراب"صرخ
بي"وابن الحكومه هم صاير مثلهم وفوقها طشيت التتن . زين ..
زين .. اني اقول لابيك !!

فجاه.. دوت صفاره " عريف عبد الرحمن " فرايت أحد اولاد"
 راس العكد" يقع تحت ضربات " دونكي" * وهرب البقية عبر
 الازقة والدروب ..
 وما كدنا نصل "بيت ام طارق" حتى خرج "كرومي وابراهيم
 وتحسين وعيسى وابن النجار" وهم يلوحون بالعصى فامتلا
 الطريق بالطابوق والاحجار..
 " شوفوا .. العريف خربها علينا.. ولكم متسمعون ؟ هم
 يهجمون على القيصريه وضربوا "نعمان وسمير"
 "ومن داخل "القيصريه "ارتفعت صفكه وهوسات "
 " وسلاحنه هسه يجي "!!
 "ومن فروع " راس العكد " ارتفعت " صفكه وهلاهل "
 " وبارودنه عند العجم " !
 اليوم .. اليوم .."
 فدمدم حجي رشيد.. " لا خلصت.. هي هي..!
 " عرب وعجم ويهود ونصارى وعشاير وبعد وبعد "

66

"عمي زمبور .. عمي زمبور .." *
 "مر زنبور طائر اشتعلت اطرافه ففزع"اسماعيل طابو" وسقطت
 سدارته على التراب وصرخت امراة عابرة " عندما ضرب "ابن
 عبوش" " بوتاسه " دوت بصوت مرعب ..
 يبو .. يبو منو انكتل ؟
 "عفيه بعقوبه كل يوم شكل ..تموين وفرهود و"محيه" من
 الزنابير والبوتاس والطرقات"

67

وصل " سالم" مدخل " الطرمه " يحمل عصا سوداء
 منقوشه بالفضه فنظرات له جدتي مستغربه !!

- سالم ماهذه ؟
 - " عوجيه " .. هديه من صديق !!
 - سالم ؟
 " كان صوت جدتي حادا " ..
 - ومن هذا " البرمكي " الذي يهدي لك عكازه من الفضة ؟
 " تضاحك " خالي " ووضع العصا بين يديه وضرب بها " الكيتر "
 الطويل الذي يلبسه ..
 - ولماذا تسالين !!
 " نهضت جدتي متعثره بقوطيه التتن " "
 - شوف سالم ؟ هاي العكازه من الفرهود لو لا ؟
 جفل خالي خائفا !!
 اش .. اش ..
 " ارتبك " سالم " وحاول ان يكون عصبيا الا انها اسكتته عندما
 رفعت النعال بوجهه .. ! "
 - هل " تخبلت " يامي .. ولك نعمان هنا !!
 ثم " التفت لي صائحا ..
 " ولك اطلع بره ! "
 كان صوتها مرتفعا فخرجت امي من " الاورسي " وعندما راتني
 حائرا سألتني ..
 - لماذا تتصايح جدتك ؟
 - خالي عنده عكازه حلوه وجدتي تقول له .. ناهيهه من
 الفرهود ؟
 " عندما دخلت امي سمعتها تصيح به .. "
 - يلله طلعا من البيت والا ساقول لمحمد سعيد .. ما شاء
 الله " بيت الساده " ياكلون حرام " ولك أنت محتاج حتى
 تنزل نفسك وتصيرمثل " ابن حبش وحياوي " !!
 فصاح سالم غاضبا ..
 - و لكم .. بس هذا هو الحرام ؟
 فنهرته جدتي صائحه

- "انجب"! لو بيك خير ما كان انهزمت من " سن
الذبان"!؟! بس وين الرجال!! وعادت تصيح ..
اليوم اليوم!! "اسمعي يا ساره ساتبراً منك ومن البيت ان
لم تطرديه ثم التفتت قائله ..
شوف لو انت بالبيت لو اني .. أي.. " ابن الامامي "
صاير حرامي!!
سمعت صوت حذاءه يطرق الارضيه المفروشه بالطابوق وصوت
جدتي يلاحقه..
واحذر أن تخدعني اوتضعها عند احد من "الهتليه " من
جماعتك.

68

- قالت .. "ام زهره " وقد اطلت من الرازونه
الفاصله في الدربونه!!
- واليوم بمحلة "السويديه" نقوا سرداب مليني
بالقتابل والبنادق وكلايب لنزرع قلوب أولاد المسلمين..
- عيني هذوله اليهود مال ذبح!! قالت ام جلاوي ..
فقالته .. "حجيه ماهيه"
"عطل بطل سحر بطل, على الشوك على الشجر"
- وهاي شنو حجيه المن نسحر.. موعيب هالحكي
ويانه ؟
- زين والمن هالكلام اللي حكيتيه يام زهره ..
ردت " خيريه الحفاهه "وتساعد صوتها..
- وحق البيت الذي حجيت له اتصدقين مثل هذا
الكلام..
- و تصدقين " شليمو " الفقير عنده قنابل و
تصدقين بيت "حبيم" عندهم كلايب..الله انشاف لو انعيد ؟
- أي مو الناس تقول ؟
- والناس بيت شر ومنو اللي يقول ؟
- اشمدريني يام سالم ؟

- اشمديك ؟ ردت " حجه ماهيه " ..
- لا حول ولا قوة الا بالله كيف تسمعون مثل هذه
المصايب.. زين وين الاسلام !
شوفي... " ام زهوري " قالت جدتي ..
- من وصلنا من " كركوك " قبل " دكة رشيد عالي " الى
بعقوبه واحنه جيران مع " اليهود والنصارى " و لم نسمع ما
يعثليش هسه صاروا الناس هيحي ؟
- اقول يا ام سالم .. بعقوبه اجاهه نفو من كل مكان ومعهم
" الكاولي والسيبندي " .. ووو...
- أي والله.. " ماهيه " !
- أي والله شنو ؟ غير نوقف كلنا و نوقف الحراميه لو
نصير مثلهم ؟ ثم من يقول شفت ؟ لو.. بس " الحجي " سمع من
جاسم وجاسم سمع من الخبازه .. و ..
- عيب والله يا ام زهره ..
- زين.. وين الجيره وين الاسلام.. أسالك بالله قالت
" ماهيه " ..
- منو احسن " شليمو " لو " عبوش " هذا أيهودي
وهذا مسلم مو ؟ " عبوش يخلط التراب بالطحين وشليمو ايام
التموين يدق الابواب ويشيل الطحين للفقره .
ردت " الحفاهه " زين " أسالوني انا منين عشت وعندي
سبع بنات و " الملا " بالبيت ولو ما " شليمو " الله يحفظه كان متنا
من الجوع ؟
- والله صدك !
- وليش " ابو زهره " من " انكسر " مو " ألياهو " الله
ينطيه ركض وشال عثرته , اشلون تقبلين نقل هذا الحكي ..

- اليهود نزلوا للسوق " زناد " محشو بالقنابل .. بس
يلعب الولد بي يطق ويقتل ! أي والشرطه لزمتم .. " ابو ساسون "
وعنده الغراض .

- أي .. صاح هوبي ..
وتدرون " حيميم " كان يبول في ابرميل " العنبة " ويبيعه
النا ..

- لك هذا شلون حكي ؟ صاح سمير

- وابو ادريس ..!

اش .. اش ..

- ولك ومنو كان " يزقنب " كل يوم " العنبة " بعد
المدرسه وما يعطي فلوس , ها ابن الكلب أشو سكتت
سمعنا " طربكه " عندما وصل " جلاوي " راكضا
- ولكم .. ما شفتوا عبوش " ؟

- ولك .. عبوش غرق الله لا يرحمه !!

- ولك يا غرق .. طلع هذا كلاو .. اقول من قال غرق ؟

- هوبي !!

- وابو ادريس .. اني سمعت !!

- اش اش .. كم اعطاك ؟

- شوفوا .. الكلب ابن الكلب .. عبوش اعطاه .. "

خمسين فلسا " وقال له بس .. شيع وقول عبوش غرق !!

تدرون ليش ؟ حتى الشرطه يبطلون مراقبتة !!

واليوم " كمشوا " لوري مليون سلاح وطلع هذا مال

عبوش " الخاتل " بمقبرة ابو ادريس " ويريد يوديه لليهود في

ايران وهسه جابوا بالقنادر !!

- ولكم .. وين هوبي ؟

- انهزم !!

- جدتي .. "منشي" غائب من المدرسة والطلاب
يقولون اهله راحوا الى فلسطين ويبيعون غراض البيت
بالختله ؟
- خطيه !
- جدتي .. اشو بس انت تقولين خطيه ليش ؟
"عطست من رائحة الدخان .."
- وليش ماقول و اليهود مثل الاسلام يعبدون الله مثله
- ولماذا يريد اليهود ان يذهبوا الى فلسطين ..
- أي مو خلصت ارواحهم .. كل يوم "باسطين" واحد
منهم وكل يوم ناهبين حلالهم وكل يوم فرهود !!
- وفلسطين يا جدتي ؟
اشو " احمد افندي" يقول اليهود ذبحوا الفلسطينيين
واخذوا بيوتهم وطردوهم وسووهم لاجئين واحنا العرب لازم
انحاربهم وانذبهم بالبحر ؟
اوف .. اوف .. يا عالم بس انريد واحد عاقل .. اكو شي بلا
سبب بس وينه ..؟

71

قال هوبي ..
"و عندما يصل الجيش العراقي الى فلسطين راح يطلع
اليهود من "تل ابيب" ويذبهم بالبحر !!
- و شنوو..تل ابيب ..؟
- و لك ابراهيم .. تبقى " زمال" أي. أنت ماشايف"
تل" !! وهذا تل في فلسطين دخلوا به اليهود والجيش
راح يقلبه بيهم
راى هوبي"كاظم ربل" يمر قريبا فساله..
"عمي كاظم ابيش الساعة " ؟
- ساعة تسعه ..اش عندك بالساعة ؟

- هم لازم يخشون للتل , بس .. هم لايعرفون اين مكان التل !
- والطيارات الم تقل ان طياراتنا ذهبت الى فلسطين , فكيف لا تقدر رؤية التل والطيار مثل ما يقول تحسين .. يقدر يشوف كل مكان ..؟
- ولكن اليهود "شاعلين" الارض وحارقين "تايرات" وماليها دخان وبهذا السبب طياراتنا لا تقدر على رؤيتهم!!

72

بدت امي غاضبه وهي تعاين شعري الكثيف ..
- متى تذهب للمزّين... أنت صايرمثل "سبيع" شعرك "مهلب و منفوش" .. وبس عايزك تكدي !
- ماما .. معلم "روبين" معزل !
- "كلاي" موجود ؟
- اني ما اروح الى "كلاي" ! كلاي مو خوش مزين بصيح كل مره "تواليت لو نمره صفر" ويضربني بالمنشفه - كلاي .. يضربك ؟
- أي .. ويسبب "معلم روبين" !
- وما علاقتك بروبين ؟
- " نسيم " يلعب معي وتفرج على صور الدكان .. هي مثل صور بيت ام سميره , و "ابو نسيم" عنده "شيش رичه هوايه" وكلما اروح اه يسألني.. أي .. موعندك " اسطه كلاي " ليش ما تزين عنده فاقول له معزل !
قالت أمي ..
- ولكن .. " كلاي " .. اسطه و "بابا" يزّين عنده !
- لا.. معلم روبين هو الاسطه و كل مره " كلاي يشتم روبين "
- وماذا يحكي لك روبين ؟

- يحكي لا صدقانه بالدكان " احمده وابو البريد واصحاب الدكاكين " عن بغداد .. أي .. ويسمّعهم اغاني من الراديو ..
- أي .. و "كلاي " سالتني امي ؟
- " كلاي " .. كل جماعته "نفخه" وما يتكلمون!
- ومثلما تقولين عن النسوان و "هاي شايفه نفسه"
- جماعة "كلاي" شايفين نفسهم واموت منهم !!
- ومن علمك هذا ؟
- انا يا ماما ؟
- اقتربت جدتي متسائله ..
- ماذا يحكي لك " ابو الدروب " ؟
- نعمان .. يريد ابو نسيم ولا يريد غيره ؟
- له الحق يا ابنتي ولكن " روبين " سافر يا ولن يرجع !!
- وليس ما يرجع .. الدكان موجود !!
- لان كل اليهود مشوا ؟
- ومارسيل ؟
- هو هو .. رجعنا يا ساره ..؟

73

- جدتي .. البارحه رايت " خليل اغا " لابس هدومه العسكريه وقاعد فوق الدبابه .. صدق " عمو خليل " رايح الى فلسطين
- صحيح يا نعمان !!
- وكل من يذهب للحرب يموت ؟
- اعوذ بالله .. الحرب مو كل الناس يموتون فيها
- واذا كان " عمو خليل " يعرف بانه سيموت , لماذا يروح الى فلسطين ..
- لاته ضابط يا نعمان وشغله الحرب, لماذا تسأل ؟
- لانني رايت " عمو خليل " راجع للبيت وملا سيارته بالكراسي والقريولات , هل سياخذها معه الى فلسطين ..؟

- نعم يا نعمان ..
- وماذا يعمل بها ؟
- الضباط والجنود ينامون في الحرب مثلنا وعندما لا تكون هناك حرب يقعدون في القهوي يشربون القهوة والشاي.
- ولم لا يخافون من الموت ؟

74

قال هوبي ..

عندما جئت معكم الى المحطة حسبتم سيلقون لنا "الملبس والبسكت" .. بس .. "حسن غياب" وزع عليهم باكيتات " لوكس ملوكي وغازي " ولم يعطنا شيئا ؟

- وجيش رايح الى فلسطين تريد منه حضرتك ان يعطيك الجكليت والملبس , شنو هو عرس أمك ؟

- لا .. سمير .. بس و"العباس أبو راس الحار" من رجع الجيش الانكليزي من خانتين اخذني " قدوري وجعفر وعيسى ابن ليلبي " للمحطة وقالوا انت مو بالمكتب وتقرأ انكليزي .. زين .. ارفع يدك واكتب مثل هاي بالانكليزي V قلت هاي سبعة بالعربي ومن يمر الانكيز أتسويلهم . "سبعة" بايدك ..

وبعدھا صعدي " عيسى " على ظهره وما ان رايت الدبابات قادمة حتى رفعت يدي بالسبعة فالقوا علينا " الجكليت والتمرابو اللوز والبسكت وقواطي المربي والحليب " مثل المطر وهجم " قدوري وجعفر وناجي يملاون جيوبهم .. ثم وقفت "سياره جيب" و نزل منها ضابط عراقي يصيح .. "ها .. ولد "الكحاب" خونه وجايين " اتكدون " من الانكليز وتولانا "جلاليق وراشديات " و راح يدوس برجليه الجكليت والبسكت " .

وصاح على الجنود ..

" يالله ارموهم " , فبكينا وتوسلنا به و انهزمننا !!

وتدرون منو طلع " ريس خليل ابن الاغا" نفسه

قال سمير ..

- زين.. هوبي.. وهسه جيشنا رايح الى فاسطين , أشو ما
رفعت ايدك بالسبعه لان ماكو بسكت ونستله .. اشو سكتت ؟
- أي . مو هاي الكلمه بالانكليزي مو بالعربي !!

75

صاحت ام عبد الرحمن ..

- عيني نعمان .. أركض وشوف " كلير " شتريد خطيه
هذوله صار لهم بلا اكل ..
رفعت راسي للشناشيل فرايت " كلير " وراء " البرده " تؤشري
!!
وحين وصلت الباب رايت الباب ملطخ بالطين وعليه اثار بلطات!
- كلير ؟

- تعال.. عيني نعمان ؟

"دفعت الباب وأنا عرف كيف ادخل! " هم يربطون "
السركي " بطرف خيط مربوط بالطابق العلوي فاذا جروه
انفتح الباب
ودخلت والبيت مظلم وفي اعلى الدرج رايت " ام راحيل
وكلير " واقفتين !!
- تعال اصعد ..!

وصعدت الدرج اذ كنت دائما العب مع " حsqيل " .
ولكن يا جدتي " بالعرازيل " كانوا يعلقوا قلاند الرمان
بالخيوط والبرتقال والبيض الملون وعذوق " التمر الزهدي " !
واليوم ما عندهم شي.. بس الشمع , وبكت " ام راشيل " ومسحت
دموعها ..

- عيني نعمان.. نحن لم نتسوق بعد ..

قلت..

- ومن يبيع لكم وكل البقالين يخافون البيع لليهود
قالت جدتي.. كيف تقول ذلك لهم ؟

- صحيح يا جدتي.. بس..

"خطيه " شنطوب شفته يشتري الرمان من دكان جاسم
البقال وطلع له "حياوي" و"تفل" في وجهه ..
- ولك " شنطوب " امش من هنا ابن الكلب , والا
كسرت رجلك و مو بس هاي ..حياوي لزم جاسم وقال له..
شوف ولك جاسم والله لو شفتك اتبيع لليهود راح اذبحك
بيدي... كواد !!

- يا مضعوف البخت !!

فقلت لام كليز خاله ام نسيم " أمي تسلم عليكم وتقول
أخاف محتاجين شي نحن نرسله لكم ,
فقلت.. أم نسيم ..فدوه أروح لك بس اشعل لنا القنديل ؟
ومن طلعت من عندهم راني " ابن الركاع "
وقال .. اشلون تخش عند اليهود ما تخاف يخنقوك
- زين اشو ما خنقوني .

- لا ياابني هذوله ميسوون شي لاننا عمر وياهم

- وتعرفين يا جدتي ..

"راشيل" هجم عليها حياوي اول البارحه وهو يصيح "
عيوني " وجر عباءتها وخالها أمفرعه" وكان "حجي عبد
الرحمن" راح من القهوه فهجم على حياوي وامسك به من
حزامه وراح يضربه بالعكازه على راسه ورجليه و يجره على
التراب ويقول له.. ها ابن "المنبوش" نسيت منو خلصك من
الحبس لك لو اختك لزمهه" هتلي" مثلك وشكك عبانتها ..اشكان
اتسوي ؟

أي جدتي ؟ وكل المحله طلعت أتصيح على حياوي وتقول أيبين
مشتري الغيره أخر زمن !!

جدتي.. من خلّص حياوي من الحبس؟

- هة .. حياوي باك "ايام" التموين " طولين قماش
وصندوق شاي " فامسك به" الجرخبه " وكان يمكن ان
تصلبه الحكومه ! بس .. "ابو راشيل" تدخل وقال لهم .. ابدالك
هذا الولد يشتغل عندنا , وانا اللي طلبت منه ان ينقل القماش

والشاي الى "الخان" فساله أهل "القيصريه" ليش خلصته من
الحبس وهو ابيوك حق الناس الجائعين ؟
فقال اليهودي اشلون ترضون اخليهم يحبسون حياوي وهو من
ولد محلتنا !

76

" تتا تتا...
تاتا تاتا.."
وتراكض اولاد المحله وارفعت صيحاتهم ..
"ظهور ظهور .."
وارتفع صوت "الصرنايه والطبل" ونزل الموكب من
السوق الى محله "الرمليه وام القبه" تفجمعت حوله
النساء والرجال!
- سمعتوا ؟
ولد " ابو الشربت " د يظهوروهم !
" التفت " "رزوقي" الزبال لي مبتسما .. ها .. ها , من هذا
يخاف نعمان , ترى .. نعمان ممطهر!! ويخاف يقصّون " بلبوله",
يابه والله ما راح اتحس ؟ حتى يصيح " الازعرتي" يالله يا به ..
خلصت .. خلص والله نعمان .. جرب .. وما تحس ابدا و نحن
فوق راسك " انطش " الويهليه" والفلوس.
وقال تحسين ..
أتريد ان احكي لك مع " الازعرتي" !
الا انني انهزمت راکضا عندما رايت الازعرتي قادمة من راس
الدربونه .

77

جدتي ..

"الازعرتي" عنده لحيته حمراء مصبوغه بالحناء
ويلبس شروال عريض مثل شراويل الاكراد بس هو يتكلم عربي
وعنده جنطه صفراء يقول كرومي فيها.. مقص و" ميل"
والدواء !!

- لا .. لا ليس الان صاحت جدتي .. لن نظهره الا بعد ما

يكبر شويه !!

جفلت بدور صائحه ..

- من يكبر ؟ ..

اش .. اش .

- انت بس .. تريدين دق ورقص و تريدين " شعارين "

مو ؟ لا هذا مو شغلنا , هذا شغل " المخايث " ؟ عوع , والله لولا

ان الناس كانوا يسدون الطريق لما اوقفني شي " عوذه " !

" مخايث " ! واحد " كاوي " شعره مثل البنات والاخر

عنده " كصايب " والثالث .. عوع .. عنده

" ديوس " من قطن .. وو.. ومحمرين ويتمركصون!

- وببيدهم " جنجانات " وانا اردت ضربهم بالنعال ..

" حسافه " ..

- لا تخافين .. قالت " ام جلاوي " انا اخذت ثارك يا ام سالم

من ها لمخايث وبالنعل اشتغلتهم .. موت اليكرفهم ! .

- و شفت انا واحد من هل " البيعاريه " يهز رقبتة

وصدره مثل " صبريه الدكاكه "

- وتعرفين منو كان يمشي وراهم قالت " ام غفوري "

هيه .. هيه .. لموم ! "

" ابو زامر وابن ابو كروش وابن حبش وصبحي ابو الولد

وابن العوره " ..

- " عوذه .. " !!

ارتفعت الاصوات عبر نهر خريسان و ارتفع الغبار والطلاقات
والهتافات

صاح هوبي
- الدنيا مقلوبه .. تدرّون الطلاب ! " ولم يكمل كلمته فابتلعها
" ولكنه حين رأنا ننظر له قال ..
تدرّون .. انهزم " صالح جبر " !!
- واين انهزم ؟
"تجمعت " سليمه الخبازه وام دلف وأملايه وليلي وام
جاسم " في مدخل الدربونه وحتى " فخريه العرجه " وصلت
وهي تحجل في مشيتها وعباءتها تسحل على الارض صانحه ..
وقعت الحكومه !
انهجت الولايه!

79

ارتفع صوت "ملا حميد" يطبطب بعكازته قرب النهر..
- ولكم هاي شكو ؟
"كاد الملا ان يقع في النهر فأمسك" ودود" بيده .."
- عمي.. مظاهرات !
ففرقع صوت "ملا حميد" خشنا عاليا ..!
- شنو مظاهرات !
- عمي ابو مجيد .. الطلاب في بغداد هجموا على "
صالح جبر " وحرقوا سيارته والجيش نزل بالشوارع ...
- زين.. وشيريد هذوله السرسريه ؟
" لوى " عبد الودود" راسه مبتسما .."
- ميريدون الاتكليز هنا .. ملا ؟
- انت "هوبي" مو ؟
- لا "ملا" اني "ودود ابن سعيد" "الباش كاتب" !
- ابن "البيك" ! أي.. والنعم .. شلون ابوك.. تدري
عباري أنت هوبي ابو الطلايب ؟

" سئل الملا بصوت عال وعاد يسأل ."
 - وانتم معطلين من المدرسه .. ليش ؟
 - حتى أيسون وزاره جديده ..!
 - زين وراح يرجعون رشيد عالي ؟
 - لا "ملا" ..!
 - زين .. وانتو شعلبيكم بالحومه ؟ بابا .. الحكومه لوما
 الانكليز ما كان اكلنه خبز !
 - ميريدون !!
 - شلون ميريدون ؟
 " رجعت الاصوات ترتفع عندما خرج " حجي رشيد " من الجامع "
 - أي ..مظاهره حجي .?
 - زين واليهود شعلبيهم وانتو واكعين بيهم "كتل"
 " تتحنح حجي رشيد وسئل " ..
 - خلو الله بين عيونكم .. عيب تعتدون على اليهود هذوله
 شعلبيهم ؟
 - عمي هذوله " جعفر وناجي " وجماعته هم اللي يعتدون
 "صاح الحاج رشيد غاضبا "
 ياجماعه .. بس جيبوهم يمي .. والله العظيم لسويهم فرجه
 لامة محمد ... يا عالم وين مدير الشرطه وين المختار.. ولكم
 متشوفون ؟
 "ونوري سعيد القندره !*
 وصالح جبر قيطانهه" ؟
 هي هي ..!

80

يبوو يبوو

ارتفع عياط " فخرية العرجه " فركضنا وراءها وعبائتها
 تشحط بالارض !
 يبو .. يبو ..!

الحقوني .. ابن " العجميه " لم يعطني فلوس الخبز ..
- ولك .. عبائه لزمو " صالح جبر " ؟!

81

- اشو كل شي ساكت ؟
- السوق عزل وبصوب خريسان مظاهره رايحين
يدورون على " صالح جبر " !
عندما " لعل صوت بدور "
" باجي .. باجي " نعمان صاير مذيع .. اسمعي اشلون
يحكي مع بيبي ويقول مظاهره ؟
قلت خانفا ..
اسالي هوبي ؟ حتى ودود وسمير, كلهم بالمظاهره!!

82

- قالت امي ..
ابو نعمان بالسراي وخلينا نفهم ..!
بدور .. افتحى الراديو ..?
" ظلت بدور تدير الراديو ثم رفعت الصوت ..!
" دكتور ...
" دخل الله ودخلك .. دكتور
أسقينه الحمى من رجلينه .. دكتور ؟
العمليه يلله اتجينه " *
- " باجي .. هذا عزيز علي " !
" تسللت ام كرومي وبيت ياس وام غفوري واخذن مكانهن على
ارضيه الحوش .. "
- بدور .. عيني شكو ؟

- يقولون الناس لزموا " صالح جبر " وذبحوه على البلوعه !

- استغفر الله .. صاحت " حجيه ماهيه "
- وبالقير .. قالت " ام جاسم!
- حجيه ليش ؟ انت مو مسلمه و تدرين أش د يصير ؟
- أي .. الناس تاكل " تراب حنطه "
- استغفر الله .. هذا وين ؟
- " ما ان ظهرت امي حتى سكتت النساء "
- دخيلك ام نعمان ماذا قال الافندي ؟
- " أم جوذي " .. " الوصي " طلع " صالح جبر " من الحكومه .. والان يبحثون على رئيس وزراء حتى " لتيه الولايه "
- و " جبر " هذا .. من يلزموا غير ايودوا للمحكمه !! "
- قالت " مرت " ياس " ابو " الطرمبيل "
- والطلاب ؟
- صاحت .. حجيه ماهيه ..!
- وماذا سيتغير وهم راح يجينا " افندي " جديد و " ذاك الطاس و ذاك الحمام "
- و " اللي يموتون اليوم . مو حرام .. " قيس " ولد شباب و " شمران " منو قتلتهم مو هو !
- ويقولون .. والشرطه بالمسلحات منعوا اهلهم من دفنهم .. وهاي القيامه ..!
- زين ليش ما يقبلون !
- أي .. غير يخافون منهم يحتيون !!
- أي .. وصدك يقولون " جبر " انهزم " يم عمامه " بعد شيطلعه !! *
- ومنو عمامه حجيه ؟
- اكو غير الانكليز !!

- و" ياس" يقول.. أي .. أولد المدارس كلما شافوا
شرطي ذبحوه !!
صاحت بدور بصوت عال ..
- وعمي ابو نعمان.. مو هم بالشرطه !!
" ارتعب صوت الخبازه .."
لا يوم .. ابو نعمان مو منهم !!

83

جفقت جدتي عندما قلت لها ..
- كل "المحله" تقول .. راح "صالح جبر" وراح
يطلعون كل الشرطه ويودوهم للحبس...!!
- ابني هذا حكي نسوان عيب تسمعه !
- ويقولون ابن " العوره " صار "مفوض" ونزع "
خيوطه " !
- أي .. مو.. ابن "العوره" جاي من ظهر النبي !! بابا
..كل ما تصير "هرجه " تروح الناس تحكي بكيفهه .
- و"ابن الوسخ" يحكي و يقول ابوك من جماعه صالح
جبر .
- ابن العربنجي ؟
- زين.. بس .. صار ابن " العربنجي" و"الكاولي"
يتحكمون بالولايه !
"لم اشعر الاو امي واقفة قرب راسي تسمع ..
- عجيب .. يامي .. لم يبق غير نعمان حتى تحكين
معه بالسياسه !!

84

يا بيت الافندي ..؟

" خش خش "

" خش خش "

توالت الدقات على الباب ..

يا جدي يا رفاعي !

- باجي ؟ هذا " أسبيع " يريد خبز يابس ؟

- وماكو غير الخبز اليابس تعطيه ... يلله طلعي له " مرقة وتمن " ..

صاحت بدور.. اسبيع تعال خش بالمجاز؟

"تجمع اولاد المحله وهم يصيحون في الطريق " .

" سبيع " هنا !!

"من عادات " سبيع " عندما يشبع ان يلبي طلباتنا ..

- " سبيع " ..

" اضرب " درباشه "

"انطح الحايط .. "

بعد .. بعد ..

"شتمّ الحكومه "

- شفتوا.. أنهزم ..الكلب بن الكلب ميريد يسب الحكومه

- أي ..هذا من جماعة صالح جبر !!

- ولكم خطيه .. تالي وياكم ؟

"ابتعد سبيع والاولاد وراءه ..!"

"سمعت جدتي تقول لامي بصوت متعب .. هذه الولايه لم تعد مكانا نعيش فيه ولم يبق فيها غير "شعيط ومعيط وجرار الخيط "

**

85

"بشت بشت ..بشت!"

"لم تتحرك " البزونه" من مكانها فظلت قاعده وعيناها تلمعان."

قالت بدور ..

- الف مره قلت لك لا تضرب البزونه بالليل , ترى البزونه
تصير بالليل ملك! تاخذك من فراشك وتذهب بك الى اهلها .. وهناك
تعرف ماذا سيفعلون بك ؟

- جدتي ..

- البارحه " بزونه" دخلت خرابه بيت " ام عربيه"

ومن وقفت سكتت وراحت تباعع عليه ..

قالت جدتي ..

- ومثلما قالت " بدور" الخرابه فيها كل شيء "الطنطل"

و"البزازين" فابتعد عنها احسن لك ..

حين رات جدتي الخوف في عيوني قالت..

عندما اقول لك لا تلعب بالخرابه يعني لا تلعب بالازبال و

تضرب البزازين فالبزونه تدعو الله عليك وقد تسقطك في الامتحان

.. اعطيها ماء وخلي الله يرضى عنك

- زين والطنطل ؟

ابني .. قول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبعد

منتشوفهم..

86

جدتي ..

هو بي.. البارحه كنس خرابه " بيت الاغا" و رشها

"جاسم السقه" بالماء قاتلا .. سمير" اوصاني ان انظف الخرابه

واعطاني عشره فلوس.. لانه هو وسمير سيقدمان تمثيلية .

و شنو تمثيليه ؟ قالت جدتي .

- معلم يوسف افندي" قال لنا في المدرسه , كلكم

شاهدتم "التشابه" في "عاشور , وتعرفون من الذي صار "

الشمر " , "هندي" ابوالبلايع" و"هندي" لبس احمر وبيده

سيف من سيوف " حسينية ابو حيدر " وراح "يتقتل" قدام

الناس ويصيح" اني الشمر " فهجمت عليه النسوان بالنعلات ولم

يتخلص من الموت الا بتدخل جماعة الموكب!! تعرفون لماذا؟ لانه اراد ان يمثل "الشمري" الذي ذبح السيد الحسين في كربلاء ! وعندما خلصت "السبايات" رجع "هندي" الى عمله السابق بالبلوعات و التمثيليه مثل "التشابهيه" يمكن لاي واحد ان يصيح " عنتر " او " عبلة .*

- أي .. وهوبي .. صّخم وجهه بالسّخام وصار عبد اسود وركب حصان وبيده سيف و" دركه " جاؤا بها من " حسينية الفايزيه " ويصيح أنا" عنتر" اريد "عبلة" و لبسوا " سمعو " "نفاتيف" نسوان و حمروه لان " نللي واميره بنت ملكيه ما قبلن يمثلن " عبلة "

فصاحت جدتي ..

- ايا مصخم الوجه يا " ابن كرجيه.." ..
- بس هذه تمثيل يا جدتي..أي .. وسمير جاب اسكملي ومسطبه وقعدنا عليها " انا ونزهت واميره ونللي وكيلان ومهدي.." وحتى "فايق" ابن الاغا قال.. " انتم اولاد نظيفين!
بس .."معلم يوسف " ما يقبل ان نتكلم مثل ماتحكي بالمحله وهو يقول اريدكم ان تتكلموا مثل الكتابه والقراءه - حلو..!

- وسمير قال لي.. ليش ما تعمل مثله واسويك " قيس و ليلى.."

- هه هه .. يعني ايسويك مخبل مثل هوبي !! لا.. لا بابا وبعدهه شيخلصنا من حكي الناس ..

وهم يصيحون عليك كلما ايشوفوك بالدرب... هي ..هي .. وهذا قيس المخبل.. لا ابني هذا مو شغلنه ؟

- بس هذا تمثيل يا جدتي,وهم راح يسوون فرقه عندنا في المدرسه مثل ما يقول ودود وراح يسجل بها !

من بيتنا ارتفعت "الهلاهل" .. حتى " ام كريم" خرجت
فرحه..
- أنا قلت .. ما يوالكم الاسود.. حرام .. العائله أتحملت
الكثير ..
"رايتها تلف " صرة " الثياب السوداء وتخرج بها "
"كنت العب" الدعبل " عندما صاحت " بدور"
- ابشرك نعمان " جالك اخ " .. تلعب معه وتشتري له !.
- اخو .. وماذا أسميه ؟
- يالله "ذب الدعبل" و روح للسراي حتى تبشر اباك".

88

- تعال يا نعمان ؟
"ابتسمت امي وهي متمدده على الفراش ,احتضنتني
وكان شعرها الطويل ملفوفا" فأشارت بيدها ..
شوف " عبد الله " لقد اسميناه على اسم جدك !
"تاملته مستغربا "
" عبد الله "يشبهك كثيرا يانعمان .. هو نائم الان وسيلعب معك
عندما يكبر..!
"سمعت جدتي تقول لامي.. شوفي " ساره" أخاف الولد
يشعر بالغيره فيتألم .. فلا تنسي ان نعمان هو كل شي بين أولادك
و هو الأصل !
" ما شاء الله ..
بالخير ..
ما شاء الله ..
الله اكبر .
" استمر دخول النساء فرحات فاعطتني بدور حفنه من "
الحقوم
- هل انت فرحان باخيك ؟
- أخاف ترجع امي وتلبس الاسود ..

صعد صوت بدور ..
- لا .. ياعيونى .هي.. مزنه وراحت ! "سمعتها
تبكى!!!"

89

- قالت جدتي ..
و "السعلوه " تدق الابواب فاذا ما فتح لها احد الباب
نهيته واكلته !
- لماذا تضحك يا نعمان ؟
اقول يا جدتي..
"ناظم افندي" قال لنا في الصف والسعالو خرافات فلا
تصدقوا العجائز ..؟
- خرافات !!
" ضربت جدتي على قوطيه سجائرها فتناثر التبغ على وجهي
فعطست"
الحمد لله .. هذه شهادة ّ...وتكذبني ؟
- جدتي .. المعلم هو الذي قال ؟
عادت جدتي تنفخ وتصيح ..
وحياه "عوجان " وحياه الله القادر على اخذ روعي , لقد اخذني
عوجان وانا صغيره بالكلك* الى جبل "مكحول" وبعد ان اوقف
الكلك " نزل يحمل" ما طلي" وظل يلقي الى الكلك .. صحنون من
"الصفرة" وقدور وريش و "فشك فارغ " وعندما نزل ساله "
ريشان" ..*
- ماذا كنت تفعل في المغاره ؟
- قال .. كنت ابحث في بيت السعلوه التي اخذت "
حسين النمنم " وتزوجته!!..
وبعد هذا كله تكذبني !!

- جدتي.. "معلم ناظم" هو الذي قال ذلك ..

90

" يا ملتنا صرفينه ؟
راح الوقت علينا!
وشموسنا غابت ..
وارواحنه ذابت ! "

- هاي الختمه !!

"مر الاولاد يلبسون الدشاديش البيضاء ويحملون صواني
"ألياس" والقرانين والشموع , وكان " ملا شهاب " يتبعهم
وببيده عصا كبيره ..
قال ملوكي ..

أ ي .. وهذوله ولد الملا وعنده " فلقه " يبسط بيده
"الوكاح " حيل حيل .. حتى يحفظون القران...
ومن طرف الدرّبونه ارتفع صوت هوبي يدق على " تنكه "
فارغه ..

" ملا شهاب .. " ابطيّزه اجعاب "

- ايا كلب يا ابن الكلب !

ركض هوبي وركض "ملا شهاب" وراءه ولحيته تهتز من
التأثر....

"بس.. لو الزمك وأعلقك " بالفلقه " كان أشويه تتأذب "

91

" كبه برغل .. برغل ..

مر " ابو بلاش " يحمل على كتفه كرسيًا صغيرًا بلا مساند
ووضع فوق راسه "قدر" كبير مملوء بالكبة"
فجمع حوله الاولاد وهو يمسح بخرقه وسخه صحن الاكل و
باصابعه المتينه اخرج "كبايه" من القدر, وضعها في " ماعون
الفاون" ورش فوقها "فلفل اسود" من " قوطيه معوجه" . !!
ركضت الى البيت ..

جدتي .. جاء "ابو الكبه" !!
يلله.. روح هسه يصير الاكل..
- ما.. اريد كبايه ؟
- ولك هاي كلهه مصارين!

92

" ماجينه و يا ماجينه
حلي الكيس وانطينه " ؟
"فاحت رائحه " شوربه العدس " والزلابيه والبقلوه
وامتلات الدروب بباعه"شعر البنات" واضينت المنائر "
- صايم .. مو ..
- زين .. طلع لسائك .. ؟
" ما كدت اخرج لساني حتى تصايح الاولاد..
- كذب .. فاطر!!
عندما يحل شهر "رمضان" تجتاح اولاد ألمحلة فرحة لاتوصف
ففيه تكثر " البقلاوة والزلابية والبرمه ويكثر "الممبار والدولمه
والمحلي واللحم المشوي و"المقارنه " وشربت المشمش" !!*
وقد اعتدت ان " أفطر " مع أبي "الذي كان ياكل وحده في غير
رمضان " مع امي وجدتي وخالي سالم وخالي عبد الرحمان " اذا
لم يحضر ضيوف لنا .. وكان " الرقي والبطيخ "يتكوم" قرب
"الحب " بعد ان يقوم " حمه " بحكه حتى يبرد وما ان ينتهي
الافطار حتى تتجمع النساء في "حوش " حول أمي وجدتي ويبدأ
توزيع "الشاي والكليجه والمحلي" *

كنت اكثر من يفرح بالشهر لان بيتنا لا يخلو من الرانحين والغادين
وهو الشهر الذي لا يسألني أحد لماذا تاخرت في الرجوع , فاخرج
راكضا على اصوات أصحابي وقد قعدوا وتجمعوا تحت "
الفانوس" يلعبون "المحبيس" وكل منهم يمد يده الى الامام وفيه
" "المحبس" وقد وقف رئيس فريق "القيصرية" مع فريق "
الفايزيه" او "أم الكبة" أو راس العكد او "الرملية" والرئيس
يصيح .. فك ايدك ها انت .. لا .. انت وفي كل مره يصيح فيها رئيس
الفريق "كسرك" يرتفع صياح الاولاد ودائما ما كنا نفوز "
فتصلنا صواني البقلاوة والزلابية" والتي يتحمل فيها الفريق
الخاسر ثمن الصواني.

- ها .. اشو محد شافك البارحه ..
- اخذني خالي عبد الرحيم للسينما ..
و"توالت الاسئله .."
- وشنو الفلم ؟
- "رابحه" !

ونعود لنتجمع او نذهب "جوكات" الى المحلات الاخرى
لنلعب او نتعارك وكان اكثر ما ينعص الليله ان يراني "العريف
عبد الرحمان اوخيرى فيجبرونني على القيام ونقض الاتربه من
ثيابي الى البيت !

93

في النهار يحبسونني في البيت فالحراره عاليه جدا ,
والخلال اصفر اللون وكنا نتعارك ونضرب عذوق النخلة فتسقط
منها تمره على الارض او في النهر . فكان بعضنا يسبح للحصول
عليها ..!

- تدرون اليوم شكو ؟
لزم "حجي ظاهر" "عبد ابن الاوته جي" صاعد على
"الخستاويه" يلقط منها التمر على كيفه .. وما ان راه "الحجي"

قادما حتى حاول الهزيمة الا ان الحجي امسك به من حزامه
صانحا ..

- ولك هاي شتسوي على الخستاويه ؟

قال " عبد "

- عمي والله ادور على " اظويرني " والظويرني..

شيسوي عالنخله ؟

و تدرون " عبد."شمسوي ! ترى لا ظويرني ولا بلبل ,
طلع هذا حاشش الخستاويه ومالي دشداشته بالتمر ومتحزم عليها
وعنما امسك الحجي به انقطع حزامه فتكوم الخستاوي على
الكاع.. أي .. واكل " عبد" كومه " راشديات ودفرات " ولولا "
ابو ودود " كان اليوم " عبد " نايم بالتوقيف مع " السفرطاس "
- زين وكيف تركه "ابو الخستاويه ؟
- " سعود بيك " طلع فلوس وقال للحجي..
- اخويه.. هذا الولد لو موجود عان ما كان ايسويهه
وهاي " عشرين فلس " ثم القى " البيك " الفلوس عليه ومشى
ويبين "الحجي" أستحى منه فلم يأخذ الفلوس !!
وتتروون اللي صار " هوبي" قفز مثل "الشادي" واخذ الفلوس
وانهزم
- أياابن الزمال !!

94

" مصطفى الشالجي" قال لنا اليوم ونحن في الصف, ترى
الانكليز ذيايه لانهم طردوا العرب من فلسطين واعطوها لليهود..
- جدتي ..كيف يكون الانكليزي " ذيب" وهو مثلنا
- المدير ما قال "الانكليزي" يصير "ذيب" بس شبيهه
بالذيب لان الذيب غادر وما يتأمن ومثل هسه غدروا بالعرب
عندما اعطوا لليهود فلوس وسلاح وتركوهم يذبجون العرب في
فلسطين !!
- أي ..

- وكيف تعرفين ذلك يا جدتي ؟
- هذه طريقتهم يا ابني فعندما دخل " الانكريز " ديرتنا
وزعوا علينا الاكل والبسكت وشغلوا العطاله وبعد ايام راحوا
يقشرون الناس وينهبون كل ما عندهم ..
- وكيف وصل الانكليز لكم يا جدتي ؟
تنهدت جدتي وجرت انفاسا من سجاتها....
" كنت نائمه واحسست بالعطش وما كنت اخرج الى الحوش
الخارجي حتى رايت السماء مشتعله مثل الصبح " لوكسات "
فرجعت خائفه وايقظت اخي " عوجان " الذي ما ان راى
" اللوكسات مد البصر حتى ضرب كفا بكف قائلا ..
" انوخذنه وهذوله الانكريز وصلوا وراح يذبحونه "
دخلنا الى السرداب من الخوف وعندما قعدنا من النوم ونظرنا الى
البرية فلم نجد ولا نفاخ نار .. فتسائل الناس الذين شاهدوا
" اللوكسات " في الليل مثلنا بين مصدق ومكذب فهل تلك حقيقة
أو خيال ؟
والدليل الوحيد على وجود الانكريز هي رؤيتنا " للكواغد " التي
ملأت البريه لان الانكريز لا يستعملون الماء في " الخلاء " مثلنا
وانما يستعملون الكواغد ..
وبعد ليلتين..
-أي.. بعد الليله التي رايت فيها الفوانيس سمعنا " الاطواب "
تضرب فقد " تكاون " "العصملي والانكريز " فرجعنا ندخل
السرايب واغلقنا الابواب وقد وقعت " دانه " هدمت بيت
"هنوني" وقتلت بعض الدواب واستمر الضرب ثلاثه ايام وكنا
جياعا وارادت امي ان "تشجر التنور" ولكن " الدان " صار
يقع علينا ثم سكت " الطوابه " ولم يعد من يطلع من بيته وبعد
اربعه ايام سمعنا "الدلال خضير العاصي" و كان من قججعية
السلاح " .. يصيح في الدرب ..
يا اهل " الجلام " لكم " الراي والامان " اطلعوا من
بيوتكم فقد انتصر " الانكريز وانهزم "العصملي !! "

وما ان شعرا الاهالي بغياب الحكومه و"الجندرمه" حتى
"قالو" *على معسكرات العصملي وباداوا يفرهدون
المعسكرات بعد ان تركوها عامرة بالسلاح والزوالي
والحنطه والطحين والدهن والتمر والدبس والبطانيات
والافرشه.. وقبل أن يحكم الظهر كنس الناس المعسكرات
ونقلوها الى بيوتهم..
- والشكر والجاي ؟
- ماكننا نعرف "الجاي والشكر" الا بعد ان "طب"

الانكريز !.

- وبعد يا جدتي ..؟

- كل واحد اخذ حاله.. فرجع " المكاريه " يشتغلون

و"الطرايح" رجعوا الى "كلكاتهم" * ولكن الطمع والغدر عند
الناس تركهم مثل "الذبابه" فما ان يقع ذنبا حتى ياكلونه ومثلما
قلت.. الناس اشكال والوان فلم يكن عندهم شغل الا "الفلاحه"
و"القعج" !

اما "المغلاجه" فاكثرهم صاروا حراميه تسلطوا على معسكرات
الانكريز كما وجد بعض الناس في دخول الانكريز فرصه " وراح
كل واحد يفتن على الاخر بسبب الثارات و العداوات بينهم فراحوا
يرفعون اخباريات للانكريز " هذا كان مع العصملي وهذا
"يوزباشي" وهذا جندرمه ومثل ما صار عندنا بعد " دكة "
رشيد عالي" من فرهود وسلب ونهب فالناس مثل كل وقت
ياتعمان " بيت بلاء " واحدهم يغدر بالآخر أو واحدهم يطمس
الثاني من اجل الفلوس وصار الانكريز يعطون المال بلا حساب
فكل من يسلم بندقية لهم يعطونه " اربعة مجيديات " والذي
يخبر عن "ضباط العصملي" يعطوه " ليره رشاديه" ..
" تنهدت جدتي " ..

والعراقيين " يالبنبي يسمونهم أهل البيعتين " الم بايعوا"ابن بنت
رسول الله " فدوه لاسمه " "الحسين بن الامام علي " ثم انقلبوا
عليه وخلق "الشمر" يلعنه الله يحز رقبتة فمات شهيدا "

وبعد ما قتلوه رجعوا يلطمون عليه كأنهم لم يغدروا به او يمثلون به في "كر بلاء" !؟

ومن مثل تلك "النمايم" "أصفوك" اللي كان ايام العصملي "مغلاجي وقاطع دروب" ما ان اخرجته الانكريز من الحبس حتى رجع "صفوك" الى "دكايكه القديمه" يخوي الناس وينهب ويسلب حتى قتل رجلا بريئا وسلبه حلاله فوصلت اخباريه الى "الميجر" فوضع "خلعه" لكل من يدلي على مكانه حتى أمسكوا به وصلبوه قدام القلعه ولم يتأسف احدا على موته أو قرا عليه الفاتحه او ترحم له!
- والقلعه يا جدتي ..؟

- كان يسكنها نقيب الولاية" المتصرف" وبعد سنوات مات النقيب فهجرت القلعه و نهب "العربان" الابواب والشبابيك فصارت "زويه" للحراميه والشياطين والسعالو" فابتعد عنها الناس وكان "الطرايح" في الليل يرون شموعا تشتعل في مغارة بالقلعه ..

- والانكليز ياجدتي ..؟

- تصوروا بان القلعه "جبخانه" للاسلحه فضربوها بالدان وهدموها فنسى الناس القلعه والمغاره عندما سمعوا خبرا عن "افه" من الحديد تمشي على الارض.. و تقدر ان توصل من يريد من "البيجي" الى بغداد في نفس اليوم وخاف الناس فكيف يمكن الوصول بهذه السرعة و"المكاريه" يقطعونها بعشرة ايام على ظهور "الزمايل" فخرجت الولاية كلها تتفرج عى "الشمندفر

وعندما وصل "القطار" ارتجت "الارض" من مشيته وكنت يومها بقدر عمرك فرايت النار تطلع من حلقه فصرخت من الخوف وصرخ الناس فانهزمتنا الى البريه لاننا حسبناه "ديو" و ارتفع التكبير والصلوات من الرجال فاطلقت "الماطليات" في الهواء لتخويف "الديو" الذي راح "يطوط" فارتجت "الكاع" حتى صارت مثل يوم القيامة .

ولكن الناس بعد فتره زال خوفهم و تعودوا عليه فصاروا يسافرون
مع اغراضهم ويرجعون وما عادوا يؤجرون " المكارية " . *

95

غاب ابي عن البيت فجأة حتى "الجنطه" التي كان يضع
فيها ملابسه والة الحلاقه ظلت في مكانها.. فرحت اسال ابي لماذا
لم ياخذ ابي " الآت الزيان " معه فتقول بدور ..

- وليش.. بابا .. بس هاي عنده!

- و لماذا لم يخبرنا..؟

- انت لم تسمعه فقد حكى البارحه مع " بسمه " !!

- بسمه!! ولكن بسمه لا تعرف الحكي ..؟

اش اش

- والحرس.. لماذا لم يعودوا يقفون امام بيتنا ؟

- عمي من يمشي لا يترك الشرطه يوصلون للبيت

- والمسلحه ؟

- الا تعرف بان "السياره" خربانه " !!

" كنت كلما طال غياب ابي اسمع ابي وجدتي واخوالي "

يتكلمون بالاشارات " عندما اكون حاضرا فيصيحون علي " أطلع

بره والعب مع اصدقائك حتى شعرت بان هناك شيئا لا يريدونني

ان اسمعه فكنت أنا وعيد الله و"سنان وغزوان" نقف على العتبه

ننتظره ان يرجع وكلما راينا عربة قادمه تصايح "غزوان وعبد

الله وبسمه" بابا بابا جاء !! الا ان العربه كانت تمر وفيها وجوه

لا نعرفها فنعود لندخل البيت وتركض بدور تحمل بسمه قائله ..

- بابا ما يقبل توقفون في الباب!!

- زين.. بدور.. اليوم رايت "هوبي" واراد ان يقول

شيئا لي الا ان خالي ضربه بالنطاق ولم اكمل كلمتي عندما

جرتني بدور من قميصي" ..

- اسمع نعمان .. ماما .. تعبانه وماتريد تسمع..!

مايقوله ابن البقال ولا غيره افتهمت؟

ظلت نساء المحله على قعدتهن امام الدريونه كلما جاء
العصر يغزلن الصوف ويتبادلن الهمس , وكان صوت بدور عصبيا
كلما اقبلت امرأة للبيت فاسمعها تولول.. " بنت المكدي جايه
تشمشم الاخبار "

- بنتي.. عيب هالحكي.
" تهمس امي بصوت تعب وترد بدور ..
- "باجي" .. اتوسل اليك خليني انا التي تتكلم.. بس عاد
تتحملين وهذوله ابروحوون فدوه لك ..

" قال سالم.. بخشونه وهو يشير لي عندما سألت امي
متى يرجع ابي "

- شوفي هذا ما يسال عن ابيه , بل يسال عن الكيك
والملاعيب !
- بسلامه ابيه ردت امي غاضبه .
- وهاي تربييه فماذا يفيدكم هذا الدلال والعزائم والبقلاوه
وكيف ستعيشون في بغداد .. راح تصيرون مثل "الكاوليه
".

صاحت امي وهي ترتجف ..
ويبين جنابك صاير ابو بيت تريد تعلمنا وتصرف علينا
كيف نعيش ؟ ولك استحي من نفسك " عوده.. "
" حاولت النهوض " وهي تدمدم .. ابو الواشرات " ايريد ايصير
براسنه رجال "
- ولج.. اني " ابو الواشرات " ؟*.

- لا محمد سعيد.. مو! وبدلا من تعليقاتك الوسخه هذه
كان عليك ان تقف موقفا مشرفا وانت تعرف المحنه التي يمر بها
محمد سعيد وما تنضم الى الاخرين !!
اي.. ولو كان موضوع محمد سعيد به عار ما كان اعترضت ولكنك
تعرف اولاد الحرام ما كانوا يريدون منه ان يقتل الابرياء!!
- وانا من حرصى اقول ..
- من حرصك ؟

- انت حتى الان لم تكلف نفسك بالسؤال عنه ولم تسال
من اين نعيش , و انت تعرف محمد سعيد " "ابطرك" الراتب
وفوق هذا كله تترك امي تتخبط وتتوسل لمعرفة اخباره فان كنت
قد نسيت فانا لم انس حالها وهي تركض من معسكر الى معسكر
تبحث عن " عنتر " اللي انهزم مثل النسوان ! وحضرتك الان تريد
تؤمر وتتهي .
- انا !!

- لا .. أنا , ولك .. بس عاد.. اسكت وخليها "صنطه" * !

98

ماما ماما

بابا وصل !!

كان صياح " غزوان وبسمه و سنان و عبد الله " قد ارتفع
في الباب فتوقفت الحركة في البيت وكانت مفاجاه كبيره ان ارى
أبي ماشيا مع " عمو عزيز " و يلبس بدلة " ملكية " على خلاف
عادته فقد تعودنا دائما رؤيته بثيابه العسكرية و ثيابه الان عريضه
وقد تغير لون وجهه الوردي فأصبح اصفر اللون , حتى لحيته
شعرت بها توخر وجهي, ولم يكن " ابي ولا عمي " يحملان شيئا
معهما الا ان عمي عزيز اعطى " حمه " شيئا ودفع به مشيراً الى
بعقوبه..

ومن داخل البيت سمعت امي وبدور تبكيان !!

99

ولكم المسلحه !!..

"ولم يتحرك احدا من السابحين في النهر أو يخرج منه وكانت هي المره الوحيده التي لم انزل فيها الى النهر فبقيت انظر للاولاد من عتبة بيتنا ,الا ان " كريكر " استمر بالصياح ...المسلحه !! فخرج هوبي وجسمه يقطر بالماء قائلا ..

- ولك " كريكر " ليش اتصيح .. شنو متدري .. طار .. ؟
"استغربت ذلك وملاني شعور بالخوف والقلق وانا اسمع كلمة " طار "؟

"مرت المسلحه وفي الصدر قعد رجل بثياب عسكرية يدخن " ..
سمعت ودود وسمير يتهامسان..
- الم تسمع ما قاله الكلب ابن الكلب ؟ .. طار !!
قال عبد الودود...

- ولماذا تستغرب! هل رايت مره من المرات نعمان يلعب وحده ! والآن .. لا احد يلعب معه فاين ذهب الاخرون " أينما تكون المصالح ترى الناس!! سمعت ذلك من أبي عشرات المرات!!

ما ان التفت "سمير وعبد الودود" وشاهداني واقفا ..
حتى قالوا بخجل .. الحمد لله على سلامة الوالد!
جدتي..

لقد.. قال ودود وسمير لي الحمد لله على سلامه بابا فاين كان ؟ و هل صحيح اننا انتقلنا الى بغداد !!

100

من عتبة بيتنا رايت خريسان وقد بدا في الارتفاع وارتفعت اصوات الطبول والصرنايات ومعهما ارتفعت اصوات النساء ..
- "خضر الياس"
- "عندي مراد " !!

امتلا النهر بالصواني والشموع والياس والاولاد
الراكضين مع النهر فسالتني جدتي.. هل سلمت على اصدقائك؟
- لماذا ؟

- لاننا سنمشي من الصبح الى بغداد لان مدير الشرطة
الذي صار مكان ابيك يريد البيت !!
"مشيت وشاطي النهر فلم يتلفت لي احد, الكل لاهين بالشموع
والصياح. حتى بعقوبه بدت لي مدينه لا اعرفها , غريبة عني و
رغم ضوء الشموع والقوائيس رايتها مظلمه .. !!
على قنطره " خليل باشا " الواصله الى بستان " حجي ظاهر "
رايت الاشجار والنخيل.. تذكرت كيف كنا نسرق منه الزعرور.
قعدت بين الحلفاء والاعشاش اتامل الليل حتى " القيصريه " التي
ولدت فيها صارت غريبة عني خالية من الناس.. حتى اللقالق
التي رايتها قبل يومين تحوم حول اعشاشها في السوق بدت لي
وكأنها تودعها!!
تذكرت "يونس" وطريق المدرسه " راحيل وموشي " اللذان غابا
فلم يودعاني حتى "شاوول" غاب ولم يرجع ..
نظرت الى الشناشيل التي كانت مظلمه وشعرت بدموعي تتساقط
على النهر عندما سمعت البط والوز النائم يصيح غاضبا .. غدا لن
ارى احدا ولن اسمع "بدور" تبكي او تبطل البكاء كلما اقتربت ايام
الرحيل وقد لا اراها مرة اخرى وقد لا ارى بعقوبه بعد الان..!

شهداء اللقالب

بغداد

- 3 -

شهداء اللقالب

1

" عندما اقتربنا من بغداد ازدادت خوفا وصمتا.. حتى
" غزوان وسنان وعبدالله " سكتوا ولم يعودوا يصيحونوا يهللون
او يرفعون اصواتهم بالمشاهد التي تمر عليهم فرحين... " لك لك
لوك لوك.. " فقد لف الجميع سكوت غريب الا ابي ظل يتحجج
للعراك وقد تغير وجهه بعد ان تشاجر مرتين مع " جدتي وسالم"
فرفضوا المجيء معنا حتى ارتفع صوت جدتي..
" محمد سعيد سوانه فرجه قدام اليسوه والميسوه "
تأخر اللوري ورجع الحمالون ينزلون الاغراض الى
الطريق وقد تجمع عشرات النساء والاطفال يتفرجون علينا .
بقيت لاصقا بنافذه السياره وقد خفقتني العبرات عندما
عرفت ان جدتي لن تكون معنا وظلت امي تتهدو بين الحين
والاخر.. اسمع شهقاتها داخل العباءه ورحت اتصور بيتنا في بغداد
وقد خلا من جدتي و خالي سالم و عبد الرحمن وبدور وحمه فكيف
سنعيش فيها ..؟
كانت " كور الطابوق " بمداخنها الطويله اول المستقبلين
لنا، تبعها صوت ابي يأمرني بسد نوافذ السياره.. بعد ان رفض
مرتتين ان يسمح للسياره بالوقوف ولا السماح لامى ان تغسل
وجهها من القىء لانها لاتتحمل رائحة البنزين !
احسست بالاختناق وعرفت بان ابي سيصب علي غضبه اذا
ماحاولت فتح فمي بكلمه ..
سبحنا بالسخام ورائحه المستنقعات المتعفنه التي هبت
من المياه الراكده الخضراء التي ملات المنطقه , حتى صاحت امي
هانجة ..

2

" لم انس تلك الظهيره الغريبه عندما انطرحت امي على وجهها
اكثر من ساعتين فلم نحس بمخلوق اقترب منا او سمع باخوتي
يصرخون من العطش حتى جاؤنا بمفتاح البيت ؟

3

اخافنا البيت ...!!
هو خرابه مهجوره , عتيق أختنقنا من رؤيته كنيب و مهدم
ليس فيه غير شجرة نارنج " امتلات بالعصافير !!
عندما فتحنا الباب .. نزلنا خمس درجات الى سرداب بارد أرضيته
غارقه بلطخ بيضاء من براز العصافير والحمام وكانت اصوات
العصافير عالية فتقافز أخوتي يصيحون ..
كش ..كش
عجزت أمي عن فتح الشبابيك لان تبليط الشارع ارتفع فوقها
فاغلقت ولم تعد تفتح ! فتصاعد بكانها ..
- كيف سنعيش هنا و كيف لك ان تؤجر بيتا لم تره او
تدخل فيه .. معقول ذلك !
" ابي قعد جانبنا ينظرالى النارنجة التي امتلات بالنارنج ولم يرد
وهو يصفق كفيه كل مره !

4

فاض البيت , سمعنا سيارة البلدية ترش الطريق فارتفع صوت امي كيف سيكون ذلك اذا جاءت الامطار ؟
 "انفتح الباب الخشبي الذي كان يفصلنا عن اصحاب البيت واندفعت امراة صفراء الوجه وصوتها يلعلع في هياج .."
 "عيني بيتنا بلوعه مو؟ ماذا تريدان أوجر لك قصراً ورجلك بنصف راتب .. زين من عندي لفيتكم هنا !!"
 "وجمت امي ولم اسمع صوتها فالامراة كانت على استعداد للعراك أذ حتى عندما كان " عبد الله و بسمه " يبكيان يرتفع صوت الامراة الحاد من وراء الباب ..
 " انزول .. كطيعة وموت ! " *
 " تشهق امي مرتعبه دون كلام وكان ذلك يتكرر بلا وقت وحتى عندما يركض غزوان يرتفع صوت خشن ..
 - أي ..مو.. احنه مؤجرين بيت لو..ميتم مال انغوله ! " *
 كان من اصعب الاشياء ان نعيش مع مالكي البيت الذين قسّموا البيت نصفين للا يفصلنا الا بابا ! يعدون علينا حركاتنا ..
 " كم مره صعد الاولاد الى السطح وكم مره استعملنا المرافق وكم عدد الضيوف الذين وصلونا !

5

كان الليل الاول مخيفاً فالبيت مليء بالممرات والدهاليز و فوقها سقف تخر منه مياه الامطار وحتى عندما احاول النوم في غرفتي كانت النوافذ في متناول من يمر في الطريق اما "جسر الكاظميه " الخشبي" فكلما عبرت السيارات والعربات كان اهتزاز " الدوب "يبعث دويًا مفاجئاً يوقظ الموتى ..
 " عندما تنام الاعظمية يبقى صوت الجسر .. يدوي براسي " ..
 ددو ..ددو
 ددو ددو

كنت استسلم لدموعي عندما ينام اخوتي وهم ينساءلون متى نعود الى بعقوبه ..؟

6

في الصباح يزداد كرهى لبغداد اكثر عندما اذهب للسوق لعدم وجود من يتسوق لنا ولان حمه اشتغل في بيت رشدي افندي .. كان ذلك العالم الجديد بالنسبة لي مرعبا وانا ارى الباعه والناس يتعاركون ويشتمون بعضهم البعض اما اكثر ما كنت اتالم منه انني الوحيد بين النساء اللاتي يتسوقن !!

وحين ارجع الى البيت كان علي ان اسرع بكتبي الى المدرسة متأخرا والبرد يعصف من حولي فابكي من الالم عندما ارى المدير واقفا قدام المدرسه وبيده عصا كبيره يهدر بصوت تهديدي .. " ولك ليش متأخر.. أفتح ايدك " فيضربني على يدي والعصا تكويني مثل النار ثم يلقاني المعلم ويعاجلني بصفعة عنيفه ولا يتركني أدفء يدي على "الصوبه" و يصيح بي .. قف قدام الصف ..!!

وبمرور الايام صرت اكره كل ما يحيطني .. اكره الطلاب الذين اراهم يمرون علي وهم في السيارات الخاصة باسرههم فلا يتوقفون لي او يسالونني وكان اكثر ما يحز في نفسي ميل المديرالى ابناء الاغنياء والمسؤولين وغفرانه عن تأخرهم وكنت اسمعه عندما يشكو له احد المعلمين عن سلوكهم .. ضاحكا أي.. و"شيخلصنه" من "شاكرا الوادي وناجي الاصيل" ؟

وتوالت الايام .. وكلما مر الوقت احاول ان ابوح لابي وامى بما اتعرض له الا انني كلما حاولت يهزمني شعور أبي وتهديده .. " نحن في بغداد ولسنا في بعقوبه ولو رايتك تصل الشط او تلعب بالدروب فاني ساسلخ ظهرك لان كل جيراننا "اكباريه"! وتعود امى لتكمل ما قاله ابي ..

"تذكر ان ابوك ليس في الوظيفة الان فلا تقل لمن يسألك
اين كان يعمل لان اهل "" المعظم "" لا يحبون الغرباء !!
ومن يومها عرفت بيوت الوزراء وحدائقهم الجميلة وقصورهم
فكنت اهرب كلما شعرت بنظرات الواقفين ويضعف اسأل
نفسى..لماذا اصبحنا نعيش في سرداب واصبح ابي يتخوف من
الظهور ويقضي يومه قاعدا على تخت من تخوت "" قهوة
حجازي "" !

7

" وصل "" عمي "" على غير انتظار وحين رأني احمل الزنبيل عائد
من السوق .."
قال ساخرا ..
عال عال .. ابن "" البيك "" صاير حمال !
صاح ابي بعصبية ظاهرة ..
- أتريد أن تروح "" ام نعمان "" للسوق أو انا ؟
قال عمي ..
- و أين راح "" الكردي "" ؟ ان مثله مثل عشرات ""
"" الخزمجيه "" الذين كانوا يملاون البيت ! *
انتفض أبي بغضب وفاجئني رده ..
- هو حال الدنيا يا ابو سعود !
كانت فترة قلقة وانا ارى امي تعض على اصابعها وكأنها تتوسل
ابي ان لا يرد , الا ان أبي قال ..
- أنه الواقع الذي يعيشه الموظف وليس من حل اخر! ..
قال عمي ..
- الحل بيدك ولك ان ترجع الى ديرتك لتعمل ؟
وبعصبية لم تخفف ثورة أبي زمجر صائحا ..
- وماذا سأعمل هناك .. فلاح لو "" مكدي "" بالحضرة
- ولماذا تستنكف من "" اصلك "" ؟

وتعارك عمي وابي واختلطت الصيحات والاشارات فوضع عمي
"السيديه" على راسه وخرج غاضبا..
فبكت امي مولوله ..

8

" ضربتي ابي حين عرف بهروبي من المدرسة وان المدير
هددني بالطرد منها. الا انني تعودت على انتحال المناسبات لاهرب
منها اريد و الخلاص من الذهاب للسوق .
ففي كل صباح احمل الزنبيل وما اشتريته من السوق فتمر امامي
باصات حلوه زرقاء وبيضاء تعود الى مدرسة " عادل " النموذ
جية ومدرسة "السعد ون" وهي تقف للاولاد الذين يلبسون ثيابا
جميلة ولا اراهم يتعاركون ولكنهم يضحكون ويصيحون علي " ابو
الزمبيل ! " فصرت اهرب من الطريق وادخل ازقة ودروب مليئة
باولاد ما ان يرونني حتى يحاولون اخذ الزنبيل فكنت في كل يوم
جديد احاول ايجاد طريق آخر .

9

عندما وصل خالي "سالم" من "الموصل" تاخرت
بالسوق فصاح ابي غاضبا..
- لم تاخرت وخالك يريد السفر؟
فتوسلت ان لا اذهب الى المدرسة لانني تاخرت عن الامتحان
فتبرع خالي لايصالي الى المدرسة " فركبنا سيارته المسلحه وامام
المدرسة رايت المدير واقف وبيده العصا فبكيت خائفا الا ان خالي
جرني من قميصي بقوه وحين راى المدير خالي بثيابه العسكرية
اخفى العصا وراء ظهره ...
قال خالي ..

- استاد .. نعمان خائف منك لانه تاخر عن الدوام وانت تعرف ان "أبا نعمان" المدير العام لافواج شرطة القوه السياره " مهماته واعماله كثيرة تتطلب احيانا ان يتاخر نعمان عن الدروس!

"اعتدل المدير في وقفته وشعرت بخوفه لان "الكبارية" دائما ما يرسلون حراسهم ليحتجوا على معاملة اولادهم ويتصايحون ويهددون بصوات عالية , نسمعها فدفعني خالي جانبا ..

- تعرف .. جناب المدير..

" تلقت خالي وغمزني بعينه "

" شوف نعمان.. اخاف "اكو" واحد يضربك أو يعتدي عليك.. ان اباك لايتورع عن جر اكبر واحد من اذنيه وهذا لا يعفك كتميز امام جناب المدير في ان تكون مؤدبا وطيعا .. هل فهمت؟ "

ثم التفت الى المدير..

- لا اريد بعد ان اوصيك به.. نسيت واذا جنابك احتاج الى أي شيء فنحن جاهزون للخدمة ..

"تركني المدير ادخل وما كاد المعلم يتقدم لضربي حتى سمعت المدير يصيح به.. معلم صالح..

وراح يكلمه بصوت لم اسمعه" ومن ذلك اليوم تغير كل شيء , حتى المعلمون والطلاب صاروا يعاملونني مثلما يعاملون اولاد الاكابر ...؟

10

حين وصلت جدتي من " البادية " تغير كل شيء وحين راتني اشهق شاركتني امي البكاء قصرت جدتي على اسنانها .. وكيف تقبلين الحياة في قبر وانت بنت "نص الدنيا" وانا اعيش مرتاحه !

"تركت جدتي البيت متعجله ورجعت بعد يومين وقد حملت لنا
" التفاح والعرموط والبطيخ والزرعور " فهجمننا نمزق
الاكياس متعجبين!!"
فبكت امي مولوله ..
- الاولاد محرومين .. أهكذا وصل الحال بنا ؟
فقالتي جدتي لابي .. بصوت حاد ..
- لن اترك "ساره" تموت واطفالها في هذا القبر فقد
لقيت لكم بيتا في "العمار" بعشرة دناتير ودفع سالم ايجاره
لمدة سنة !

11

وانتقلنا الى " محلة العمار " والزقاق مزدحم باليهود
والنصارى والمسلمون وفيه تقدر القطط على القفز منه الى سطوح
البيوت المتقابله ..
" حتى مدرستنا " الرشيد " لا تبعد خطوات عن بيتنا ومعلموها
وظلابها من سكان " العمار و"العبه خانه " ولم تمض اربعة ايام
حتى ختمت كل دروبها ومغازاتها وسينماتها فما اكاد أخرج من
المدرسه حتى ادور من ساحة "حافظ القاضي" الى سينما الحمراء
ومن سينما الوطني والرشيد والزروراء الى سينما روكسي وانا
اتفرج على المحلات والمخازن واكثر ما يعجبني محلات " حسو
اخوان " وصور " ارشاك وعبوش " كنت فرحا لانني لم اجد من
يتعارك معي او يترصد طريقي
كنت دائما ادور بالشارع ابحث عن "مارسيل" ولكنني اخاف
الدخول في درابين بغداد وكنت اتوقع رؤيتها تنتظرنى !!..

نعمان نعمان ..
 تعال شوف "اسمهان" ؟
 " لم اصدق صوت امي التي كانت تشير الى مدخل الدربونة
 كانت "اسمهان" تصعد دكة البيت المقابل لنا فتسألت مع نفسي
 لقد حلمت بها كثيرا عندما رايتها في فلم " غرام وانتقام " بسينما
 " ديالى "
 "هي ماتت في السينما فكيف رجعت؟ "
 فرحت احلم من جديد عندما رايت "ست ديزي" وكانت مثلها
 ولكن ليس عندها " شامه " فكنت اختلفى وراء الشناشيل لاراها
 تذهب الى المدرسة وتعود منها ثم اشترت صورة لاسمهان
 وكنت "ابوس" الصورة يوميا ..

كنت اكل "دوندومه" امام مرطبات "رغدان" مرة
 عندما رايتها تنزل من " الامانه " من عادتها ان لا تنظر حولها!
 وعند درجات "العمار" قام "عزت ابوالثلج" يغني " مالح وطيب
 لبليبي " فتعثرت ووقعت دفاترها في الطين وقتل "عزت" شواربه
 وهلهل مثل النسوان ولاول مره اسمعها تقول له " ادب سز " *
 ركضت وحملت الدفاتر ونفضت طرف "القبوظ" الذي تلبسه
 وانا اشتم "ابوالثلج" واوصلتها الى بابكم وعندما رجعت الى
 بيتنا ..
 قالت جدتي ..
 "هل تعاركت مع احد " ؟

فحكيت لها ما فعله "عزت" مع المعلمة التي كانت تسميها "مريم العذرة" وكيف تعثرت وكادت رجلها ان تنكسروكيف ان "ابوالثلج" هددني عندما شتمته فلم تتحمل جدتي فطلبت مني ان ادليها على مكانه وما ان رأته حتى أنهدت به صائحه " ..
"ولك هتلي أيبين صاير" ابو جاسم لـ " براس المستورات وبنات المحله والله لاجعل حديدك أعلى من راسك ثم تفلت بوجهه"*

وحين رجعنا الى البيت طلبت من "سالم" تاديب " عزت " وعند رجوعه من مركز " العبه خانه " في الليل .
قال لجدتي ..

" وداعتك سويته لك "جريدي" ووزيته للانضباط وطلع " أفرار!" ومن يخلص السجن راح يلبسوه" أرخداش " *

14

قالت جدتي ..

" مريم العذرة " تريد رؤيتك يانعمان ؟

- وماذا تريد مني ..قلتها بين الفرح والمفاجاه .

- لقد شكرتني وفرحت كثيرا عندما سمعت بانك من اخبرني

بما فعله ابو الثلج معها وازداد فرحها عندما حكيت لها عن

مصائبك في البيت وعن الشياطين الذين ترسمهم على الحيطان

وارادت ان تراها اذهب لها يانعمان فقد تساعدك في المكتب ؟

" بقيت قلقا فكيف سارى من احبها فابقيت نفسي خلف الشناشيل

انتظر الوقت الذي ستراني به , وما ان رايتها تقف امام الباب حتى

ركضت وكانني خارج من البيت , فسمعتها تصيح ..نعمان اين

رسوماتك؟

لقد تغير كل شيء في حياتي .. كان بيتها انيقا ومرتبا تشيع منه

رائحة حلوه ..

سالتني عن مدرستي وعلاقتي بالاولاد وعن بعقوبة وبغداد ولم
انتبه للوقت الا وصوت امي..
ليتها لم استطع النوم .. كان الليل وسطا بين اسمهان الغائبة
وبينها .

15

لم تقبل مدرستي في الاعظمية الموافقة على نقلي الى
مدرسة الرشيد الا بعد العطلة الربيعية فكان علي ان اركب سيارات
الامانة لمنطقتين حتى اصل اليها وقد اربعنتي بغداد المليئة
بالسيارات والناس الغرباء فتبرعت جدتي ان تتوسل بالجابي
ليهتم بي حتى اصل جامع " ابو حنيفه " وقد شفعت ذلك بالتحذير
ان لا اركب غير الامانه ولا اقبل الذهاب مع احد لان الناس
غادرين.. واعطتني " اربعون فلسا " اجرة الطريق ذهابا وايابا
قائلة..

لوضاعت منك الفلوس فانك لن تجد في بغداد من يساعدك
فتموت من الجوع والعطش ..

عندما ركبت " الامانة " رايت بغداد كبيرة ومخيفة وظلت
السياره تمشي تحت مطر كثيف حتى اقتربنا من الميدان " اعرفها
من المدافع الكبيرة " فتوقفت الامانة وراء سيارات كثيره واقفه
وسمعت الجابي يقول للركاب .. أنزلوا لان " الامانة " لن تصل
الاعظمية فالطريق مقطوعا.. شهقت من الخوف اذ كيف ساصل
الى مدرستي وانا أتعثر بالنزول وخلال المطر رايت " صلابة " !!
" صلابة سوداء " تدلى منها رجل يلبس ثيابا بيضاء ورجلاه
مربوطتين بحبل ثخين وقد علقت على صدره قطعة من " خام
الشام " كتبت عليها كلمات لم احاول قراءتها وانا ارتجف ..
وتراكض ركاب الباص واكثرهم من الطلاب وارتفعت بينهم غممة
لم افهمها فرحت اصطدم بالواقفين وانا احني راسي حتى لا ارى
الصلابة وانا ابكي خوفا حتى دفعني رجل بيده وهو يسب ويشتم

وكان أفراد الشرطة مسلحين بالبنادق وعلى رؤوسهم "خوذات" من الحديد"
ظل المطر يتساقط بعنف وكلما حاولت الخروج من المكان دفعني الحاضرون عنهم حتى سمعت رجلا يقول للشرطي..
لقد تأخرت عن شغلي في "راس الحواش" وقدم له بطاقة الامانه فإشار له الشرطي بالمرور وما كدت ارى العامل يتحرك حتى تعلقت به وصعدت الباص وانا غير مصدق وانا ارتجف من البرد ومن النافذة المبللة بالمطر رايت "البلاط الملكي" مسدود الابواب والحراس بخوذاتهم من وراء السياج وما ان وصلنا " فلكة النادي الاولمبي " وقرأت أسم "شارع الامام الاعظم" حتى توقفت عن البكاء ونزلت من السيارة امام الجامع!

16

احاطني عدد كبير من الناس .. متسائلين ..
- " ها.. شفت " فهد " !! *
- " منو " فهد. " ؟
- ولك هذا " شيوعي " صلبوه " اليوم في بغداد .. !
" بابا خلوا الولد .. هذا " مصدوع " !
انهزمت والبرد يهري جسدي حتى وصلت " الاعظمية الاولى "
وقد انتشر الطلاب في ساحتها الصغيرة وحين حاولت دخول الصف سألني المعلم..
- لماذا تأخرت .. هل أنت خائف من الامتحان ؟
" رجعت ابكي واشهق فارفع صوت الطلاب "
- أستاذ .. هو خائف من المصلوب !!
تغير وجه المعلم وسألني..ماذا رايت يا ابني ؟
- رجل مصلوب !!
" تركني المعلم وخرج من الصف ورجع ومعه معلم التاريخ ..

- اين رايت الصلاية ؟

"تلعثمت مرتبكا وبكيت" ..

- رايته معلق في باب المعظم امام السجن !

"حين حاول المعلم ان يسألني مرة ثانية همس معلم العربي ...

" هم ثلاثه .. واعتقد انه راى "الشبيبي" كما ذكروا قرب السجن

المركزي " لان " فهد " في مكان اخر ومن حقه ان يخاف ولو

كنت انا مكانه لما حضرت الى المدرسه وقد اخافني الحوار بينهما..

قال الاخر بصوت هادىء ..

- لا تخف يا بني فانت ناجح !

ولم اصدق فرحت اركض للوصول الى "الامانة" الا انني كنت

خائفا من رؤية "الصلاية" مرة اخرى فجلست في المقعد الاخير

وقد ملا الطلاب الباص وارتفع صياحهم وهم يتكلمون عن

المصلوب حتى وصلنا باب المعظم فتدافعوا نازلين ولم انزل الا

حين سمعت يتاسفون ..

" فاتنا المنظر ! "

من "الامانة" رايت عمال البلديه " يطمون" مكان

الصلايه وقد ارتفعت رائحة القير الحار وكان بعضهم يحمل سيورا

خشبية وبكرة من الحبال الغليظة وحين مشت السيارة " كان

الركاب يتكلمون باصوات عالية ويتلفتون مشيرين الى المكان ..

- أي هنا .. صلبوه لا.. هناك .. أي ..نعم .."ثلاثة

شيوعين" في يوم واحد !!

- وفهد ؟

- علقوه في " علاوي الحله" !

"بقيت ساكتا أسمع وقد تملكني الرعب حتى رايت " حافظ

القاضي" .

"رايت سيقانها تلمع تحت معطفها الازرق وقد وقفت
 "ديزي" ذاهله وغير مصدقه.. فتحاملت على حقيبتى ووقفت
 مرتبكا وشارع الرشيد يدوي من صوت السيارات فتراجعت "ديزي
 "ومدت يدها لتسحبني اليها وهي تتمم مؤنبة ..
 - هل رجعت الى عادتك القديمه وعدت تهرب من
 المدرسه.. لقد علمتك ان لا تخاف مما فعلته فلماذا تكذب ؟
 - والله يا ست ..!
 اس .. اس
 - لماذا تبكي اذا ؟
 " كان الطريق مقطوعا الى باب المعظم "
 قالت بصوت منفعل ..
 - الناس يروحون و"الامانه" تمشي وهذا لايعفيك من
 الكذب عليّ !
 - خفت يا ست !
 - ومن الذي اخافك ؟
 - الصلابه !!
 "أصبح صوتها لايسمع... "
 - صلابه!ظ
 - نعم .. يا ست.. لقد رايت رجل معلقا بالحبل في باب
 المعظم!!
 "ضغطت ديزي على يدي بقوه وتوتر صوتها .."
 رجل معلق .. !
 - ولماذا بقيت في الشارع ولم تذهب الى البيت .
 - خفت ان تسمع جدتي !
 - وما علاقة جدتك بالمصلوب "

- انت لا تعرفين خالي " يونس " هو صلب نفسه
عندما سقط في الامتحان !
" نهضت ديزي متعجبه وسمعتها تهمس لاختها ..
" نعمان مريض فاتركيه ان ينام قليلا بلا اسئلة "
"قادتني ماري الى غرفه جانبية ما ان تعودت عيناى على الظلام
حتى صرخت بصوت عال عندما رايت صورة لرجل مصلوب معلقه
على الحائط ويده مدقوقتان بالمسامير وحول راسه لفه من الا
شواك .."

- لن ادخل هنا ؟

"اسرعت "ديزي" على صراخي وانا ارتجف فامسكتني من يدي
ودفعتني الى غرفة نومها وقد غطى وجهها الالم وقعدت تنزع
حذائي وانا اتصبب بالعرق..مسحت وجهي بمنشفة مبللة بالماء
وبصوت تعب قالت..

- يمكنك النوم على فراشي !

"تناهى لي صوت ماري .."

"اهله يبحثون عنه وقد طأنتهم بانك تراجعين له الامتحان !"
تقلبت على السرير مرتعشا والمشنقه تطاردني ..

- اشرب ؟

- انا لا اشرب الشاي !

- هذا "ورد ماوي" !

عندما فتحت عيني كانت "ديزي" شاحبة الوجه قاعدة قرب
الفراش

- هل نمت جيدا يانعمان ؟

- رايت " خالي يونس " واقف امام "الصلاية

اس اس

- والمصلوب في الغرفة هل هو ابوكم ؟

- هذا نبينا عيسى !..

- ولماذا صلبوه ؟

- قلت لك اسكت !..

من عُرفتي المطله على الطريق سمعت " ابو خليل " يكلم
 "نوريه ام الكركري" وهما جالسان على عتبة البيت ..!
 - نوريه .. تدرين.. اليوم صلّبوا .. " فهد " ؟
 - أويلي .. ومنو فهد ؟
 - واحد مسقوفي..!
 - مسقوفي !!
 - زين.. وهذا شمسوي .. قاتل.. ناهب ؟
 - لا قاتل ولا ناهب.. بس..الحكومه تقول كان يريد هو
 وجماعته يصيروا بمكان الملك !
 - بيبي .. مسقوفي وايصير بمكان الملك ؟
 - أي.. واليوم من الصبح علقوه في "علاوي الحله" ! *
 - بالقيير !!
 " عدل ابو خليل سدارته .."
 - شوفي بدريه .. حرام تقولين بالقيير.. قولي الله يرحمه...
 - بس.. هو كافر .
 - وحتى لو كان كافر..الله هو من يحاسبه مو انت ..؟
 "من طرف الدرّبونة مر" ستار ابو البوريات " فتوقف عندما راي
 بدريه وابو خليل يتحاوران ..
 "ها.. ايبين دتسولفون على" فهد" ؟
 "يا جماعه تره مو بس"فهد" صلّبوه.. ويا اثنين .. واحد
 علقوه في باب المعظم والثاني بالباب الشرقي وفهد في " علاوي
 الحله" !!
 "عندما ابتعد "ستار "
 قالت بدريه...
 "ابوخليل" صدق "فهد" هذا مسقوفي وشنو ديانتته ؟
 قال ابو خليل ..

- الم تسمعي ماقاله "ابوالبوريات " هذوله ماعهدم دين
ولاديانه..!!"
- ومنين يعرف " ستوري " !
- ماما ..اسكتي احسن .. أي .. موهذا يشتغل " سرّي " عند
الحكومة..!*

- أيا ابن "المشعول" سرّي" وهم يشتغل بالبوريات! *!!
صاحت ام خليل من " الطرار " .. *
- يبين "بدرية" تريدين تبلينه ويه الحكومة وانت "ولك
جوز من سواالفك تره جيرانه شرطه !!
" تعجبت من ذلك فكيف عرفت ام خليل ؟"
- " بابا " تره طالع من " قوت السيار " بعد ما حبسوه
سبعه ايام !!!"

" ضربتني ديزي بطرف الدفتر "
- قل " ألقوة السيارة " فقد قلت لك مائة مره ان تترك
كلمات جدتك وتكلمني بلغة المدرسة..!"

19

- انعمان.. ماذا يعرضون الليلة في السينمات ؟
- ست .. "عنتر وعبله" في سينما الوطن .
و "جابه والي" بالزوراء !
- و الرشيد ..؟
- " فلاش كوردين " واليوم ابدلوا القلم و "
خليلو" اعطاني صور "طرزان "قاتلا.. سيعرضون
" هروب طرزان " الليلة !
- جيد .. جيد .. جدتك.. تسميك " ابوالدروب " وانا
ساسميك ابو السينمات ؟

- لا والله .. انا لا ادخل السينمات وانما اتفرج على الاعلانات..

- والقراءة يانعمان ؟

- البارحة اعطتني " سنيه " مكتوب وصلها

من "حمادي فقراءته لها " فأن كنت لا اعرف القراءة والكتابه

فكيف تطلب مني ان اقرا لها المكتوب .. !

- ودروسك ؟

- انا اقرا واحفظ المحفوظات ولكن بابا كلما راني

ارسم ضربني ومزق صوري ..

- ابوك على حق لانه لايريدك ان تتلهى عن دروسك

وترسم اشياء لاتستفيد منها . !

- ولكنني يا ست احب درس التاريخ و الرسم حتى

"معلم فوزي" تعجب عندما رسمت " شارع الرشيد " وفيه

"الدلكات والسيارات " فاقفني امام الصف..

واعطاني " طباشير ازرق " وصورة للملك غازي " وطلب مني ان

ارسمها فرسمتها على السبورة وفي اليوم الثاني اعطاني اقلام

ملونة ومساحات ..

- وماذا رسمت بعد ذلك ؟

- رسمت محبوسين يعملون وبارجلهم السلاسل

الحديدية فسألني المعلم.. هل ابوك مسجون ؟

- لا ..ابي في الشرطه .!

انتفضت "ديزي" منفعله ..

- ومن علمك ان ترسم مثل هذه الصور ؟

**

البارحة لعبنا قرب تمثال " مود " فقال ابن عمي "فايق " أتعرف من هذا ؟

- انكليزي ..!

- ولك ..لا..الم تسمع "عزيز علي" يعني و"مختار ذاك الصوب سووله جاره " هذا هو المختار .. وهو اكبر من الملك والوصي وجماعته؟ هم الذين ضربوا المظاهرات .
"حين راني فايق حائرا سألني ..

- زين نعمان ..أحنه "جوه " ايد الانكليز لو فوكها ؟

- فوكها " ..

غمني " فايق بيده

- ولك ..لا.." أحنه جوه ايديهم والحكومة والوزراء " خزمه جيه " عندهم و هم الذين طلغوا " عمي محمد سعيد " من الشرطه لانه لم يضرب الطلاب.

صاحت ديزي بعصبية ..

- وماذا يعمل ابن عمك ؟

- هو بالاول ثانوي ويريد ان يشتغل في جريدة "اليقظة" ولكن الحكومة "سدت" الجريده.. وفايق كلما راى الجرائد في المحلات يقول..

وهذه جريده وطنيه وهذه استعماريه!!

- ست.. ما معنى استعماريه ؟

سألنتي ديزي

- اين كنت اليوم وقد انتظرتك تحت المطر..و لم تاخذ

مظلتي

- اخذتني جدتي من المدرسه الى " قهوة شكر " وقالت
اركض وطمسنا بالطين وكنت اسمعها تقول لنفسها بصوت
واطىء ..

"المسكينه تعبت وشقت وبالتالي تبيع ذهبها للنائمين للضحى ..
وعندما وصلنا المحله ادخلتني الى مجاز طويل وقالت لرجل
يلبس سداره "كودري" جيت على " الكردانه" !
فقال "ابوالسداره"

- يمه .. "الكردانه" راحت لانك لم تسددي الرهن ..!
فصرخت جدتي به ..
ولك صدق انت يهودي !
فقال اليهودي ...

- يمه ..انا مثلك صاحب اطفال ولوجه الله ساعطيك
دينارين ..ز.

- ولك ظالم ..شلون دينارين والكردانه بثلاثين دينار !!
" وطلعنا من بيت اليهودي وجدتي تولول ..
ايا كلب يا ابن الكلب .. وتاليهه راحت " الذهبات " !
" قلت لها يمه .. ساره .. هذا " فايز " مثل النار تره تروح
ذهباتك "والخمس طعش" دينار ما تفيدك وصدق راحت الفلوس
على العزائم والبراطيل .. بس .. امرنا لله .. راحت .. اي .. راحت..!
ثم " عتنتي " جدتي من كتفي صائحه ..
- ولك شوف مو تقعد تحكي بالدرب ويسمع ابوك .. تره رح
تشوف اش راح اسوي ببك .
فولولت امي باكيه : ..

- لم يبق من شيء في البيت ..راح كل ما جمعته و
الرجال " مبذر "كل ما يشوفني " احترك "
يصيح ..جيبي وانا انزع وصله وابعها بكسران ويروح
" يتبرمك" ... حتى جناجل " سنان " بعثها و"تراجي"
بسمه والحجل والمحابس ولم تبق غير الكردانه
وراحت؟..*

"طوت ديزي طرف تنورتها وغطت ساقها بشرشف مطرز

بالورد

- ثيابك حلوه .. وامي ما تلبس مثلك لانها كلما لبست

ثوبيا جديدا صار خالي عصبيا وصاح بها .. ولج عيب ..

فتتعارك امي معه وتبكي وتقول له " .. عندي رجال ومن

تتزوج احكم على مرتك "

- وماذا يقول ابوك ؟

- امي تخاف ان تحكي معه لان جدتي تقول لها دانما

بنتي " ساره " لا تتكلمي مع "محمد سعيد" حتى لا يطرده " ابو

جناجل " من البيت !!

"ضحكت ديزي ..

- ومن هو " ابوجناجل "

- خالي سالم !!

- خالك ؟

- أي .. وجدتي تسمية "أبوجناجل" وتقول لامي لا يخذعك

سالم بالديانه لانه يكذب و"مكسراته" كثيره اتريدين ان

احكي لك عن " ابو جناجل " ؟

تقول جدتي..

" كان في ديرتنه " ملا " كلاوجي " يريد ان يجعل من نفسه

قاض فاذا باع احدهم شيئا ولم يعطه حصه منه .. صاح البيع

حرام وهدده بان الله سيلقيه بالنار .. !!

واستمر "الملا" يخدع الناس بالكلاوات وينتظار حتى لبس "

جناجل" مثل جناجل " سنان " وحين سالوه عن السبب قال..

انا رجل اخاف الله واخاف ان ادوس النمل فيحاسيني الله وقد

لبست الجناجل حتى اذا سمعها "النمل" انهزم قبل ان ادوسه

بنعلي !!

وفي احدى الليالي سمعت المحله "عياط" وعندما وصل
"الجندرمه" طلع هذا مو حرامي بس طلع "الملا أبو جناجل"
نازل على " حرمه "و"مشكك" ثيابها ويريد ان يفعل بها !! ها ..
ها ..

بس .. بس .. ولك .. عيب !

23

فتحت ديزي " الغرامافون " ابوالكلب " بعد ان وضعت
فيه "قوانة" فيه!!
- اسطوانه يا نعمان ..
- جدتي تسميها " قوانه" !
- وأية اسطوانه تريد .. "على الدبو.. عزيز علي .. سليمه
باشا أو زكيه جورج ؟"
- "اسمهان" !
سألنتي ماري ..
- لماذا تحب "اسمهان ؟
- منذ ان رايتها في السينما وانا احبها ..
- وكيف تحبها يانعمان ؟
- اتمنى ان تكون امي وفي الليل ابوس صورتها ..
- ولكنها ماتت يانعمان .."
"لماذا تبتسم .. ماذا قلت " ديزي " تشبهها .. ملعون ...
"من بين الشناشيل ارتفع غناء "خليل محتار "
"ينصارى اشصار بيكم ما تضيفون اليجيكم "
- هذا البومه.. بس يعوي !!
- عيب يا نعمان !

- لماذا كنت تتعارك وتبكي يانعمان .. اليس مخجلا ان
تفعل هذا سألتني ماري ..
- لقد كسروا صندوقي الصغير و كنت اجمع به
"الافلاس" لاشترى " واليوم لم اجد في الصندوق فلس واحد..
فقالتم امي وقد امتلات عيناها بالدموع ...
- انا اخذت الفلوس لان بيت عمك " يحيى " بقوا
للعشاء وليس عندي ما اقدمه لهم واريدك ان تشتري لهم
"ماعون كباب" وسارجع لك ما اخذت ..
- وهل اقتنعت يا نعمان ؟
- لا.. ولكن امي تستحي ان يخرج الضيوف بلا عشاء
وتخجل ان تستدين من احد فذهبت الى مطعم "عمو الياس"
لاشترى لها وظل "عمو الياس" يضحك ويقول .. عمو .. هاي
منين "مكدّي" الفلوس..
" بعدها اعطاني.."نفر كباب" جبته للخطر ."

- اليوم صار معلم " شاؤول" عصبيا وأمسكني في
الصف ولّوى اذني ..
- ولك .. ومتى تقرا وانا اراك دائما امام السينمات ؟
- بيتنا هنا !!
ضحك معلم " شاؤول" .. وقال كيف .. هل بيتكم سينما ؟ ولكنه
عندما اوقفني امام " السبورة" وقرأت "جدول الضرب وحليت
المسألة

" قال للطلاب اريدكم ان تكونوا مثله "شطار" فصفقوا لي
وفي " الفرصه" تعارك " عامر "معي لان معلم شاوول اعطاني
"جورية" وقال للطلاب" شاوول" يهودي وراح يمشي الى
فلسطين وانت " هم يهودي" مثله.. فضربته على فمه فظل يبكي.
قالت "ديزي" ..

- وماذا تريدني ان اقول على ما فعلت ؟
- وماذا افعل يا ست ؟ كيف يقول " انت يهودي " وانا مسلم
وهوكسلان في الدروس!!
- العراك ياتعمان لايحل المشاكل فكان عليك ان تقول له كن
مثلي شاطراً ..

26

البارحه جاءت مسلحه للمدرسه واخذت "معلم فوزي" ابو
التاريخ وراحت به للتوقيف فوقفنا نتفرج ولكن "المفوض" صاح
بنا ..
ولكم يلله من هنا...!!

ومن طلعتنا من المدرسه وقفت اتفرج على لاعبي " المصارع "
بالدرب وكان " شيبال" ابو الجرايد يحكي مع ابو "الشكرات" ..
"عمي.. متشوف لي شغل عندك خايف يأخذوني وياهم
وعيشة الجرايد بعد ما تتراد !

فعاد ابو الشكرات يسأله و" شنو صابر" ؟
- مو سدوا "الاهالي والاستقلال" واخذوا "معلم فوزي
و"ابو قرنل" للعرفي لان الحكومه خايفه من الجبهه !!*
- ومن هي الجبهه ؟
- جبهة القوميين والشيوعيين وجماعة " الجادرجي "
أي..و"الشعبه الخاصه " بدت تلم الشباب وتذبهم بالحبس واليوم
كرفوا عشرات الطلاب لان الحكومه خايفه يسوون مظاهرات!

- وهاي العصرية جاعنا "فايق" للبيت فقال له " سالم " يقولون.. انت صاير تشتغل بجريده شيوعيه وتدافع عن " فوزي " وغيره من الشيوعيين !!
فضحك فايق وقال ..
- انت ما تعرف استاد "فوزي " هو قومي حيسه
الانكليز بالفاؤ .. حقك تقول هذا لان الشرطه لاشغل لها
غير أتهام كل من ينتقد الحكومه من الوطنين بانه
شيوعي..هه ..
فقام "خالي" يريد ضربه ولكن جدتي منعتة ..

من الدرّبونه.. تصاعد صراخ "سنيه وخليل الاعمى .."
- أي.. بعد شيسوي الله بيك ..؟
- وشيسوي بيه.. غير أخذ عيوني وخالني أغني وهاي
نعمه من الله ... بس انت.. اش سوه بيج .. كل يوم
"رفيج" *
- اسكت " ابو المعيديات" *
"تداخل الصياح فاطبقت "ديزي" الشباك بقوه .."
" هذوله كل يوم هرجه مثل "الكاوليه"
اس اس ..
- وسنيه.. ست مثل ما تقول جدتي ترقب الريح والجاي !
اس .. اس ..
- "حافظ" أبنهم ماعنده شغل بس يدق الابوابويصيح..
طيور... ومن يدخل لازم يلفلف ما يراه امامه..

"عاد صوت خليل يرتفع من وراء الشبابيك "

- سنيه ؟

وهسه درتي على "المطيرجيه" ..1 ويوم " عزوي " ويوم " ابو
جاسم " !

- نعمان .. عيب ان تقضي الوقت و "تسقط " الحكايات
- لا والله ياماري ولكن "عركات" بيت خليل تملأ المحله!
حتى جدتي "تقول..

"هذوله أيبين ذابين أبيتهم " أعزیزه "

- وشنو " أعزیزه " ... سألتني ماري ؟

- عظمه ايخطوها ويكلوها ويحمروها ويذبوها على
البيوت اللي عندهم عداوات والبيت الذي تدخله "العزیزه "
يشتعل نار!

- و كيف عرفت كل هذه المصايب ؟

ضحكت " ديزي " غريب هذا الولد !

عادت ماري تقول لي ..

- نعمان .. ميصير.. انت ما ذاب "عزیزه"؟

- لا لا يا "ماري" ..

- شيطان .. احك لنا ولن تقول "ديزي" شينا ..

" رايت ديزي تضع اصابعها على فمها متبسمه "

" مرة اعطاني " ابن ياس " "عزیزه" وقال لي .. عيني

نعمان اريدك تذب هاي " اللعابه " على "بيت "التتكجي"

وما اريد احد يشوفك فدعبلتها من جوه الباب ...

وبيتهم مثل الخان " مليون أنزوله " "السابق وابوابيض

وبيض والحمال وابوالنفط والبصوان وابوالفشافيش

والدلاله والشرطي والجندي "

- أي... والبيت مليون زعاطيط وما تسمعين به الا

"البريمزات " تشتغل لاعداد الاكل !!

- أي .. وبعد شوبه اشتعلت "العركات" .*

- شلون ؟

" خضير ابو الفشافيش " هجم على "جودي" وبيده صيخ
المعلاك " يريد ان يفقس عيونه و"ام النمنم" هدت على "مطلوبه
"مرت" خليفه ابوالدنايك" وكفشتها من شعرها وهي تعيط
صائحہ .." ولج أم الباجيات ...
- ولك أسكت عاد .. قالتها "ديزي" وهي لاتتمالك
نفسها من الضحك !
- أي.. وظل واحدهم يريد ياكل الاخر حتى وصلت
الشرطه فصاحوا بهم ..
"ها.. ملاعين الوالدين ايبين بعد ماعدنا شغل بس طلاب
"خان التنكجي" يالله ويانه للعبخانه " ...

29

سمعت ديزي تسال اختها ..
- أصحيح ان هناك عالما مثل هذا.. لم نسمع به من قبل!!
قالت ماري ..
- ومن كان يعرف عالم بغداد لولا نعمان أتذكرين حياتنا
قبل ان يدخلها نعمان" ..
"سكوت وسكوت" وعندما دخل هذا الولد غير في حياتنا
و"المسيح" لو تقبل جدته ان تبقيه معنا لكنا اسعد حظا لان الله لم
يعطنا اولادا ..

" شوفي بنتي توكلي على الله وعلى "ابو قبقاب" وان شاء الله ما ارجع من زيارته الا ويكون كل شيء قد انتهى لان اشارات "ابو قبقاب" ما تنرد ثم التفت لي ..
شوف نعمان احنه رايعين الى بغداد مو تلعب بكيفك ترى اذا ضعت مترجع !"

- وتشترين لي ؟

- الفلوس في جيبى .. بس اسكت !

"من بيتنا رحنا نمشي الى "شارع غازي" وقد لفت جدتي نفسها بعباءه صوفيه فوق العباءه الخفيقه وكانت البيوت مثل القبور مظلمه والدرابين وسخه فصاحت جدتي ونحن نمر بالدرابين الطامسه بالمىّ والسيان..

" اف .. اف .. ولكم هذوله شلون عايشين ,

و طامسين بالسيان والزبل.. وساكتين !!

- جدتي .. جدتي .. أريد ان اتبول .؟

- لا حول ولاقوه الا بالله.. بدت طلايبك .. يالله .. بول ..

- اين اتبول ..؟

" رفعت جدتي فوطتها الى فمها " وهزت يدها مستنكره "

"ومن الدرب الضيق تردد صوت بائع النفط "

" هدومك النفط." !

كادت عربه النفط ان تسحقني بعجلاتها فصاحت به جدتي ..

- ولك فتح عيونك مدتشوف الزغير..!

- أي ماكو مكان يببول به غير هنا ؟

فقالت جدتي .

- وانت هم اعمى ومتشوف ذاك " الدريع" ديبول على

الدرج ؟

" كان رجلا يلف راسه بجراويه وسخه يتبول على درجات

"الدرب"

أوقفتني جدتي تحت حائط متهدم وأشارت الى قبة بعيدة ..
- وهاي .. قبة شيخ عبد القادر " بعد عيني !!
والقبة ياست "ديزي " ليست مثل قبة جدي "علي الهادي" وهي
من الذهب والفضه وهذه من "التنك"!
وما ان راينا القبه والجامع حتى اسرعت جدتي بالمشي وانا
اتعثر بالازبال والخرق والقشور باكيا فهجم عليه "المكادي"
والمخابيل" فوقعت عباءتها وداستها الرجلين وهي تصيح بهم "
"كطيعه " ..
واصوات الباعة ترتفع ..
" سميط.. حلاوة راشي .. داطلي "
- أريد أشتري .
"نهرتني جدتي صانحة ..
- ولك متشوف أذبان"
وش وش ..

فركضنا وامام باب الجامع تكومت " القنادر والنعالات
والكلاشات " فصاح " هندي " علّي لانزع حذائي ولكن جدتي
ادخلتني تحت عباءتها ورفضت ان انزع القنادره ..
- تره من تنزعها ينهبها "المجادي .
ودخلنا الحضرة ولعلع صوتها ..
" ابختك يا " ابو قبقاب" اريد منك ترّجع محمد سعيد
للوظيفه ..

ثم "طشت الفلوس فتدافع" المكادي " فوق بعضهم وكانت
هناك نساء كثيرات قاعدات في الصحن ينظرن الى المناره "
- يا عجوز الخير " عندك مراد ؟ زين .. جيبني العبايه
وجيبني درهم ؟
"وتلقف الرجل العبايه والدرهم وصعد المناره والقى بالعباءة من
حوض المناره فنزلت ترفرف والنسوان يتصايحن ..
" بختك .. انفرشت العبايه وانطاك ابوقبقاب "مرادك " فارتفعت
"الهالهل" من هنا وهناك ..

وحين خرجنا من الحضرة كانت جدتي فرحانه فاشتريت لي " حلاوه
وبقصم " وهي تردد.. "شفت جدودك اهل الشارات..بس ..يراد من
يحركهم " !!

- وشلون يحركهم ؟

- تزورهم وتتوسلهم حتى يتذكرونك !

- ومتى يرجع ابي للشرطه ؟

- بس .. نوصل يانعمان راح نشوف الامر قدامنا !

- أي .. واذا رجع أبوك ماذا اشترى لك ؟

- " البلم ابوالشرع الاصفر " هو عند " عوسي الاعظمي "

لان امي وعدتني .. من يرجع بابا الى يعقوبه ساشترية

لك .. بس .. اخاف " ابوقباقب " ينسى و " عوسي " يبيع

البلم .. !

اش اش

- انت ما شفت هذا الخلق كله بالحضرة شلون ينسى

" بعد عيني "

31

عندما ركبنا العربيه من " الحضرة " ظلت جدت

" تلوح " بالعبايه وهي ترقب القبه الزرقاء "

- ماذا تفعلين يا جدتي ؟

- آسلم على جدك ..

- وشلون يشوفك ؟

اش اش .. شلون يشوفني ؟

" تدري من " طب " الانكريز بغداد وطرذوا العصملي وقتلوا

الناس و وصلوا للحضرة فدخلوها بجزمهم وخيولهم وكان

" الميجر " واقفا في الصحن يرطن و " الشيخ عبد القادر "

" يتوضى والقباقب في قدميه فسمع الهرجه وبعكازته " نخس

الميجر " في صدره قائل له ..

- ولك .. اطلع بره.. انت " نكست الجامع !
ولم يلتفت الميجرله فغضب الشيخ ونزع قبقابه فضربه
به فغاص الميجر بالكاع ولم يجدوه حتى اليوم !! "

- زين.. وين خش الميجر؟
- يمكن رجعه اللنده أولايتهم مثل
ميسموهه!!

- وطوب ابو خزامه ؟
" شربت جدتي نفس من سجارتها ."
" عندما راى " ابو قبقاب " الانكريز بعدهم واقفين
يدورون على " الميجر " أمر " طوب ابو خزامه " صائحا
به يالله .. سوكمهم ..؟
وراح " الطوب " يلهم تراب ويضرب " فشك " *
وانهزم الانكريز وعبروا " دجله " !!
ورجع " الطوب " الى مكانه في الحضرة وقعد ولم يتحرك!!
- وشنو شغل " ابو خزامه " اليوم .. اشو.. بس النسوان
يمه!!

- شغله اليوم يانعمان ..
" اللي ما عدها ولد وتريد ولد ايجيبها ولد !! أي .. انت ما
شفت النسوان ايشدن " علك اخضر " عليه ويدخلن " الجهال "
بحلقه للبركه " !

- و" طوب ابو خزامه " ليش هسه ميروح الى فلسطين
ياجدتي ويطرد اليهود ؟
اش اش ..

- بابا.. الناس يوم دخل " الانكريز " كانوا على " نياتهم "
ولكنهم اليوم تبدلوا وصاروا شياطين وما عاد " الله وابو خزامه "
يسمع طلباتهم!

- زين يا جدتي.. اذا كان الله زعلان علينا منو راح يطرد
اليهود من فلسطين ؟
صاحت جدتي غاضبه ..
- ولك من علمك هذا الحجي ؟

- "معلم فوزي" قال لنا في الصف أن خرافات "الملاي" وكلاواتهم هي اللي جابت الانكليز..اي..و"طوب ابوخرامه" مدفع "خربان" تركه "الاتراك" وما يلهم تراب ولا "فشقي" و..! - ولك.. لتكفر..استغفرالله!

" امسكت جدتي بيدي مهدده ..شوف والشيخ عبد القادر.. بس اوصل راح اخلي خالك يودي هذا المسقوفي للحبس.. يحجي على رجال الله "

ما ان وصلنا و دققنا بابنا حتى فتحته امي التي ظلت وراء الباب تنتظرنا ...
فقالتي جدتي فرحه "

- وهالمره ميوكف شيء ..العبايه وانفرشت وجدك راح يحلها ..بس انتظري كم يوم وراح تشوفين !!
"شهقت امي ورفعت يديها للسماء ..!

32

- ست.. هل تروحون انتم مثلنا للزياره ؟
"ضحكت ديزي ونظرت لاختها!"
- أي .. نروح للكنيسه ..
- وما هي الكنيسه ؟..
- الكنيسه مثل الجامع ..!
- وتنزعون احذيتكم عندما تدخلون فيها ؟
"عادت المعلمه تضحك .."
- لا .. نحن ندخل باحذيتنا ..!
- حلو.. يعني ماكو " كشوان" والكشوان هذا ياخذ القنادر ويتركها عنده ومن نرجع من الزياره ياخذ منا "
انه" والما عنده اربعة فلوس يتركهه ويا اكوام النعالات والقنادر بره ..

أي. وكل شويه يصيح الزوار..
" ياجماعه قندرتي.. أنهفت !!

33

- واين يذهب بك "فائق" كل يوم ؟
- يذهب بي الى بغداد على "البابيسكل" ويتعارك مع
من يريد ان يسبقه وكل ما اردت تعلم ركوب "البا"
"الدراجة" ويقول لي رجلاك لاتوصل "البایدان" !
و عندما عبرنا البارحة جسر الكرخ لنذهب الى الجعيفر
اشار فائق " الى مناره سوق السراي وقال ..
لقد صعد الشرطة المناره وراحوا يضربون الطلاب
بالرصاص والطلاب يردون عليهم بالطابوق.. " أه .. لوكان
عمي "محمد سعيد" في الشرطة لما وافق على ضربهم
فهو كان يقول لابي..
"اعجب ان تهتم الحكومة لهذه الدرجة بالطلاب وهم" زعاطيط "
ولو ترك الامر لي لتركتهم يهتفون حتى يتعبون ".
فقلت له ..
- ولكن " طوب ابو خزامه " وقف قدام الجسر ولم
يعبره فلماذا يريد الطلاب عبوره ؟
- ولك .. يا ابو خزامه ويا قبقاب.. اترك هذه الخرافات..
الطلاب كانوا يريدون عبور النهر لتهديم تمثال " مود
والشرطة منعتهم !!!

34

" هووو وووو هوو"
ارتفع صوت صفير " العبه خانه " فنهضت محاولا الخروج
عندما دخلت ديزي.."

- الى اين تريد الم اقل لك يا ماري ان تتركي الولد على حاله ؟

- بس .. انت لم تسمعي ما حكاه لي فقد تعارك مع "اموري"

- اصحيح انك عدت للعراك ؟

- اتدرين لماذا لانه قال لي ..

" شوف نعمان .. انت واهلك يهود وبيتكم مال يهود فهو الذي تحارش بي فضربته " بوكس " .

- و ماذا فعل المدير لك ؟

- ضربه مسطرتين ولم يضربني لاني حكيت له ما فعل فقال المدير لي ..

- عفيه ابني .. هذوله ولد شوارع يخلقون لنا بلابل ..
"ابتسمت ديزي "

ثم ارسل المدير على " ابو أموري " الذي قال لابنه ..

- ولك " اموري " اعرف ليش دتسوي بلابل تريد تبطل من المكتب واتصير بياع " خرده فروش " *
قالت "ديزي "

- ولماذا ضربته ولم تسامحه ؟

- اسامحه !!

هيه هيه .. لو لم اضربه فكل المدرسة ستعتبرني يهوديا ليس له من يدافع عنه .

35

قالت ديزي غاضبه ..

- وهذه المره ماذا فعلت ؟

- انا لم افعل شيئا .. اخاف ان أقول !

- انت تخاف تخاف !

- هل رسبت في الامتحان ؟

- لا .. لا ولكن جدتي قالت.. لا اريدك ان تخرج من البيت
اليوم أوتكلم أحدا حتى ينسى الناس الفضيحة ؟
- فضيحة !!

سألتني..ديزي " بصوت متوتر .."
- أي .. فضيحة يا نعمان ؟
- وكيف لم تسمعوا ؟
- ماذا نسمع ؟

" أي.. البارحة في الليل دقوا علينا الباب ومن الشباك رايت
امراه واقفه بالباب فنزلت جدتي وسمعت الامراه تكلم جدتي
وتبكي وتقول ..

" سالم " لا يتركني اشتغل يريدني له بس .. فكيف اعيش
وانا على باب الله !.. وصارت جدتي تتوسل بها وتقول..
"بنتي نزلتي صوتك ترى يمنه جيران" ..أي وكانت الامراه
تلبس "نفنوف" احمر مشرشب مثل ما تلبسه "ساميه
جمال " بالسينما " !

وبعد ان ذهبت المرأة صعدت جدتي لغرفتها فسألتها امي
مستغربه من اين هذه الامراه ؟
فردت جدتي غاضبة ..
- غير من "العمومخانه " !
فصاحت أمي بعصبيه ..

- " شنو هل التخریط.."عمومخانه" من ارسلها الى بيتنا .
اخوك "الترس" لانه يبق علينا غير "الموزينات" !
وانت سألتيني قبل قليل ..مين هاي الريحه اتعط .. طلعت ريحة "
كحباب " أي .. وتالي عمرنا مابقى عليه غير "الاهرات " يخشن
بيت السيد
"ولك عيب .. اسكت .."

" عندما طلعت اليوم من المدرسة اردت الصعود الى غرفتي
فرايت " سالم " واقف يصلي على السجاده قدام الدرج ولم استطع
المرور لانه كان يقول لي دائما حرام تعبر من قدام واحد يصلي
فوضعت جنطتي وقعدت انظر له وما ان راني ساكتا اتفرج عليه
حتى ضحك بصوت عال ورفع النعال يريد ضربني فانهزمت الى
جدتي التي راحت تصيح به ..

بطل صلاتك !! نعمان بطل صلاتك مو؟

و"الراقوصه" متبطل صلاتك.. ولك" كرخنجي" صايرلي
"كواد" ولك لمن تصلي تعال.. فاطبق "خالي" بابنا بقوه وخرج
يسب ويشتم!"!
اسمع يانعمان..

احذر ان تحكي الى " ديزي " مثل هذه الاخبار والا غضبت
عليك وانا لا اريد ان تنقل لنا ما يحدث في بيتكم هل فهمت؟

37

" كاد " خليل الاعمى " ان يموت بالشارع وتسحقه
السيارات ولم يخلصوه الا بالشافعات.."
صاحت " ديزي " غاضبه ..
- واين كنت عنه وقد اعتمدك " خليل " في عبور الطريق..
لابد وانك تلهيت عنه ؟
- لا الله .. أنا لم أعمل شيئا ولكن " خليل " تحارش بي ..
- خليل يتحارش بك !!..
- هو صاح علي..
نعمان.. تعال عبرني شارع الرشيد لأذهب الى الاذاعه
فامسكته من يده فقال مبتسما ..
- نعمان انت ولد سبع.. وتعرف تقرا وتكتب واريدك ان
تكتب لي مكتوبا..؟

- ولمن تريد ان اكتب المكتوب ؟

"ظل خليل ساكتا"

- اقول نعمان .. انت مو تكتب الى " سنيه" كل يوم مكتوب

فماذا تكتب لها ؟

- ولماذا لاتسألها انت ؟

هم هم ..

- اذا لم تخبرني عنم تكتب له " سنيه " ساقول لايبك ان

نعمان صار يكتب مكاتيب للبنات ..اشو سكت ؟

" حاولت ان افك يده من يدي لاهرب ولكنه ظل ممسكا بيدي و

حين وصلنا محل المصور " ارشاك " قال ..

ها .. تريد تنهزم مني.. الم تقل لي انك تريد رؤية

" عزيز علي" .. تعال أوصلني للاذاعه , ؟

- جدتي لاتوافق .

- زين يابه .. شوف لي وين صار "اوتيل الهلال ؟

- أي هنا .. !

"حاولت الهرب مره اخرى الا انه صاح بي .. - وين رايح

والمكتوب ؟

- قلت لك لمن تريد ان اكتبه.؟

- شوف نعمان ..

" عندي وحده اموت عليها ..عيني.. بس هاي.. تتنعوص

ومن تفوت أشم ريحتهه.. يا يا .. وهاي سابيه الدرپونه

وما تحكي ويه كل واحد.. أه .. لوأكمشها كان عضضتها

بسنوني.

صاحت ديزي..

أسكت يكفي هذا ..

ولكن ماري اصرت علي ان استمر "

- وبعد ..

- رجع الاعمى يسألني .

عيني نعمان.. اريدك تودي المكتوب بيدك ..

زين.. بس من هي ..؟

قالت ماري ..
 - لماذا سكت من هي ؟
 - اخاف !!
 - تخاف .. صدقتي فلن نقول لاحد .
 - ولن تضربيني ياست ..؟
 - ومتى ضربتك انا قالت " ديزي "
 "جمعت دفاتري بيدي اريد النهوض "
 - يالله.. قل لنا من هي محبوبة الاعمى ؟
 - اعمى العيون قال.. ها.. اريده الى محبوبتك اللي
 تتنعوص.. " د د .
 وما كدت اسمعه حتى تركته وسط السيارات !!

38

" رايت اليوم تمثالا لضابط انكليزي يركب حصانا ؟"
 - اتعرف من هذا..؟ سألني فانق ..
 - لا ..
 - لك هذا " مود " الذي طرد "الاتراك " وقعد مكانهم .
 - ولكنه مات كما قال المعلم فلماذا لم يأخذه الانكليز
 ويدفنوه في بلادهم مثلما نفعل نحن !
 - هه .. ولك العراق بلاده!!
 - شلون شلون؟
 - اليوم تركوا اليهود في فلسطين ومنعوا الجيش العراقي
 من محاربتهم ..
 - كيف.. وريس " محمد ابو عدنان " مو راح هو و" خليل
 ابن ابراهيم افندي "الى فلسطين ... ايبين اهل بغداد ما
 سمعوا باهل بعقوبه من راحوا الى فلسطين !!
 "مرت سياره مليونه بالطلاب وهم يهتفون "
 "صهيوني كلنا لك سلم..!!"

نزل "فايق" من "البايسكل" وراح يصيح مثلهم.
- أي.. وهذا النشيد اعرفه من بعقوبه!
- وكيف تعرف؟
- الا تسمع هم يريدون ان يذهبوا الى
فلسطين و عندهم سياره..!!

فقال فايق ..

- الانكليز لا يوافقون !
" صاح علينا "بائع شلغم " كان يبيع قرب التمثال "
- ولدي..شويه على كيفكم احكوا..يلله روحوا من هنا
اخاف يضربكم الشرطه بالمسدسات ونبتلي ؟
امشي .. قال فانق ..
- ايبين هذا الرّجال خواف لو سرّي!!
اسرنا عندما وقفت مسلحه والشرطه بيدهم " دونكيات" وخاف
فايق وداس الدراجة حتى وصلنا " سوق الجديد " أي.. ورأينا "
لمه " من الناس يصيحون ..
" ردناك عون ..
طلعتنه فرعون..
يابو لحيت النايلون."*
- فايق ..
منو.. أبو لحية النايلون ؟
أشار فانق.. ألى الحانط وكانت عليه صوره رّجال
"معمم" ما أعرفه " وقال .. وهذا صار بمكان "صالح
جبر" ولكنهم ما يريدونه ..

39

عندما ارتفع الصباح توقف عدد من الباعه والحمالين والاولاد
والنساء يتفرجون فسالني ابو خليل..!
- بابا نعمان.. شكو ؟
- شعبان " تعارك مع " شاوول"

- علويش ..؟
- "شعبان" تبول على دكان "شاؤول" فساله اليهودي
عيني شعبان..ليش اتبول عالقفل زين اشلون أفك
الدكان؟"
وما كاد شاؤول يفتح حلقه حتى تولاه شعبان"
بالراشديات والجلاليق .."
" هيي.. كلب ابن الكلب.. يهودي وتبيع عرك!!! *
فقال ابو خليل..
- والله ياجماعه هذا تعدي من السماء للكاع .. "شعبان"
صايرلي " امامي" وليش منو كل ليله يخوي الرجال وياخذ
" ريع العرك" منه ؟
فقالت ام الباقلاء ..
- واشدعوه انت حامي حمامك . ؟
- زين وهذا الرجال شيسوي ؟
- وماكو . شغل غير يبيع " خره" !!
فقال "ابو خليل" ..
- زين " فطومه" ورجلك "ابو طيور" وين يشتغل
مو"ابماي خانة ججو" لو نسيت .. !
- بس "وهيبين" مضطر..!
- وهاي اييين فتوة " ملا لولاح "
ردت ام الباقلاء ..
- ها.. اييين حضرتك تستهزي بالاسلام..؟
- لايمه ... ومن هنا وغادي راح " شاؤول" يبيع "
سبح و ترب " أحسن..!
فعدادت ام الباقلاء تصيح ..
- "انجب" واسكت .. بس ادافع عن اليهود ؟
رفع "ابو خليل" طرف الحصيره التي كان يقعد عليها في
"العتبه" وهو يدخل الى بيته .."
قائلا .. صلوات .. ولكم صدك لو قالوا " دربونة
الجلبه"!!!

- و اين كنت اليوم ؟
 - رحلت للكاظم !
 - للكاظميه ؟ قالت ديزي .
 - أي .. نعم ..
 " فقد سمعت جدتي تقول لامي ..
 " شوفي.. بنتي ..أيبين " ابو قبقاب " نسي وتأخر ووقد
 يكون جدك "ابو الجوادين " زعل علينا لاننا لم " ننخاه " وحتى
 لا يبقى بخاطره " وكلهم " أهل البيت " بعد عيني " راح أخذ
 نعمان معي حتى نزور جده " الكاظم " ونعتذر منه وراح أتوسل
 جدك واخض الباب وان شاء الله ما يفشلنا !
 " ثم اخذتني جدتي وركبنا باصات "الكاظم" وبس.. شاف الركاب
 منائر الذهب .. هلهمت النسوان.
 - ولك .. نعمان كيف الفت هذا ؟
 - قلت لك.. اتركي المقاطعه ياماري ..
 - وبعد ما نزلنا.. خشينا للحضره ..اي.. وكل شي من الذهب"
 يستطح " والناس قاعدين بالصحن ومن يخشون ايبوسون "
 الكاع" والابواب كله ملطخه بالحنه" وانا اكره رائحتها
 و"الكيام" يلبسون" كشايد حمراء " .. بس اللي في الضريح
 يلبسون " سيديه " حمره وخضره !!
 ومن دخلنا "الصحن" هجم علينا " اهل الكشايد الحمر يصيحون
 " زايره .. عندك نذر.. " طلي .. فلوسرايه .. قفل .. علك ..
 شموع" !
 وظلوا يتدافعون ويتعاركون وكل واحد يجربنا ويصيح "انتم
 يمي .. لا يمي .."
 وكانت جدتي تفوج وسطهم وتتدافع معهم " خلونا نزور أولاً" .
 وبين الهرجه والصياح ..صاحت جدتي
 - يئله .. بوس الشباك وادعو من جدك ..

- وماذا .. دعوت يا نعمان ؟.

- ماري ..؟

- أي ..مو ارید اعرف یا ديزي ؟

و هزت جدي الباب وهي تبكي ..

" جيتك يا "أبو الجوادين" وما أريدك ترجعني خايبه

وتشمت بيه العدوان .. جيت اريدك ترجع "محمد سعيد" لوظيفته
براس الشهر والمره الجايه أجيب لك " ظلي هالعرض ليته " اجره
بيدي "*"

وعندما خرجنا من "الصحن" اشترت لي جدي "ساهون قم "

وتغدينا " كباب الكاظم" !

وقعدت جدي على طرف من بوابة الحضرة وغطت نفسها بالعبايه
لتشرب سجاره فسالتها ..

- اقول جدي واللي بالحضرة كلهم عندهم شغل مع جدي؟

- أي ..نعمان .. ومو. بس هذوله وكل العطاله

- وجدي " الكاظم " .. ماذا يشتغل ؟

- ولك " اهل الله" ما يشتغلون" بعد عيني" بس قاعدين

للمحتاجين وأنت ما شفت المرضى والعميان والمكسرين واللي

ايريد أيشوف ويمشي واللي تريد ولد والحرمة الماعنده والي ..

كلهم جايين أيريدون حاجتهم منه .. أي .. وهسه راح اتشوف جدك
شلون يرجع ابوك للشرطه!

- بس .. انا سمعت عمي " عبد القادر" يقول لابي" ..

"أبو نعمان" .. أشوف لو الحكومه تعزل وتبطل الاطباء

والشرطه وتسد المدارس والمستشفيات مو أحسن مادام

"الألانه" يحلون كل شي... وقال .. والجماعه ...

- " أش أش .. ولك لتكفر .. استغفر الله !" -

بس .. عمي .. هم يصلي ويروح للجامع فصارت جدي

عصبيه".

- شوف نعمان و دير بالك مو تسمع منا ومنا وتروح تحكي

تري الله أيدبك بالنار ويسقطك بالامتحان ويخليك مثل عمك دايع ..

ومن وصلنا " الجعيفر " تعبت جدتي فركبنا " بلم " عبرنا الى
جامع " سيد سلطان علي" وكانت امي تنتظرنا ..
- ها .. يوم بشري ؟
- وهالمره خلاص وداعتك " بست " الضريح وهزرته
بيدي " واعذرت من جدك وبكيت ولزمتي العبره وحتى
" الكيام " جروا صلوات "
وقالوا أبشري وانتظري كم يوم وراح تشوفين
" وبكت امي وولولت هم أنتظر ؟ "
فقالت جدتي لها ..
- بنتي .. اعرف انك انتظرت هوايه فانتظري .. سته أيام
مو اكثر انشاء الله !!
" قلبت جدتي جييها واخرجت ما فيه "
- شوفي .. هذا " الملبس مال مراد " فاقرائني الفاتحه
و" جري صلوات " على نبينا واهله المعصومين
واعذريني لانني وزعت الفلوس على روح جدك ولم يبق في جيبي
غير " عشرة فلوس " اعطيتها " كروه " لابوالبلم بالمره الجايه ان
شاء الله ومن يصير المراد ساشترى للاولاد !!

41

"دود دود .. مال يهود " ..*
دود دود مال يهود !
" اطبقت ديزي الشباك عندما سمعت ضجة الاولاد ماذا يقول
الاولاد ؟
- هم يصيحون على كل من يحمل اغراضا اشتراها من
اليهود
- وكيف يعرفون ذلك ؟
- لادري ياست ولكنني سمعت " ابو خليل " يكلم " يكلم
ام الكركري " ويقول ..

" الزعاطيط صاروا يشعرون بالوطنية ويعيبون على من يشتري
اغراض اليهود ..
قالت بدرية ..

- بس.. ابو خليل .. اليهود يبيعون برضاهم " كنتاجير
وقنفات وبنكات " قبل الذهاب الى فلسطين ..

- ومن يقول ان اليهود يريدون الرواح الى فلسطين اكو
واحد يترك حلاله وماله ويروح.. ماما.. الحكومه تريدهم
يطلعون بالكوه ونحن مو ويه الحكومه وبينه وبين اليهود
ملح وزاد والينكر " نغل "

- شوف " ابو خليل " لتصير براسي مفتي وتدافع
عنهم.. البيع والشراء ما بي مستحاه فانا لا لا يمكنني شراء ماكنة
خياطه وقد سمعت ان " ام مايير " تريد بيع ماكنتها بثلاثة دنانير
واريدها انا بنصف دينار

- مكينة سنكر.. بنصف دينار.. خلي الله بين عيونك !!
- شوف ..خلي الحرام عندك ..المكينه بنصف دينار وشوف
اشلون اخذه بربع دينار ..
- شلون ؟

- سامنع كل واحد يوصل لها وراح اخلي المكينه تنام على
قلبها .. وانتظر .. زين مني اريدها بالحلال و "ملا لولاح " يقول
واليهود "بوكتهم" حلال..!!
- لا حول ولا قوة الا بالله .. يا عالم هذا مو اسلام ولا انصاف!!

42

- اول البارحة سالني " فائق " متى يرجع عمي للشرطه ؟
- بعد خمسة ايام !!

" دق فائق جرس دراجته متعجبا .. "
اشلون شلون ؟

- أي .. مو من البارحة راح يوم وبقت خمسة ايام ؟

- يابه وانت شلون تعرف ؟
 - أي..مو..جدتي..اخذتني للكاظم وأبوقبقاب وقالت لامي .. بس
 انتظري سته ايام !!
 - لا خوش حكي..نعمان.. عمي شغله مع "الباشا " مو
 شغله ويه "الائمه " ولايريد غير الذين يريدهم الانكليز وراح
 تشوف ؟
 - وبعد..
 - رحنا الى " الجعيفر " وبيت عمي بالدرابين فقال فانق..
 انت مو تعرف تقرا ..زين.. أقرأ المكتوب على الحائط ..
 "اب او بو .. ار بر .. ات .. برت .."
 وما عرفت أقرأ.. صعبه.. ياست وما اعطوها لنا بالمدرسه ..
 " كانت على "الميز " جريده مفتوحه ومكتوبه باللون الاحمر "
 - أي .. ست .. مثل هذه !!
 وبصوت هادي سمعت ديزي تقرا ..
 " تسقط .. بورتسموث "
 "عندما رجعت الى بيتنا شعرت بالحزن لان "البلم والشراع "
 صارا بعيدان !!

43

"تفاجأت ديزي وهي تراني احمل صورا وكتبا ولكنها
 حين قلبت الاوراق بدا على وجهها الاضطراب فقالت ..
 - هذه مطبوعات السفاره الامريكية فكيف وصلت اليك
 واين كنت ؟
 - اليوم عطلوا مدرستنا وعندما كنا نخرج منها وصلت
 مظاهرة والطلاب يهتفون ويصيحون..يسقط .. يعيش ويحملون
 رايات مكتوبه فذهبنا معهم وصاروا يضربون الشرطة بالطابوق
 حتى هزموهم ثم هجموا على مكتبة كبيرة وراحوا يحرقونها
 ورحت اللقط من النار بعض الكتب لك لانك تحبين القراءه حتى

سمعت طلقات كثيره وراح الناس يركضون ولكن الطلاب ظلوا
يصيحون يسقط .. وكنت اصيح معهم ..

44

قال ابو خليل..

- وعينك لا شافت " يا ام رحومي " فالطلاب لعبوا بالشرطه اللي
انهزمت " طوبه " وحتى " قحفية " شرطي ظلوا يدوسونها
بالقتادر ثم هجموا علي مكتبه الانكليز وحرقوا الاوراق والكتب ..
- زين.. ابو خليل وشلون ما صار فرهود ؟
" عرب وين وطنبوره وين "
اقول الطلاب يريدون عزل الوزاره .. تقولين فرهود !! *

45

- تعال اكل ؟
- تغديت .
- واين تغديت في بيت النصارى !!
ولك "ابوالدروب" الا تستحي من الاكل في غير بيتك ؟
- لا والله.. ست ديزي هي التي صاحت علي.
- وماذا اكلت ؟
- مقلوبه ؟ *
- وبعد .. لحم ما اكلت؟
- أي .. لحم مشوي وبيض و"مقارنه" *
- عال .. تعالي يا ساره.. ابنك ماكل لحم خنزير ولك مو
هذا حرام ابدينه ..ولج تعالي شوفي ؟
ابن السيد " منين ميميل يغرف..خاله " ابو جناجل " واين
عمه " ابو الحيايه " ولك شلون !
- ماما.. والله لحم " هوش " وكل مره تضحك ماري
عندما اكل معهم وتقول لتخاف ترى مو خنزير! *

قالت أمي لجدتي..
" غلط يا امي ان تحكين معه بهذا الشكل وتسألينه مثل
هذه الاسئله وأنت تعرفين " ست ديزي وماري " كيف
يحبونه ويحبهم والناس يعرفون الحلال والحرام اكثر من
عندنا .

46

قالت " ديزي " ..
- اتعتقدين ان ما يقوله نعمان صحيحا يا ماري ..؟
- ولم لا.. فهو كما تعرفين لا يكذب ويتكلم على طبيعته
وحين يروي لنا كل يوم حكاية لا يريد الا شخصا يسمعه لو
أهله كما تسمعين لهم مشاكلهم وهمومهم .
"التفتت ماري لي مبتسمة "

47

- لماذا تنظر الى السقف يا نعمان ؟
- هل عندكم جن مثلنا ..
- واين الجن يا نعمان ؟
- انتم مثل بيتنا هم يرقصون الان فوق السقف ..
ضحكت ديزي ..
- ابني جوز من الخرافات ..فالبيت عتيق والفيران في كل
مكان ...

48

يمه " ساره " خليها " صنطه " ايبيين " الائمة " تعبوا
منا وتعالى اكل لك شيبى وهاي اخر مره .. ماكو المكينه ...
فصاحت امي ..

- مكينه "السنكر"!

- أي بنتي ..

" شوفي هذا "مدير العام" حرامي وما يعرف دين ولا مله
ومستعد ان يفعل أي شي قدام الفلوس.. واشوف نرهن المكينه
بخمسين دينار ونعطيها له وهذا مخلص الحجي ..
فارتفع صوت امي مولولا..

- والاطفال من يخيظ لهم الثياب ولم يبق عندنا من شيء
ومن تطلع المكينه من البيت راح تطلع روي وياها ..؟
- لا يا بنتي ..الله كريم وان شاء الله يعوضك احسن منها..
ماذا قلت و"حجيه صبيحه" تعرف "مرت مدير العام"
وهي " كظماويه" ومن عائله اجاويد خليه يا ساره نجرب
حظنا هذه المره والله كفيل وقد حلفت "الحجيه" وابو
الجوادين" ما سلم الخمسين دينار الا وأخذ امر "السيد"
بيدي ..

"استمرت امي تبكي وحدها وتقول و"محمد سعيد" راح " يطق
من القهر" لو سمع بالمكينه "

49

"والبارحه اخذوا "المكينه" وامي تبكي وبكينا مع امي..
أقول واذا جاء العيد يا "ماري" فمن يخيظ لي " البنطرون"
ويفصل الي " بسمه" " النفانيف؟
"بكت ماري وهي تغغم .."
حبيبي نعمان" لا تشغل بالك بالهدوم .. انا ساخيظ لكم
الهدوم بس.. اريدك ان لا تحكي شيئا و ستأخذك "ديزي" للعيد..!
"دخلت ديزي وماري" تبكي..
- تعالي "ديزي" اسمعي ..
وما كدت اتكلم حتى تركت "ديزي" غرفتها وهي تمسح
دموعها..

نعمان... هذه المره ستروح معي الى العيد فماذا تريد للعيد؟

- أريد !!

"راح العيد هذه المره ونحن بالبيت نبكي ونصيح ماكو"
عيد في بغداد " بس ..سيارات تروح وتجي وفي بعقوبه
" دواليب الهواء والمراجيح والزمايل والعرباين كلها
بالعيد وكنا نلعب ونشتري!

قالت ديزي ..

- واذا اخذتك أنا للعيد و"المراجيح " والشموع
والعربات بس.. عيدنا ليس فيه حمير للركوب..بل خيول من
خشب !

- يعني مثل الحصان المعروض في مخزن " دنيا " صدق؟
- انا لا اكذب عليك ..

- ولكن عيدنا.. يصير في الصيف فكيف يكون عيدكم
بالشئاء ؟

- قلت لي ان " قره تو" كانت فيها ثلوج واشجار وخيول
تركبها .."

- نعم .. نعم !!

- وعيدنا فيه ثلوج واجراس وشموع واغاني وحلويات ..!
- ومتى يصيرالعيد ؟

- سيكون قبل العطلة الربيعيه .

- والمطر والبرد ياست .. اخاف ان نتبلل!

- عيدنا يانعمان سيكون في القاعه !

- وما هي القاعه ياست ديزي ؟

- اتذكر يوم ذهبت معي الى "مدرسة شماس" وقعدنا على
الكراسي ؟

- ا ا .. و اردت ان اسجل فيها ولعبنا وكان الطلاب يقرأون
نشيدا ليس مثل نشيدنا في المدرسه .

وماذا تريد في العيد ؟

- تقول امي .. عيب أن تاخذ شي او تطلب لانني ساعمل لكم
"كيك وحلاوه" واشتري لك حامض حلو.. بس.. انا اريد

العـب

- الا تريد هديه حلوه مني ؟

- اذا قبلت امي ..!!

- والان قل لي ماذا تريد الم يتمنى الولد من "العفريت

الممبار" مثلما قال " هوبي "

- أي..

- أنا وماري وانت سنذهب الى " بابا نونيل" !

- ومن هو بابا نونيل ..؟

- "مام شمدين" الم تحدثني عنه ..لا.. لاتصرخ " بابا

نونيل" هو "مام شمدين" وسيعطيك ما تريد ؟

- واين سيربط "مام شمدين" حماره ؟

- لن يستطع "شمدين" ان ياتي بالحمار لسقوط الثلج في

"قره تو" وسترى " شمدين" يلبس ثوب احمر او على راسه

"عنطوط" ويبيده جرس و يحمل الالعب والحلويات في كيس على

ظهره فماذا تتمنى !

" اغمضت عيني.. سمعت موسيقى حلوه واسمهان تغني .. "

- يالله يالله.. قل لي ؟

- اريد " البلم الاصفر ابو الشراع .."

- طيب سيعطيك "بابا نويل" " مام شمدين " البلم

والشراع ..

- وماذا يريد اخوانك في العيد ؟

- "غزوان" .. يحب الطبل و"عبدالله وسنان" يحبون

النستله والبسكت و"بسمه" تريد لعابه" تعمض وتفتح.."

"عادت ديزي تضحك .. "

صاحت جدتي عندما راتني واقفا في " التخبوش " ..
 - ولك وين رايح .. تريد تتخبل ..
 "كان الفانوس الذي حملته معي كان قد اضاء طرفا من المكان
 فرايت " كونية " زحزحتها من مكانها وجرتها الى الحوش"
 وجدتي وامي تصيحان ..
 " ولك هاي "كونيه" مليانه جن "
 وما كدت اقلبها حتى طقطقت " شيش فارغه " ..
 صاحت جدتي ..
 - بي .. تعالي "ساره" شوفي " العفاريت ؟
 ولج.. من هذا يقول " ابو جناجل " "التخبوش" مليون جن
 وشياطين .. طلوعوا الجن " بطولة عرك " أزقنبها " سالم "
 ويه ابن عمه بالسرداب حتى محد يخش ويشوفه ..
 " ما ان راتها امي حتى صاحت " ..
 "ولك نعمان اركض وصيح "ابوخضوري" حتى يشوف
 هاي "بطالة "عرك" لو"مي ورد" ؟

واليوم شفت "ابو خليل " يصيح..
 - ولج بدريه .. راحوا يطيرون السيد ؟
 - وش حصلنا من " السيد " اشو هو مثل "حجارة سيد
 مبارك لا يضر ولا ينفع " * ورجع ذاك الطاس وذاك الحمام
 ورجعوا الجماعه يفرهدون والنوبه يابوخليل منين يفرهدون ؟ من
 عدنه احنه الفقره " بعد ما خلصوا من اليهود..خطيه.. فرهدوهم
 وهجهجوهم ثم رجعوا عليه !!
 - به به .. قال ابوخليل..

- أي . وهسه اليهود خطيه ! اييين "بدريه" نسيت شلون
كنت تصيحين وتقولين هذوله بوكتهم حلال !!
- مو أني يا ابوخليل .. كل هذا من " ملا لولاح " وتدري
اشطلع ؟ لزموا يهّرب يهود و"لنكات وجاي" الى ايران
وظلعت عنده فلوس يابو فلوس..
شفت بالله وكان كل يوم مضعوف البخت تارس اذانه
بالحرام واليهود .. وبعد ميفيد الندم !
- ولج.. بدريه ..صدق هل الحجي ؟
- وداعتك ابو خليل ..كله صدق وتريد اتشوف " لولاح
"هسه حضرته نايم جوه القفل بالكمرك والشرطه راح
اتسفره بعد الحبس الى ايران !!
قال ابو خليل ..
- أي .. صدق لو قالوا..احنا العراقيين " اهل البيعتين "
منصير اوادم .. نذبح الناس ونلطم عليهم ؟!"*

52

لم نكد ندخل البيت حتى صاحت جدتي بنا..
- ولكم .. هاي.. وين من الصبح ؟
- بيبي" رحنا " الحمام المالح " !
- شوف " فايق " ولك انت مو تلعب بالولد بكيفك تعال
احكي وين ؟
- " بيبي "هو" نعمان " قال.. اعرف مكان "مارسيل"
وقبل ما نوصلنا " الشورجه " راينا باص الامانه " بيين
من بعيد " فنزلنا يم " سوق الصفاير أبواب الاغا " ..
وقال نعمان وبعد ما ننزل الدرج تكون "مارسيل" بصف
المطبعه وكانت جدتي تفعد تشرب سجاتها وانا اتفرج
على المطبعه ..
- ولك وين رحتوا ..؟

"باب الاغا" والمحله كبيره ومن مشينا ضعنا بالدرابين
وبين "العرباين والحماميل والعلوي وكلهه متروسه "حبال وتتك
جيه وزمايل " ولاكو طابعه ولاكو "مارسيل" أي .. ونعمان
يصيح .. أي هنا .. لاهناك .. أي.. اندلثت ..والله يا بيبي تكسرت
رجلينا من المشي وماكو شي وخطيه نعمان قعد يبكي
ويصيح..اريد اشوفهه وبس اتشوفني تعرفني!
اي .. ويم " صبايغ الال" شافنه رجال فقال "ايبين الولد ضايعين
بابا وين تريدون ؟

- عمي.. نعمان يدور على "مارسيل" ..!
- ومنو .. "مارسيل" ؟
- قال نعمان "مارسيل" انت متعرفها وهي بالمستشفى
وستوت عيوني...
- " سستر" .. مو..؟ وشنو هاي مسلمه سالنا الرجال."
- يهوديه !
فصاح الرجال بي ولك اتريد تقتل الولد .. امشوا ارجعوا
لبوتكم " يابه اليهود راحوا الفلسطينيين وما بقى يهود هنا "
ونعمان يا بيبي.. بقى يبحث برجليه بالكاع ويصيح ..
- ما .. ما..هي قالت ..اني ما اروح ومتى ما تجي
اتشوفني."
" لا حول ولا قوة الا بالله قال الرجال.. وجرنا بالقوه.. أشو يالله ..
قدامي !"
وقال نعمان.. أي.. وكنت انزل من الامانه هي هنا هنا ؟
- وبعدين ؟
- وبعدين سأل باع الركي " الرجال .. " شنو الولد ضايعين
" فقال الرجال..لا يابه هذوله ايدورون على "سستر" وراح
الرجال يحكي مع " ابو الركي" ..الذي سألته وهذوله ايهود ؟
- لا يابه هذوله اسلام !
فصاح " ابو الركي" بصوت عال ..
"ويقولون ماكو وفه بها الوكت شوفوا يا عالم" الزغار"
يسألون على يهوديه . الله واكبر. !

ثم التفت لنا وقال.. بابه .. اييين انتو عطشانين ؟
" وكسر ركيه واعطانا "شيفين ركي" .
- واكلتوا ؟

- أي بيبي والدرب كله ونعمان بيكي ويصيح اشلون ..
راحت !!

" لاحول ولاقوه الا بالله .. هذا الولد مصيبه .. ولك .. من
ذَكَرَكَ بيها ."

53

في الليل.. تعاركت جدتي مع خالي وقالت له..

- ولك .. عيب تباوع عالجيران !
و" سالم " مثل ما تقول أمي.. "عينه مالحة" يدخل غرفته
ويسد الباب ويقول عندي شغل.. طلع ما عنده شغل بس
يتفرج على الجيران..
ومره رأته امي ينظر على بيت " ام يائيل" وتعاركت
معه..

وقالت له.. ولك ليش ما تستحي تتفرج على اعراض
الناس ..

- قال سالم ..اي.. وهذوله يهود وانت شيهمك ..؟
- ولك .. والعرض يعرف يهودي لو نصراني لو مسلم ..
هيي غيره سز" .

والبارحة كانت امي طالعه فرأته جدتي قاعدا يتفرج من
وراء الشناشيل فضربتة بالمهفه وصاحت به ..
- ولك.. وهسه تباوع على المستورات "كرخنجي" !! *
وصارت عيطه بالبيت أتعرفين ماذا قال ؟
- أي.. وشكو بيها اريد اشوف وحده واتزوجها ؟
" عيبت جدتي عليه" هييه . "يتزوجها"
قالت ماري ..

- وعلى من كان ينظر خالك ؟
- ها .. ما ادري !
- لا تدري لم لا تقول ؟
- اخاف تسمعي "ست ديزي" ..
- وما علاقة "ديزي" بذلك ؟ ..
- أي .. مو مو ..
- عجيب لماذا لا تقول ؟
- ها .. مو هو يتفرج عليكم من تقعدون بالحوش ..
- تكذب !
- لا.. والله هو من يشوف " ست ديزي " تروح للمدرسه
- يفتل شواريه ويصيح مثل الهر..
- همم.. اويلي .. على هالرجلين أي شنو شمع غسل .. أي ..
- هاي ليش قاعده و متريد تتزوج !!
- قالت جدتي له ..
- "اكل شكر " ولك هذوله مثل اخواتك ..
- قالت ماري ..
- " عيب نعمان تقول مثل هذه الكلمات "
- أي .. نعم.. ثم قال لجدتي اريد اتزوجها على سنة الله
- ورسوله ..
- ولك هاي نصرانيه !!
- وشكو بيهه ..تصير مسلمه لوبكيفهه !
- و"الساده والعلام والعشيره "اش راح يسوون ولك
- صير آدمي.. شلون تحكي على "مريم العذره " ولك والله
- لو سمع نعمان راح يوصل لها الحكي وبعد وين تولي
- وجهك منهه ؟
- قال ..
- غير املص رقبتة ..
- "صفرت ماري ضاحكه عندما دخلت "ديزي" وقد ظهر التعب
- على وجهها ..
- ولك " ديزي "يا بختك تعاي اسمعي . !

طوط طوط ..

- وها المره " شكو " من " الصباحيات يا فتاح يا رزاق ..
قال الشرطي ؟

قال " ابو خليل " وقد امسك سدارته بيده ..
" أبواسماعيل " لا.. ماكو شي .. بس.. مولانا"
ابو الطليان " شاف " شاؤول " يصب مي حار على
" الجردي " فثارت غيرته فضربه ..
فالتفت الشرطي قاتلا ..

- زين.. وين راح " ابو السوابق " أيبين " خميس "
صاير " مومن " ها الايام "
- " ابو اسماعين " لتتعب نفسك تره كلهم صاروا مثله !
" توقفت " أم جبوري " بعد ان وضعت " العلاكة " على الدرج
" وسالت " ابو خليل " ..

- وهذوله " الجردييه منو أودم لو ملائكه " .. ولكم
ياناس شنو اللي صار بيكم.. ما بيكم عاقل؟
- اليهود خبلوهم يا " ام جبوري " .
فلعل صوت " ام خليل " من السطح ..
- بس.. عاد " ابو خليل " لتخلي على النار حطب!
فقال " ابو خليل " وهو يهز يده ..
صدك لو قالوا " عراقيين " منصير " أودم "

- من هذا " النصراني " الذي دخل بيتنا؟ تعالوا تفرجوا..
" هدوم والوان وحلوى وملاعيب " .. من جئت بها ؟ قالت امي ..

"ما ان راى غزوان و عبدالله وبسمه النسئله الئى ءنئ بهاء لهم
ءئى هءموا عليها " وهم ىئصايءون فرءين "

- ماما .. هءه هءايا " ءيزي " ..

لءء اءءئني و ماري بالسيارة الى ءءيقة ءلوة كانت فيها
اشءار ءبيرة ملئئة بالاءراس والصور والشموع و رايت مام "
شمءين " و كانت له لءية مئل الئلء و ءء لبس " شروال " اءمر
اللون و وءع على راسة " ءلاو " طويل و بيءه ءرس ..
فءالت له " ءيزي " هءا صءيقء نعمان .. سلم عليه ..

ءلت " هبي ءرسمس .. " مئلما علمئني ءيزي "

فهز " مام شمءين " الءرس و ابئسم ..

" هلو نعمان ميري ءرسمس " .

ئم مء يءه في ءيس ءبير و اعطاني هءايا ءئيرة ..

" ما ان فءءء اءبرها ءئى لءيت " البلم والشراع " ولم اصءق من
فرءئي و رءء مع الاولاء و البناء نلعب بالسيارات و المراءىء
و كانت عنءهم " ءيول " ءئيره من الءشب و اللاسئيك .. ءصء
و ئنزل و ءمشي و الءءيقة ملئائه شراشيب و اضويه و " نفاءاء
و موسيقى و كانت النساء و الرجال يرقصون ..

ءلت لءيزي .. لءاءا لا ءرقصين مئلهم .. ؟

- المئزوءاء يرقص مع ازوءاهم !

- ولءاءا لا ئنزوءىن انء ؟

" ابئسمئ ءيزي

- اءريد ان ئنزوءنى .. لءاءا سءء ..

- لائنئ ساءزوء " مارسيل "

56

" سمءء صوت ءءسر ءئاني و اءشاب و رايت مءموءه
من عمال البناء و " الفئيريه " و " بانءاء الروبة " ءء ءءمءوا
عبر شارع " نءيب باشا " الا انهم انهزموا عنءما و صلئ الشرطه ..

سألتني " ماري ماذا حدث ؟

- لقد هجم "عزاوي وشعبان" على محل "ابوحسقييل" ونهبوا " ابطاله العرك "وكسروا الرفوف و"الجام" و"اليهودي " بيكي ويقول ..

- ابدالك..ليش تريدون تهجهجوني من الدكان !
موحرام عليكم .. أي .. ومن شاف الواقفين ما فعله شعبان اشتغلوا بالفرهود وحتى "ابوالشاي " كان وياهم .. بس ابو"عروك الطاوه " وقف وراح يضربهم "بوكسات " ويصيح بهم ولكم متخافون الله ...
- وماذا فعلت ؟

"رحت اساعد ابو حسقييل واكنس معه الجام الذي ملا الارض"

57

" دخلت "ديزي " البيت وقد تلطخ ثوبها الازرق بالتراب والطين والفحم وهي تتأفف متضجرة ..
- لقد سدت الشرطة الطريق لمنع الطلاب من العبور فاضطررنا للجوء الى خان ابيع "حبوب الماء والتنك والاباريق " وكل شيء في المكان وسخ لدرجة الرعب وحتى وجوه العمال مفزعة وكأنهم لا ينتمون الى هذا العالم ..
- وكيف دخلتم ولم تخافوا ان يعتدون عليكم.. قالت ماري ..

- كانوا خجلون يا ماري منا .. ولا يعرفون كيف يخدموننا.. وعلى الارض حصران لايعرف لونها من القذارة فرشوها خجلا لنقعد عليها لانهم لا يملكون غيرها وقد تركوا أعمالهم وظلوا يحيطون بنا خوفا من دخول الشرطة!!..

كنت " انا وسانان " نقف عند عتبة البيت عندما وقفت
 مسلحة مملوءة بافراد الشرطة في راس الدربونه فانهزم
 بعض الواقفين في الطريق ووقف " ابو خليل وام
 الكركري " بينما اطلت نساء المحله من وراء البردات
 ينظرن خائفات وفجأة رايت ابي ينزل من المسلحة بثيابه
 العسكرية فتصايحنا..بابا .. بابا؟!
 وارتفعت من بيتنا الهلاهل وظل بابنا مفتوح ونحن يوزع السيوفون
 والشربت على المهنيين

سمعت ابي يقول لامي ..
 لقد صدر امر تعييني في السليمانية وسابقى في بغداد حتى نهاية
 الشهر لاتمام بعض الامور وحتى ينتهي نعمان من العطلة الربيعية
 واتمنى ان اتمكن من فك الديون التي بدمتي .. وسارسل عليكم الى
 هناك ..

" واليوم رجع "حمه" الى بيتنا قائلًا ..
 " منم ناروم تو ما لي " مديحه خان " ..
 صاحت ماري ضاحكه ..
 - ولك نعمان.. يظهر رجعت تحن للاكراد .
 - أي .. مو.. حمه.. ما يقبل بعد ان يرجع الى بيت " مديحه
 لانهم " لم يدفعوا له منذ سنة فلوسه ليرسلها الى امه ..
 وقالوا له.. من سنه نطبخ لك الاكل ونعطيك الهدوم وتنام"
 أبلش " عندنا وهسه تريد فلوس حتى تنهزم !

ست.. و"بيت مديحه"لم يقبلوا ان يرجع حمه الينا وقالوا
واذا ما قعدت راحه فاننا سنخاير الشرطه حتى يرجعوك
الى ايران
وانت ما تعرفين حمه .. هو اخويه وهو كردي واش جابه
على العجم ؟
بس ..انا فرحان لان بابا رجع للشرطه ولن تقدر مديحه
ان تمنع حمه من الرجوع الى بيتنا.

61

- ومن سيركب باللوري سألني فايق " "
- اللوري راح يصعد " جبل حميرين " وهناك " سلابه "
في " أنجانه " كما قال عمي " عبد القادر " وسينتظر اللوري
المسلحات حتى يصلون به الى " كركوك "
- ومتى تسافرون ؟
- عندما يفرغ بيت مدير الشرطه .

62

- أنت فرحان.. تتركني وتذهب للسليمانيه ؟
سألتي ديزي .
- لا.. ست .. امي تقول أنت معلمه وبعد العطله
الربيعية ناخذك معنا وتبقين عندنا.
- تعالي ماري.. اسمعي يريد نعمان ان ياخذنا معه
الى الاكراد ..!
"ابتسمت ديزي "
- وماري ؟
- ومن يبقى في بيتكم .. اخاف ينهبون البيت ..
"صاحت ماري ضاحكه .."
- أي .. هم هذا بختي.. بس علي الحراسه !

شناء اللقالق
السليمانيه

- 4 -

شناء اللقالق
السليمانيه
- 4 -

1

تتك تتك .. تتك تتك

طووو .. طووو ..

قالت أمي... والقطار يتحرك بنا ليلا الى "كركوك"..
من البارحة والاولاد لم يناموا فهم مثل القطط الصغيره يدبكون
على الفراش ويصيحون كالعصافير من الفرح بعد أن ظلوا سجناء
مثلنا في البيت الانعمان!!
" أتستمت "

"لم يسكت اخوتي ولم تفد معهم صيحات "خالي" فظلوا يتبادلون
الصياح فرحين..

" ابكتني " ديزي وماري " !!
تعلفت كل منهما بي وانا مستمر بالبكاء ولا اريد ان اترك
يديهما وصوتهما يتلاشى...
"ليست "السليمانية" بعيدة يانعمان لاننا سنراك من قريب .
لحظتها تمنيت ان تتغير الاشياء فنبقى...!
وقد ملاني شعور قديم بان كل الوعود التي قيلت لي ماهي الا
امنيات بلا نهايات .

2

اشار " عبد الرحمن " من نافذة القطار الى الجسر الحديدي
يقطع بساتين " نهر ديالى " ويتداخل ورؤوس النخيل ..
هذه بعقوبه ..!
"شهقت امي ثم سكتت"!!

كان شعورا بالامل والذكرى والالام عندم تسربت رائحة
النخيل والدفلى والسوس والتراب والكالبتوس والتوت البري ..
بعقوبة التي احببتها بالامس الا ان ذلك الشعور قد اطفأ
الاستمرار..

" الظلام يغطي ممرات المحطة وسطلات الماء الحمراء كما تركتها
قبل سنوات ..!"

أمتلات نفسي برغبة لاسترجاع الايام التي عشت سنواتها الجميلة
والرغبة بالنزول من القطار والمشي حتى " ماكنه الماء " التي
طالما اوقفتني وحلمت بالسباحة في حوضها الصغير .
تخيلت الطريق الموحش الى " ابو دريس " والعربات الغائصة
بالتراب ايام العيد .

" كرومي " هو اول من رايته فتاملت وجهه النحيف وبنطاله
الكالح اللون و بسمته الخجول...

الا ان كريم ظل صامتا كما بقيت انا فلم اساله عن ابراهيم أو
رشيد ولا حتى عن هوبي وسمير وعبد الودود ..

سمعت طرطبة حنفيات الماء التي كنا كلما وصلنا المحطة نراها
مفتوحة و المسافرين يغسلون ايديهم للوضوء وقد تبللت ثيابهم
من الماء . بينما افترش غيرهم ارضية المحطة وبادوا يصلون
" من المحطة ارتفعت رائحة الشواء واصوات الباعة ...

ثم ار من " خريسان " غير نهر صغير يحوطه السوس واوراد
الدفلى .. نهر خابط اللون راكد ومن الظلام تصاعد نداء السواق
الغليظ ..

باغداد .. باغداد.. !

3

سالتني امي ؟

أنت لم تسأل " كريم " عن " القيصريه " ولا عن اصدقائك ؟

"في صمت .. فكرت بالايام التي مرت.. انتحار خالي"
يونس" وصوت البكاء والاتي ونهر خريسان وقت الظهره وكان
اكثر ما بقى في ذاكرتي السابحون في النهر وصوت " هوبي" يرد
على "كريكر" طار "!! صوت لا يمكن نسيانه ابدأ ...

اما الشيء العذب الذي لم يذهب .. صوت " الواويه" يتصاعد في
صوت حزين قادما من الظلام والبساتين... *

واووو واووو

" لقد نسيت بعقوبه التي اعرفها و تغيرت فلم تعد مثلما كانت ..!"

4

- هيه ...

فتحت عيني على ضوء شمس دافئة واصابع "امي"
الباردة تمس شعري وقد تهدل شعرها الاسود على
وجهي.. ارتعشت عندما قبلتني ضاحكة.. شيء جميل نسيته من
سنوات !!

ارتفعت اصوات "غزوان وعبد الله وسنان والصقت" بسمه "
شفتيها بالنافذه حائره ..

كان "المشط الخشبي" يسرح شعر امي الجميل.. شممت
رائحتها كأني لم اشمها منذ وقت طويل تلمست شعرها المبلل .. !

- الا تسمعهم يصيحون . ؟

"داعبتني امي والقطار يمشي فمد خالي يده الى البطانيه
التي التفقت بها.. ..

- نعمان لا يريد مشاركة اخوانه.. هو حزين على فراق
بغداد..

عاد صوت امي ..

نعمان لم يصدق أن تكون انت معنا فقد سالني البارحة
اصحيح ان خالي "عبد الرحمن" سيبقى- معنا ؟ "

لقد ابتعدت عنا كثيرا يا عبد الرحمن وما نتمناه ان تبقى
معنا ؟
- حتى انت لم تصدقي بعد .. واليوم خلصت اوراق نقلي و
الكتاب في جيبى !!
" اخرج بعض الاوراق ولوح بها الى امي "
- هل سمعت يا نعمان.. ان خالك سيبقى معنا
ولن يرجع الى بعقوبه ..

5

الله .. الله !!
" ظهرت مئات الطيور الملونة الاشكال والعصافير
تتسابق بالنزول على أعمدة التلفونات , ترفرف باجنحتها السوداء
والبيضاء , اشكال غريبه من النسور والحمام والزرزير وعلى
امتداد الارض انتشرت مساحلت كبيره. من المياه الوردية والتلال
الصخرية .
مرت محطات كثيره .. غريبة الاسماء..
"افتخار .. علي سراي .. سليمان بك . كفري "
قباب صغيره من الجص .. اسيجه مصبوغة بلون ابيض من الخشب
امتلات بالاس والاوراد نامت قريبا ثلاثه او اربعة بيوت
خشبيه..
تمنيت ان يكون لنا بيت مثلها .. ننام على سطوحها فتمر القطارات
تصفر ذلك الصغير الجميل!

6

"غرقت فجأة بالحزن فعدت اراجع مع الايام
متى رايت العالم ؟ "

"تذكرت جدتي و نحن نمضي بين "جبال حميرين " اما اليوم فانا
وحدتي مع أمي وخالتي واخوتي ولكن جدتي لم تكن معنا .."
اسرع حمه يلبس " الشر وال يضع الكلاو المزركش على راسه
ويلف البشتين على وسطه*.

- ماما "حمه" لبس كردي ..؟

ضحكت امي ..

- لم يبق.. الا ان ترطن انت وحمه بالكردي .. !!

دمدم "حمه "

" كاك نعمان .. كوره قسه بكا ..!

- جي ..؟

7

طووو.. طووو..

جووو جوو

"بقى الاولاد يصيحون فرحين عندما طلعت غابات خضراء
و"تانكيات" مصبوغه باللون الأصفر و الكثير من الناس
بالشراويل والكوفيات.. اختلطت الاصوات ..جنود ورجال
وعمال..وباعه ..

صاح حمه فرحا ..

- " سيري كا .. نه مه وكو.. هورن شيخان "*

- ته واوا .

"ظهرت نيران" باباً كركر " وقد غيبت الشمس ضوءها "*

" النار مشتعله و الغيوم سوداء تملأ الفضاء ."

هذه " كركوك !

8

ابطأ القطار من سرعته فمرت الاشجار والبنائيات مسرعه
وامتلات ساحة المحطه بالثياب الملونه والشراويل واستمر اخوتي
يصيحون ويدبكون فرحين كلما راوا شيئا جديدا .. هي هي !!
لفتني امي بالمعطف والبست اخوتي بلوزات من الصوف قانلة ..
- و من الان سيكون امامنا طريق طويل الى السلিমانيه
فاسرعوا بالنزول ؟
"ظل اخوتي يرفسون البطانيات ولا يقبلون النزول من القطار ..
" هم يتصورون ان القطار لن يتوقف ..!!"

9

"رجعت لي ايام " قره تو " الطيور والجبال البعيده
واللقاق, النار و حدها كانت غريبه..
نظر " حمه " لي بشيء من الفرح ..!
عندما نصل السلیمانيه ساذهب معك الى " قره تو " فهي قريبه من
هنا .
"من بوابات محطه كركوك الصخريه ارتفعت اصوات سواق
التاكسيات "
سلیماني .. سلیماني !!

10

سألت أمي ..
- هل سنبقى يا امي مثل اللقاق كل يوم يوم بمكان
" غطى وجه امي حزن وسكون ."
- من علمك هذه الكلمات يانعمان ؟
- جدتي!
" قالت امي لخالي وقد ازدادت عصبية "
- هل سمعت ..؟

مائة مره قلت لها لا تكلمي الصغار مثلما تريدن
قال خالي...

وهو يشير لي و ينفخ الدخان.. "هي لم تتغير.. علمته ان
يفكر بالسعالو والخرافات واللقائق . اخاف ان يصبح يوما
" قصخون "

"قصخون!"

"قصخون" ! *

- الم اقل لك ان ابنك اصبح محشوا بالخرافات .

"رفعت امي خصلات شعرها..

- انا من أعتب عليك لانك لم تفكر بنا يوما فبقيت غريب
عنا !

"تنهد واحرق سجارة اخرى "

"الفراق صعب يا "ساره " فقد تصورت ان الغربة ستسبني تلك
الفاجعة اما الان فدعينا من التذكر.

"شهقت امي .."

- ارى ان الشمال يا عبد الرحمن هو الذي سينسينا وقد

ينسي نعمان كل ذلك وما اتمناه ان لا يكون غريبا عنك

ولا يكون هناك عربي يذكره .

- واذا رجعت امي ..؟

11

استفاقت امي ..بعد ان ظلت تتقياً من رائحة البنزين و
اصفر لونها .

كانت "قره هنجير" اول لقاء لنا بالشمال .

اوقف السائق السيارة عند نبع صاف فأمّتلات السيارة
برائحة اشجار الصنوبر .

ركضت امرأة كرده تحمل "كوزا من الفخار البني مليئ
باللبن والزبد فوضعتة جانبا وراحت ترش الماء على وجه
امي.. ضاحكه " كوناها " !!
" فتحت امي عينيها باسمه .
هلل اخوتي فرحين وقد امتلات المنضده المظفوره من
عيدان العرموط.. باقداح الشاي و"خبز الرقاق" والزبد
والعسل..

واسترسل حمه يغني بصوت هادي...

" به هه ر بهارا.."

" من بين الجبال المعشوشبه ببقايا الخريف تدخل الظل يلف
الاشجار العاليه فتضاحك الاولاد.. راكضين وراء " جراء كلبه
سوداء" .

12

لفت السياره صاعده الجبل وهي تخوض عيون الماء التي
طغت على الطريف .. دورات عنيفه تثير الخوف ونحن تدور بين
الوديان والجبال الملونه بالثلج والغيوم ..
وعلى طول الطريق ظلت الفتيات الصغار والاولاد يشيرون لنا
بباقات النرجس .

13

من بين الغيوم البيضاء ظهرت السليمانيه مدوره مثل
صينييه يحيطها " ألياس والورد" ومئات الغربان تنعب باصواتها
المتواليه و تحوم فوق اكوام من رؤوس الماعز المطروحة على
جانب الطريق ..

كان المشهد مثل بساتين بعقوبه ايام الفيضان.الغريبان
الهانجه تطير وتنزل بسرعه البرق على البرتقال المتدلي من
الفروع ولا تترك غير القشور "

- نمه جيا ؟

- سه ر مه ر .. قال السائق

- نه ي .. سه ر بز ن .. قال حمه*

ضحك السائق الكردي وتلفت فرحا ..

- توش خلفي كويه ؟

- منم خلقي بغا *

- زور باشا .. *

"عدت اشير الى تلال الرؤوس .. "

" اهل السليمانيه لا ياكلون رؤوس السخول فيلقون بها الى
الطريق "

عاد السائق يشير الى الجبل الابيض ...

" نه وه شاخا كويشه ! *

14

كانت امي اكثرنا فرحا بالسليمانيه وهي تعيد ترتيب
البيت لان الشرطه اضطرروا الى تحويله الى مخزن للتبغ بعد ان
ظل المدير السابق لا يسكنه .

غمغمت امي بفرح ..

"لم يبقي التتن في البيت من حشرات ولا افاعي اما

الرائحه فستذهب رائحة في فترة قصيره .."

تلهيت وحمه نستطلع السطح الطويل الممتد بعيدا وننظر

الى الفحم المشتعل والسماور و فاحت رائحة الكباب والسماق
شهيه من حديقة البيت .

اطلت مناره " جامع كاكا احمد الشيخ

قطعها ... صوت " قاله " *

- وه ره خواردم ؟

- انت لا تعرفين اسم مدرستنا .. هي "كاني اسكان" و
معناها بالعربي "عين الغزلان" ويقولون ان الغزلان كانت تسرح
فيها قبل ان تقع الحرب .
اخذني المدير من ابي واوصلني للصف قائلًا للمعلم ..
- نه مه كوري مديري بوليس " اريدك ان تهتم به .
- به سه رجاوا .. بفرمو .. قال المعلم .. * ..
عندما دخلت الصف كان الطلاب يلبسون الشراويل و ينظرون لي
متعجبين وانا البس البنطلون والقبوط الابيض و الصف حار امتلا
بالدخان و"الصوبه" يا امي " تانكي "وضعوا فيه " اخشاب
و بوارى " " تطرد الدخان !!
صاح التلاميذ .. كاكا وه ره ليريا ! *

ودق الجرس ..
" هو ليس مثل جرس بغداد .. جرسهم "شيلمانه * يدق عليها
الفراش بقطعة حديد صغيره ..
سالني الطلاب .. تو صنفي جند ؟*
- كوردي نازانم ! *
" اعرف الجواب ولكنني استحييت فانا لم اتكلم الكردي الامع حمه .
- وهل هناك عرب معك في الصف ؟
- لا احد .. كلهم اكرادا ..
- أي .. الحمد لله ساكون مرتاحه الان .. .
- ولكن " شاهو" يتكلم عربي مثلنا وابوه" ماموري
توتن"
"لعبت مع "شاهو" فوق الثلج .. هو يحبني كثيرا .

ويقول ..
" عندما أخلّص البكلوريا راح أدرس في بغداد واصير طبيبا ..!
وماذا قلت له ..
- واناريد ان اكون طيارا .

17

في المساء امتلات السماء بالاف العصفير والطيور
والنسور .. اصوات مزيجة من التغريد والفرح وهذا يتكرر في
الصباح ايضا ومعها نسمع الديكة تصيح ...
انا لم اسمع ديكا يصيح في بغداد !!

18

كنا واشقائي نجلس في غرفتنا في الطابق الثاني نتأمل
جبال " كويشه وازمر " تختفي بين الغيوم والمطر ويتصاعد البرق
فنرى الرعود الزرقاء.
أما " عبدالرحمن " فاتخذ غرفته على الدرج وكان يسمع دائما
الراديو وعندما يرجع ابي احيانا من السراي " يتعلل " خالي معه
على ضوء المنقلة المشتعلة فابقي انا اقلب مجلة " اخرساعه
ومجلة الهلال والمختار "
وكان المطر يستمر عدة ايام ولا لايتجمع في الطرقات مثل " العمار "
ونسلمع دائما من الجامع القريب صوت الدفوف ..
انقطع المطر فجأة ولم نعد نرى الغيوم فقال ابي ؟؟
- الاكراد يتململون خانقين ان تموت مزارع الحنطة
والشعير وقد " اتعبونا " بالعرائض يريدون حلا لمشكلتهم فهم

حائرون مثل الحكومة لانهم يعتمدون على " الثلج والمطر"
والسليمانية كما تعرف لاتعرف الانهار انما العيون
قال عبد الرحمن ..
- سمعت من اذاعة لندن ان روسيا جربت القنبلة الذرية
لاجبار امريكا على وقف الحرب في كوريا وهو ما راح يصيب
المنطقة بالجفاف ..
- وتعتقد انها السبب ..
- السياسة سبب البلاء !!
" سكت ابي وراح يقلب الجمر بالماشه . "
وامريكا وبريطانيه العظمى لا يههما ما يصيب الشعوب
من خراب .. ولكن ..
" كانت المرة الاولى التي اسمع فيها شيئا عن السياسة وحرب
كوريا . "

19

انقطع المطر وصارت السماء زرقاء بلا غيوم وسادت
السيمانية حالة من الياس والكل يسألون عن سر انقطاع
المطر"
" باران.. هيچ نيا " *
ارتفعت من جامع " كاكاه احمد الشيخ " اصوات "الملاي"
يقراؤن الادعيه والصلوات
تساءلت امي .. ماذا ينتظر الاكرا د ؟

20

خلت " السماء من نسور الكجل ومن الكو والزرراير..
عندما هبت "الرشبا" قويه كسرت اشجار القزوان والعنب .

قالت نعيمة خان ..

- شيخ محمود " طلب من دراويش " برزنجه " نويش اكا " حتى ينزل الله المطر ! *

- - -
سالتها امي وماذا ستفعلون يانعيمة خان ؟
سيصعد الدراويش " الجبل يتوسلون الله ويضربون
الدفوف و " خدا " يستجيب الله لهم .

21

دو .. دو ..

دو ..

خدا ..

امتلا البيت باصوات الدفوف فركضت صاعدة الدرج الى السطح
وهي تصيح ..

نعيمة خان .. نعيمة خان !!

" نعمان قل لها بالكردى .. شكو ؟ "

- جي داكي نعمان !!

- نه مه جيا ؟

" ردت نعيمة خان وقد لفت شعرها الاشيب بربطه بيضاء خفيفه ..

- درويشا . *

- دراويش .. كما قلت لك يا امي .

- ولكن الدراويش لا يدخلون السليمانيه الا ليله الجمعة

فلماذا اليوم ؟

- نعيمة خان تقول ..

الدراويش يضربون الدفوف و يطلبون المطر من الله لان

السماء لم تمطر " *

- اسكت انت .. شوف ماذا يفعلون يا حمه ؟

" قفز حمه وترك الدجاجات هاربه من اقصائها .. "

- سيصعد الدراويش جبل " أزمر " ليطلبوا من الله ان

ينزل المطر !

"ضحك عبد الرحيم مشيرالى السماء الزرقاء .."

- والقنبلة الذرية ؟!

- عبد الرحمن.. جوز من هالحكي.. الاكراد ما عدهم غير

الله.. شنو قنبله ذريه !!

" خدا كردوته . "

- الله قادر على كل شيء!

- لا اصدق ذلك ..

اش .. اش

- السلیمانیه ناشفه من البرد فكيف يمكن للدراويش أن

ينزلوا المطر ؟ هه ..!

- درويش نويش اكا .. قال حمه

- سيصلي الدراويش ؟ .

" يا .. يا .. صاحت امي

" هم يصلون صلاة الاستسقاء . "

" صلوات "

" سيرفعون ايديهم الى الله لينزل المطر حتى لايموت الزرع

وراح الله يستجيب ألهم ..!!

"ارتفعت ضربات الدفوف فقفز حمه وتبعته الى سطح "مزكوني

كاكا احمو " .

- لاتخف .. امش سريعا .. "

"كنت خائفا من المشي على الحيطان .."

- ولك هم بديت بالطراد ...!

"ارتفع صوت امي من الطرمه "

يا حافظ.. وتمشي على الحيطان قد تقع فتتكسر رقبتك ؟

- ماما... حمه معي ويقول "كاكا احمد " ما يتركنا نقع !!

- شلون اني بهالولد ..

- تماشا ..

من هنا يمكننا المشي سووية حتى محلة " سه رشه قام "

فالحيطان عريضه يالامي ..

دم ددم

دم ددم ...

"تصاعد صوت الدفوف عاليا وارتفع صياح الدراويش "

خدا خدا

ياالله ياالله

- عا .. عا. ولكم.. هاي تمثيليه قال عبد الرحمن !!

- لماذا يلبس الدراويش رؤوس السخول وبأيديهم "

الخرخاشات" ؟

- ماما .. نعيمه خان تقول...

- الدراويش يلبسون الاقنعه لانهم يستحون من الله ولا

يرفعون رؤوسهم و"الخرخاشات" يطردون بها الشياطين ... "

- هل سمعت يا عبد الرحمن هي ليست تمثيليه... هذا

ايمان الفقراء ..

دم ددم ..

دم دد .. م ..

- ولكم شنو.. هاي .." الخرافات !!

- ولك حرام تحكي امام الاولاد ..

"استمر دوي الدفوف فاحتشد عشرات الناس في الممرات

والسطوح ,كانت اصواتهم تتردد في صوت واحد ..."

خدا . خدا

"لم تكن في السماء غير الخفافيش .. "

سكت الدراويش والتكبير وسكتت الدفوف و"النقارات" واختفى

الناس في بيوتهم ..

صحت ..

-اين المطر .. هي لم تمطر بعد ؟

اش اش .. هم علمك خالك

نامت السليمانية ولم نعد نسمع غير الريح تعوي وفجاه
ارتفع صوت الرعد ودوت السماء .. وتصايحت الدجاجات خانفه .
ومن وراء الحيطان سمعنا صوت " باكيژه خان " فرحة .. بارانا ..
ونزل المطر وظل ينزل مثل السيول ومن وراء الحيطان كنا نسمع
الاكراد ..

خوا .خوا

كانت امي قد استيقظت على صوت المطر .
وكان عبد الرحمن يدخن سجارته وامي تقول ..
اين القنبلة الذرية الان؟

23

ظل معلم " جوامير افندي " يتأمل الصورة وقد ارتفعت
القمم الثلجية لجبل " ازمر " ثم التفت متعجبا ..
- من علمك الرسم ؟
- ماما " ديزي " ؟ .
- وهذه الصور ..؟
" ظل يتأمل الصور التي رسمتها لنساء كرديات بثيابهن
الفضفاضة الملونه ولباعة الخشب "
قلت ..

اما هذه فقد رسمتها من شباك غرفتي ..!
- " جوانا " .. وما اتمناه ان تشترك في المعرض
السنوي للواء السليمانية ..
" أي .. صاح .. عبد الرحمن ..
- لعبة جديدة حتى تنهزم من المدرسه!

24

- ماذا تفعل فوق السطح يا نعمان ؟

- اقرا !!
 - زور باشا ..
 "تراجع حمه الى الورااء عندما شعر بوجود احد فوق بيت "معزز خانم"
 - لم لاتنزل .
 - اريد ان اقرا مثلك فقد سمحت لي الخاتم ان اتعلم مثلك
 في " مكتبي ايوبي " لان "كاني سكان" ليس فيها دوام مسائي .
 - خالي لا يوافق على ذلك .
 - ولكنه سيوافق عندما يرانا نقرا سويه .
 "بدا حمه متشككا "
 - نعمان .. ماذا كنت تفعل في بيت "كول دران " هذا الصباح
 - "كولدران" تساعدني في تحضير الرسوم التي اراد
 "جوامير افندي" ان اشترك بها في ثانوية البنات .
 - جون جون ؟
 - رسمه كا .. بو مه كتبي كجان !!
 - به لي حمه .. "ماموستا" بيه اليته وا .
 - وكولدران ؟
 - ستساعدني في الصور.. اليست هي جيراننا ..
 - هه هه .. واين الرسوم " أروله "!!
 صاح "حمه" مندهشا وهو يقلب الصور وحاول اخذها ..
 - نه ي ..
 - والخاتم هل وافقت ؟
 - كولدران قالت لها.. ان الصور التي رسمتها سترسلها
 المدرسة الى "الهند" .
 - يا يا .. زور جوانا ..
 ظل حمه يقلب الصور ويدمدم عندما راى تخطيطا بالقلم لوجه
 كولدران حاول ان ياخذه فتدافعنا وانا اصيح به ..
 - بم بينه ؟
 - نه ي ..

- أ آخر ..أنت تحب كولدرا ن ؟
- و انت تحب "سبري خان "

25

- يا ظالم ؟
ولك .. نصف الدجاجات ماتت مريضه واليوم بس عرفت
ما تقعله .. ترشها بالماء والبرد يهري العظام .. من علمك هذه
الوحشيه

- والله .. والله .."

"لوت امي اذني بقوه اوجعتني"

- لماذا تفعل هذا ؟

- والله وكاكا احمد !!

اش .. اش

- وتحلف ايضا !.

"تساعد صياح امي فنزل حمه مسرعا من السطح .

- من علمك هذه الافعال ؟

قال خالي ..

- اتركه لنعرف ماذا يريد من هذا ؟.

"تراخت اصابع امي عن اذني وهي تولول "

حتى الليله .. ما عرفت سره ..وهو يتمسكن امامي -

.. ويقول بصوت باك

"ماما.. خطيه الدجاج ..اخاف الثعلب يرجع مرة اخرى .. أتريديني

ان ادخل الدجاج والقلمون الى القفص "

فاقول له .. أي .. عفيه أبنی!

بعدها طلع "الأفندي" يغرقها بالماء.. ولك .. ليش يا ظالم ؟

- الدجاجات توفوق وتهرج الدنيا ولا تسكت .

- وتصب عليها الماء بهذا الزمهير.. من علمك هذه

ألفعال؟

- أ أ. "صالح خوشوي" !!

- صالح علمك ؟
- قال لي.. إذا اردت ان تسكت الدجاج فرش عليها بالماء
فلا تصيح !
- وتتعلم من " حرامي الدجاج " .. أه .. ساسلخ جلدك انت
وابن الشرطي !
" حمه .. اطلب لي عمك بالتلفون ؟ والله والله أي .. من هذا ابن
الشرطي ما ترك دجاجه او ديكا بالمنطقه .. الحرامي ابن الحرامي ..
و " النوبه " نزل ابني للساحه .. يبخها بالماء ويتركها تحت الثلج ..
- أي ..
- ولك .. نصف الدجاج تمرض ومات ..!
وعادت تصيح ..
" كل مره يصلني نعمان متوسلا .. ماما .. خطيه .. ترى الدجاجه
الحمراء ماتت .. ادفنها بالثلج أو اعطيها الى كلب " فاته خان "
قاقول على نيّتي .. ماما ذبهه بالخرابه !!
وكل صباح يقوم " الافندي " يجرالدجاجات واحده وراء الأخرى
فأسمع صياحه وسط الهرجه والتصفيق
" خطيه .. الكلب لم يصدق نفسه ان ياكل دجاجه !! "

26

- حمه .. ؟
- به لي خانم ..
- اشعل " المنقله " وطلّع الدجاج للشمس واطلب من "
باوكي محمد صالح " ان يأتينا بالتبن اليابس حتى يرش
القفص ..!
" حين حاولت الاقتراب منه دفعني بيده صائحا
- توش " كه ر " !
- وأنت زمال !!

جرّني "حمه" من سترتي فضربتة على وجهه فضربني على راسي .

- و لكم .. هاي شكو ؟

"جاء صوت امي من المطبخ . "

- ساقول لها.. "حمه" يذهب الى بيت "سبري خان" !!

- منم ! *

"توقف حمه واحمرت عيناها ودمدم منفعلا وانا امسح دموعي.."

- وساقول للخاتم انت تحب "كولدران" ولا ترسم الالها

" نه كر " وساريها دفاترالمدرسه وكلها صور " كول دران" ..
جيانم !!

- و ساقول لاممي.. وحمه يذهب الى "سبري خان "

وينام عندها كلما انهزم من البيت ..ازانم " خورشيد

افندي " في السراي " ؟

- "تمتم " حمه "خانفا وقد امتلا شعر راسه بريش

الدجاج

- "صالح " هو الذي ينام .. هه .."

- صالح .. أي أي .. ومن يغني كل ليله ..

" سبري به جاوي ما ستاو

به جوت برو بيه وه ستاو " *

صاحت امي من اخر المطبخ ..

الا تسمعان الاذان.. مالذي جرى لكما حتى تتعاركان..؟

قال حمه متوسلا ..

- ستطردني الخاتم لو سمعت ..

- واذا سمع ابي سيرسلني الى بغداد !.

" دخل " بابا شيخ " وقد غطى وجهه الاضطراب

- جناب المدير.. لن يرجع للبيت الليلة!
" ياساتر.. صاحت امي بخوف."
- لقد قتلوا الحاكم "باقي بيك" "في حلبجه ..
- اه ..

و" باقي بيك" كان يريد السفر مع "رستم بيك" مدير
التجنيد "الا ان بعض الاشغال أخرته " فاضطر الحاكم السفر وحده
وفي الطريق بين "حلبجه" السليمانيه " هجم عليه "خوله بيزه
" وقتله ونهب اغراضه ..
وما ان سمع جناب المدير الجريمة سافر الى حلبجه للاطلاع على
التحقيق . *

- يارب !!
- وماذا فعل الحاكم المسكين ؟
- هو لم يفعل شيئا يا خانم "بلام" خوله بيزه كانت له
ثارات مع عشيرته !!
يامغيث ..

" وماذا يريد "محمد سعيد" من تعريض حياته للخطر.. خلصنا
من شر المظاهرات واليوم يريد تجديد المصيبة مع الاكراد .
- "البك" اوصاني ان لا تفكروا به يا خانم .

- لا نفكر ..!
ارتفعت ولولة امي..
- وماذا نفعل ونحن في الغربة!
قال "عبد الرحمن" .. ننتظر ونسمع الاخبار !
- ولك يا اخبار .. وهذا الله لا يعطيه "خوله بيزه" ماذا
يريد ؟

- خانم.. "خوله بيزه" هو شقي يقتل كل الناس.
"واين اذهب باولادي لو قتلوا محمد سعيد !"
اش اش ..
علينا ان ننتظر حتى الصباح لان "خوله بيزه" بعد ان قتل الحاكم
يكون قد عبر الى ايران بالتاكيد ..

"اغلقنا الباب الكبير وبقي" بابا شيخ " يدور حول البيت وكنا
نسمع كلاب الحراسة تنبح "

28

"استمر الثلج ينزل مثل القطن المندوف حتى صارت الحيطان
بيضاء واختفت " جبال كويزه " وكان الاولاد يلعبون بالثلج ..
- لماذا انهزمت من المدرسه
- المعلم ارسلني للبيت .
- المعلم ارسلك .. انت تكذب .?
- أي والله يا " خالو " ..
- والسبب ؟
- حراره "الصوبه" ارتفعت وملاً الدخان الصف فدمعت
عيوني ولم اعد ارى السبورة .
فقلت له .. أفندي " عيوني تدمع .
ضحك " شيخ جلال "وقال لي ..
- ولم لا تقولها بالكردي يانعمان أ تخاف ان يضحك عليك
الطلاب .. بابا.. روح للبيت لان العرب لا يتحملون البرد
و"البفرا " *
ثم التفت المعلم وقال للطلاب بالكردي " .
"كورم ..عه ره با . يخافون من " بفرا " ولا يتحملونه مثلنا
نحن الاكراد الاقوياء ..!"

29

ساره ..

اتعرفين ما قاله " ملا عثمان " عريف " " القوة " السيارة " عن "خوله بيزه" ؟ و"صايم مصلي" !

" كنت اقف وراء "رشاش" برن " المنصوب فوق المسلحة في احدى الدوريات عندما خطف رجل ملثم امام السيارة يحمل "برنو" وأطلق الرصاص علينا فقتل شرطيا كان معي فشعرت بالخوف واضطرت لتحويل الرشاش عنه حتى لا يقتلني!" - وبعد ذلك ؟

- عرف بان من هاجم السياره هو "خوله بيزه" !!

- وماذا فعل ملا عثمان ؟

- نزل من المسلحة ونفض الرصاص عن ثيابه ولم يصب حتى ولا بجرح صغير..!

وهل تصدق يا عبد الرحمن ان رجلا يطلق خوله بيزه الرصاص عليه ولا يصاب حتى بجرح , ان صاحبك هذا , اما ان يكون قد هرب من المسلحة وانبطح على الارض او كان من جماعة "خوله بيزه" وبينهما اتفاق !!

- لا.. لا .. قال عبد الرحمن .. عريف " عثمان رجل صايم ومصلي ولا يكذب ولم يصب لانه يحمل " بازبند " يحميه من الرصاص تبه له " شيخ صامال " وهو مثل الذي يحمله " خوله بيزه " ..

- ومن هو "شيخ صامال" ..؟

"اشار خالي الى " منارة جامع الشيخ كاكاه احمد" حيث امتدت وراءها "جبال قره داغ" بصخورها الزرقاء والحمراء" .

- هو شيخ يعيش في مغارة يسمونها " هزار مرد " ولا ياكل غير " الربيواس " والبلوط ولم يذق اللحم والحرام أبدا !! *

- وتصدق يا " عبد الرحمن " ان رجلا صالحا مثل " شيخ صامال " يعطي "خوله بيزه" " بازبند " يحميه من الرصاص حتى يقتل به الابرياء والكل يعرف انه لا يقتل غير الشرطه الفقراء وكلهم اكرادا !!

قال عبد الرحمن..
ان "مامورالمركز "سيد حسن" قد نقل من الموصل الى
السليمانية واهله يعاونون من الغربية ويريدون زيارتكم ..
سألته امي ..
وعندهم اولاد في المدرسة ؟
- عنده ولدان في الثانوية يشعان بالغربة وامهما لاتطلع
من البيت ولا تعرف احدا !.
قالت امي ..
- ان الغربية يا عبد الرحمن صعبة جدا
وقدر ما كنت اريد الابتعاد عن الذين عرفتهم الا
انني اليوم بحاجة الى من يكلمني بلساني
العربي ..

31

عندما وصلنا "عبد المنعم" قالت أمي ...
- ومن اليوم لن يشعر نعمان بالغربة فمئذ ان تركنا بغداد
لم يعرف احد هنا وقد يكون في قدومك بشرى له ..
قلت لامي..
اتذكرين ما اوصيتني به ان لا اختلط بالعرب ..
"ارتبكت امي حجله وقالت ..
- الحقيقة يا "عبد المنعم" أن نعمان كان كثيرالمشاكل
في بغداد ولولا "ست ديزي" التي تحملت الكثير من اجله
لما استمر في الدراسة وتلهي مع ابن عمه.. وعندما جننا
الى السليمانية كان خوفا ان يتعلق باشياء تذكره ببغداد
فيعود

- أبتسم عبد المنعم والتفت لي .. .
لك ان تجد في دراستك وتفكر.. لانك امام مرحلة دراسية
جديدة.. واللغة فيها بالكردية حتى تثبت للافراد ان العربي قادر
على تذليل الصعاب وساكون معك مثلما كانت "ديزي"! -
ولكنني اعرف الكردية التي يتكلم بها اهل
" قره تو " فهم يقولون.. " بيا بيا " .. تعال .. واهل
السليمانية يقولون " وره وره
- صفق عبد المنعم بيديه ..
"كان " عبد المنعم " اكبر واطول مني ويلبس بنظالا
طويلا .."
- اذن فانت تحكي بالعجمي والكردى .. و"خوله بيزه
" الم تسمع به..؟
- " شيخ جلال" يقول "خوله بيزه" "نازادا "
والحكومة لا تقدر عليه !!
- وماعنى " نازاد " ؟
- سبع !
هم هم ..
- ومن هو شيخ جلال ؟
- معلم التاريخ .
- وماذا يحكي لكم شيخ جلال ؟
- شيخ جلال " يحكي لنا ويقول ..
" ان الكرد حاربوا الانكليز في " دربندى بازيان " فضربهم الانكليز
في " بنه " بالمدافع والطيارات وليس عند الكرد غير " البرنو"
فجرح " الشيخ محمود " وقتل " خان دزه لي " مع " جلوهشت
بياوا " " اربعون كرديا " وفيهم لا اعرف " طاهر بيك " و..
اسماء كثيرة تركهم الانكليز فوق الجبل فاكلتهم الضباع والنسور!
وبعدها حبسوا " شيخ محمود " وكان يمكن ان يصلبوه ولكنهم
خافوا من العشائر فارسلوه الى البصره والهند ووضعوه بالسجن..!
عال عال...

- وكيف حفظت كل هذه الاسماء ولم تحفظ دروسك
لاني احب التاريخ و"شيخ جلال" يتكلم عنه كثيرا ..

32

صاحت امي فزعه ..
- اين ذهبت والدرراو يش سدوا باب الجامع ؟
- عندما رجعت من دكان " جرجيس " وصل درراو يش "
برزنجه وحبجه " وسدوا علينا الطريق فصعدت الى سطح الجامع
لاتفرج عليهم !!
- ولو امسك بك " ابوالكصايب " الم تخف ان يشويك
على النار !!
- لا .. هم اخذوا " ميران ابن عزت بك " ! وضربوه
بالسيف وشقوه نصفين ولم يطلع منه دم !!
" صرخت امي وغطت وجهها بكفيها "
بس .. بس .. " ..
هيا .. أنزل .. لقد
" تخلصت من " درابين " العمار " وابتليت اليوم
بالدرراو يش , استر علينا ! .
- ما .. ما .. اريد اتفرج ..
- ماما .. شوقي .. هذا الدرراو يش دخل " شيش الكباب "
بخدوده و عيونه مثل الجمر وصار يلحس "الصاج " " وش
وش " ويصيح . خدا!
ماما .. الدرراو يش يذبحون الناس !!
بس بس ..
" تجمع الدرراو يش بعد ان كوموا رؤوس من ذبحوهم
وغطوها بالعباءات وراحوا يضربون الدقوف ويصرخون ثم رفعوا
العباءات وهم يجرون الصلوات فنهض المذبوحون واقفين .. "

33

- هل الدراويش مسلمون يا امي ؟
- أي .. شلون مو أسلام .. الا تراهم يضر بيون أنفسهم
بالدرباشه ولا تنزل منهم قطرة دم لماذا تسأل!!
- لانني سمعت ابي يقول ..
شوف "عبد الرحمن" هذوله مو اسلام لان الاسلام بلا
دراويش ولا سكاكين ولا ذبح !!
- استغفر الله ..بابا لايقول ذلك .
- والله يا امي هو قال الى خالي ..
" جيب لي شي مكتوب وافتح القرآن وقلب السور وابحث
لي في الاحاديث وتعال دنني على الدراويش .. بابا.. هذوله لفوعلى
الدين والاسلام برىء منهم لان الاسلام دين محبه ورحمه وكل ما
يراد لمحاربتهم ان يبعث رجل مثل " كمال أتاتورك" ليغلق التكايا
التي صارت مقرات لتناولة السلطان ويدفعهم للعمل ..
بس بس ...!
أي .. ويقول بابا.. ومن راح السلطان عبد الحميد امر
"مصطفى باشا" بسد التكايا فمات الدراويش من الجوع لانهم
لايعرفون من العمل غير " الكديه " !!
ولك حرام ..ابني .!

34

قال حمه .
- اميرو " امسكت " الشرطه " تاله اخ " خوله بيژه
"وهو مجروح ونقلوه الى " الخسته خانه "
- تكذب ؟
- لا والله يا خانم ..

- "زني" ناجي جميل" أرسلت بيدي عشاءا لزوجها في
"السراي" فآخبروني بان المفوض بعنده خفارة في المستشفى
فلحق بي نعمان فأخذت "السفرطاس" للمستشفى ورايت "تاله"
قاعد على القريوله" وبيده "الكليجات"
وقال المفوض.. ان "تاله" سيبقى في "الخنسنة خاته"
حتى يصلبونه .. خانم.. كانت عيون "تاله" كبيره وله لحيه
سوداء .. خفت انا ونعمان فانهزمتنا منه !.

35

قال عبد الرحمن..
لقد حاصرت الشرطة "اخو" خوله ببيزه في "حلبجه" بعد
ان اصيب بالرصاص فجاؤوا به الى السليمانيه وسيشنعونه
قريبا..!

- يصلبونه وهو مريض قالت امي !!
- شيء لا اعرفه لان الحكومة تريد شنقه خوفا من
دعايات الحزب الشيوعي الذي قد يستغل هذا لاثارة
الاكراد على الحكومة .
والشي الغريب يا ساره ان " الشقي " كان يلبس "
بيجامه" الحاكم " باقي بيك " الذي قتله قبل سنه في
طريق حلبجه "
وقد اعترف امام المتصرف ومدير الشرطة بقتله وقتل
أكثر من عشرين شرطي وهربه الى ايران وهذا كاف
لاعدامه ..

- واين كان هذا الفترة ؟

- ظل يختفي في قريه " داري كه لي "

قالت امي ..

- و" داري كه لي " !!

- هي قريه "الشيخ محمود" ولا يوجد قاتل او حرامي الا
وانهزم اليها .. والشرطه لا تقدر على دخولها خوفا من الشيخ!

- وهل تخاف الحكومة من الشيخ محمود ؟
- الحكومة .. قادرة على ارسال مسلحتين ولكن شيخ محمود عقد اتفاقا مع الحكومة فاذا ما حاولت الحكومة الدخول الى " داري كلي" سيثور من جديد والحكومة لا تريد ذلك وهي احيانا تضغط على شيخ محمود وتجبره على طرد اللاجئين عنده ويعرف هو كيف يحتال عليها فيماطل كعادته أو يأمر بعض من لا يرتاح لهم بالخروج من القرية .
- وكيف يقبل شيخ محمود دخول القتل والسلايين والاكراد يحلفون برأسه !!
- محمد سعيد يعرف هذا لان ولاكرد والحكومة يعرف كل منهم ما يفعله الاخر وهذه هي السياسة!

36

سألني " عبد المنعم " ..
- أتعرف شيخ محمود ..
- هو ملك الاكرد ..
هم .. هم !
وهو مثلما قال "شيخ جلال" ..
كان معه شيخ محمود " قادراغا" و"500 نفر عندما احتلوا " قره " فدبهم الانكليز وكان يمكن أن ينتصر شيخ محمود.. ولكن احد اغوات "الهماوند" وهو جاسوس باعهم للانكليز!
قال منعم...
- وتأخذون هذا في درس التاريخ ؟
- كتاب التاريخ ليس فيه " شيخ محمود" الا ان شيخ جلال يقول لنا ..

وشيخ محمود هو "حكمدارالسليمنية" وما أحكيه لكم لا يدخل بالامتحان لان الحكومه لا تقبل وانا اريدكم ان تتعلموا تاريخ شعبنا الكردي واليوم قال لنا ...

الحكومه تحاول ان تخيف الشعب الكردي .. ولكن الشعب سيظل يقاتل ثم التفت ونظر لي "قائلا..
و "خوله بيزه " وامثاله سيظلون " ريكا" للاكراد ..
" لا تضحك "

- مامعني "ريكا" يا نعمان ؟

- ريكا.. طريق يا منع .

- هل يعرف شيخ جلال انك تعرف كردي .

- لا.. شيخ جلال لا يعرف انني اعرف الكردي ولكني افهم ما يقول وصديقي " شاهو" يقول.. وهذا المعلم يحكي مثلما يريد !

و"شاهو" لايقبل ان يكتب بالكردي في الامتحان بل يكتب مثلي بالعربي !!

فهز عبد المنعم راسه..

- اريد منك يانعمان ان لا تحكي معهم بالكردي حتى تعرف ما يقولون عنا ؟

- ولكن الطلاب يقولون.. هم عندما يروحون للثانويه سيقراون الدروس بالعربي وهي "مسالة" قرسا" ولا يمكن ان يقبلوا بها ..

" لا حصلنا !!"

"قالها منع وخرج من البيت "

"انا لم ار اشجار الصنوبر تغطيها الثلوج الا هنا وقد تدلت
منها اجراس حمراء ولعب وارانب وشموع..
" الى صغيري الذي احبه ولا انساه..
قبلاتي بالسنة الجديده .. "
ديزي ..

38

"ديزي " كنبت لي رسالة جعلتني ابكي وابكي..
" لقد تركت في بيتنا فراغ كبير حتى انني كنت بعد رحيلك
المؤلم بعدة ايام لا اعرف كيف اقضي الليل والنهار فقد شعرنا
بالفراغ والحزن وغلبت علينا الدموع .. حتى تمرضت من الالم !!
وكل صباح افتح الشناشيل وانظرالى حيث كنت تنظر منها الى
غرفتي واليوم صرت لا ارى احدا او اسمع شيئا من اشيانك الحلوة
التي كنت تنقلها لنا والجيران الجدد غطوا الشناشيل بالاخشاب !
هم مثل " السعالو " التي كنت تحكي لي عنهم . وقد وضعوا ستائر
سوداء على الشبابتك وغلفوها بالخشب !!
" هكذا صارت بغداد بالنسبة لي بعد ان تركتنا وحدنا ..
وتراني اتهجس الاصوات واتوقعك في كل لحظة تدخل البيت بعد
ان تجر الخيط الذي يربط الباب ثم تقفز.. وتبدا في قصصك التي
لا تنتهي.. ا
لقد كنت شيئا كبيرا في حياتنا انا وماري.. واليوم لا اجدني قادره
على الوصول اليك..
لست بعيدا كما قلت لك وقد اكون معك في الربيع القادم ولكنني
اخشى ان افقد بروياك أتراني..
والان قل كيف هو الثعلب الذي اردت ارساله لي هل بقى عندك او
اطلقته كما اطلقت البلبل ..

"صوتك ما يزال ياتيني في الليل.."
" ست ديزي .. "
" خطيه البلبل..اريده ان يرجع الى أمه .
نعمان..
يا احب طفل الى قلبي ..
وما احلم به ان تكون معي عندما تصبح كبيرا وتدخل
الكلية!
" بكت "كولدران" واعادت لي رسالة "ديزي" ..
" نعمان .. هل تحبني مثلها ؟ "

39

- ماما ..
" أجه "صار سميناً يا أمي..
وعندما رأى السجناء السله التي أرسلتها معي هجموا عليها
واكلوها
- ماما .. لماذا حبس بابا " أجه " ؟
- أبوك لم يحبسه يا نعمان .
- ولكن أبي في الشرطه ؟
- قلت اسكت ولا تتكلم عن الحبس أو تذكر "أجه" حتى
لا يسمع بابا بانك ذهبت لرؤيته .
- ومن سيبيع لنا " جكلية الانكليز " .
" راحت أمي تغمغم وحدها "
" المسكينه " رحمه " انكسر ظهرها من الخدمة في
البيوت..كانت تريد " أجه " أن يصير معلماً فكيف تعيش
اليوم ؟
- والصينيه يا أمي التي كان يبيع لنا منها " الكزو والكنجد
" من اخذها ؟ *
" سمعت خالي يهمس ألى أمي ..

- كانت غلظتك يا ساره.. ترسلين "حمه ونعمان" الى السجن دون علم "محمد سعيد" لان الشعبة الخاصه شغلها مراقبة الذين يخرجون من التوقيف .

- وهل هناك مشكله يا "عبد الرحمن" فأنا لم أعمل شيئا الا لوجه الله.. وتعرف ان محمد سعيد يرسل لامه كل شهر ديناراً . ويقول.. خطيه اشلون تعيش بس..

نفخ "عبد الرحمن" الدخان بوجهي عابسا ..
- لقد رايت "أحه" البارحة فقلت له الحمد لله على السلامه يا "أحه" .. اتعرفين ماذا قال لي..؟

الشعب جانع !! ابن الكلب.. اليوم طلع من السجن وبعده يقول "الشعب جو عان" ؟ ومثلما قلت لكم .. بابا.. هذا شيوعي وميصير له جاره وراح يروح الى "داري كلي" ويتعلم كيف يملا "البرنو" وبعدها يرجع ليقتلنا .. ضحكت امي ..

- عجيب امرك فانت تناقض نفسك فما ان اسالك عن الشرطه حتى تبادر الى السباب والشتمم ولكنك بموضوع "أحه" تتعامل اكثر من الشرطه.. ولا اعرف ماذا ستفعل لو بكره .. "محمد سعيد" سجل "أحه" شرطيا ؟

- محمد سعيد يسجل "أحه" شرطي .. انتم مخابيل!!
ماما.. هاي "الشعبه الخاصه" مو الشرطه ولا يهتمهم ان يكتبوا على محمد سعيد بل ويكتبون على الله ...!

- استغفرالله ..

والشعبه.. شنو .. اسلام لو مسقوف ؟ أين يذهب المسكين عندما لا يريدونه ان يتعين ويعيش ولا يريدونه ان يستمر شيوعيا فإين يروح

- يروح الى جهنم وبس تقولون خطيه !
"زهقت امي وارتفع صوتها .."
- انت تريد ان تقول يا عالم ياناس صيروا حراميه حتى تعيشوا مو ؟

زمجر خالي ..

- ولكم بس اريد اشوف "احه" ماذا فعل لكم وانتم مهتمين به لانه فقير .. وهل مساعدة الفقراء جريمه ؟

- لا .. بس الشيوعيه جريمه !

- والشيوعية ماذا تريد ؟

- ها .. هم لا يريدون "الزناكين" بس يريدون الفقراء .

- عجيب .. ومن الذي لا يريد الفقراء والمحتاجين؟

- بابا .. هذوله بلا دين !

"استيقظت جدتي على الصياح فاشعلت سجارتها وارتفع صوتها..

- شكو عدكم تتعاركون ؟

- كنا نحكي عن ابن "رحمه" ..

- زين الله خلصه من الظلام فماذا كنتم تقولون عنه !!

قال عبد الرحمن ..

- ولج .. هذا شيوعي احمر ..

- وشتريد منه اذا صار شيوعي لو سني .. احنه مو كلنه

اسلام ..

- ماما .. مو شيوعي .. شيوعي ؟

- وشنو شوعي ؟

- ما يعرف الله ولا نبيه !

- زين .. وانت تعرف الله ونبيه ؟

- أي .. والشيوعية تريد حكومه من الفقراء ما بيهه ظلم

ولا "بيك وباشه"

- ومنو ميريد حكومه مابيهها حراميه وظلم مثل جماعتك ..

"صاح خالي غاضبا" ..

" تعالوا فهّموا "حجي احمد اغا" اقول بيه تقول تيه

اقول لا اريد "أحه" يدخل البيت .. اخاف على " محمد

سعيد .."

- به به .. ومنين جتك هالحميه وصرت ابو بيت وتخاف

على "محمد سعيد" لا يصير شيوعي..

شوف عبد الرحمان .. وانا من اليوم راح اسال " احه " حتى يدليني على جماعته ..
- لا حصلنا !!..

40

فاجاني.. "حمه" خارجا من بيت " صبريه خان " فقال
بارتباك دون ان اساله ..
- " بور.. سبري خان " هيچ ناو نيا "
- وكيف اوصلت لها الماء ؟
" ارتبك وحاول ان يهرب من الجواب " فسألني ..
وماذا تفعل انت هنا ؟
- كنت في طريقي للمدرسه وقد بللني الثلج ولم اعد ارى
الطريق حين راتني "معزز خان" فصاحت ..
" نومان..له كوي اجي " وبعدها صاحت على "كولدران"
وانفتح باب كبير مليء بالمسامير ودخلت الى البيت فراحت تنشف
ثيابي المبللة على النار..
- هيه .. مقر بازا صاح حمه ..
- توش مقر بازا *

41

" سيرى كا حمه " كولدران " وكو بوكه !!
" وعندها " كمنجه" وتغني بالتركي وصوتها مثل الحمامه...
"دلم يا لدم " ..
- وكيف احببتها يانعمان ؟
- احببتها ؟ انا لا اعرف ماذا تقول ..
- تماشا.. نعمان الم تقل لي انك احببت ديزي ؟

- يا جماعة ..الولاية مقلوبه وابنك يلعب وحده قرب السراي..
- واين كان يلعب.. اعوذ بالله ..
- كان يدور ويلعب قرب دكان " جرجيس " ويتعثر بالمشي والساحه مليئه بالاكرااد!!
- وانت لا تعرفين ماذا يقع الليله سيشنقون "اخو" خوله ببزه قرب السراي ؟
- اعوذ بالله .. ليس عندك غير علوم الشر.. .
- واين كان بابا شيخ ؟
- أرسل عليه محمد سعيد للسراي .
- صاحت امي غاضبه ..
- كيف تركت بابا شيخ الا تخاف ؟
- ولماذا اخاف يا امي والقهاوي مملوعه بالناس والباعة والناس قاعدين مثل ما كانوا ايام الفيضان في بعقوبه يتفرجون ويضحكون..
- صاح خالي ..
- "انجب" ..
- ولكم ..شوفوا حل لابنكم اخاف يخطفه الشيوعون..
- تصوري ..لبس " قبوط " بابا شيخ العسكري والقاء تحت المطر وركض يريد ان يطارد وحده في الليل.
- ولكم ملعون كيف ترمي معطف الرجل في الوحل...
- ماما .. "القبوط " مليون " نفتالين " مال صراصر" !

- عال عال ... وتستغل ذهاب عمك "بابا شيخ" الى
السراي وتنهزم ..الم اوصيك ان تبقى معه واليوم راح
اعرف كيف اوقفك عند حدك .. "ولك اشو تهز راسك .."
اقول "عبد الرحمن" اريدك ان تاخذه في طريقك وتلقيه
في قفص الدجاج حتى يصل " محمد سعيد"
"ثم صاحت امي مستغربة "
ولك ..عبد الرحمن " القواطي" وقعت !
" الا ان خالي صعد الدرجات مسرعا الى غرفته!!"

43

- ولك.. وين امولي صاح خالي ؟
- غير للمدرسه .
- ولك.. يا مدرسه والولايه امعزله اليوم !
- "من اخر الحوش " صاحت امي ..
- والان ماذا تريد منه ؟
- رد عبد الرحمن ..
- لا قيمنه.. بابا ..اليوم صلبوا اخو "خوله بيزه" واخاف
ان يقتلوا ابنك ؟
- اش اش ..
- اعوذ بالله من فالك !!
- والاكراذ أعلنوا الاضراب وسيقتلون كل من يخرج الى
الطريق ..
- والحكومه ؟
- ولج .. يا حكومه اذا لم تصدقي فاصعدي للسطح وتفرجي ..

" لقد وجدتها فرصه للعب على السطح فاخذ " غزوان " طريقه الى شجرة " القزوان " كعادته كل يوم وحمل " طاسه " العنب الاسود و " العرموط " الا ان السكوت ظل يغلق السليمانيه فلم يظهر من احد وحتى كولدرا ن لم تظهر في السطح "

- ولماذا لم يقل محمد سعيد شيئا ؟ .

44

أستمر "بابا شيخ" يدخن ويلعب " الطاولي " مع خالي
وحين وصل " عبد المنعم " انسحب الشرطي ..
- ها.. سلامات عبد المنعم.. ماكو شي ؟
- لا.. كل المدارس والدوائر والمحلات مغلقة وهو اكبر
تحد للحكومه .
فقال خالي ..
- وكيف يكون التحدي هل يجبر المتصرف الناس بالقوه
ليفتحوا ابوابهم !!
- ليس هذا ما اريده يا عبد الرحمن .
- وماذا تريد ؟
- شقي واحد ذبح الاكرد أنفسهم وقتلهم تعلن
السليمانيه الحداد عليه !!
- وكيف تفسر لي السر ؟
قال .. عبد المنعم ..
- ان الاكرد يحاولون دائما جعل الجريمة العادية
جريمة سياسية فلا يتورعون في حالات الاستسلام على
اعتبار القتل واللصوص ضحايا ليؤمنوا لحركاتهم الشعبية
الاستمرار ولهذا اعتبروا "تاله" ثائرا " على الحكومه ..!
- والضحايا والابرياء؟
- الثورات تلغي الفوراق لان الاكثريه عشائريين .

- لا افهم ما تقول ..؟

- الحقيقة يا عبد الرحمن هذا ليس اسلوب الاكراد بل الشيوعيين لانهم يريدون البلاد عرضه للفوضى ليتولوا القيادة لان الاكراد برايهم مجموعات عشائريه لايعرفون الثورات وانما يعرفون الفرهود والقتل وسيجعلون من العشائر ادواتهم للقتل والذبح وبعد ان ينتهي كل شى يبدا الاسكات بالتعويض والمكافئه.. أي .. ان يصبح " خوله بيژه واخاه" وحتى القتل العاديين ضحايا يفعلونها وهو الاسلوب الذي يحمي ما يخطون له ف يصبح كل اولئك ثوارا ماداموا اكرادا مادام ذلك حقق للعشائر حصصها!!
- وبعد ذلك ؟

- وما ان يسيطر الشيوعيون على الشارع الكردي حتى يبدؤون في التصفية لكل من يعارضهم !!
وبرايي ان تفهم الحكومه الحقيقة وان تخطط لاعطاء الاكراد بعض حقوقهم لخلق الموازنه ..والا مافائده الحرب بين فترة واخرى ..

45

- لماذا تعاركت مع حمه ..!
- لقد قال لي.. حيوان فقلت له انت حيوان !
- ولك عيب .. حمه اكبر منك ؟
- هه .. حمه اكبر مني !
- كيف .. انا لا اريد ان تلبسوني بنظون صغير ..
- اسم الله ..!
- واذا لبست ماذا يصير ..؟
- استطيع ان اضربه ..
واي واي .

46

- أنت لم تسمعي ما يقال عن "خوله بيذه ؟
 - كيف لم اسمع والاكراد انفسهم يقولون منذ سنوات
 "خوله بيذه" لا أعداء له الا الحكومه وهو يتصيد أفراد الشرطه
 ولم يقتل حتى الان " أغا او كوخا " اعوذ بالله .
 - اقول .. هل يقبل احد من الناس أن يصبح شرطيا
 ويعرف بانه مههد بالقتل لولا الجوع !.
 - ولكن .. ولكن ياساره .. "خوله بيذه" من سنوات كان
 رجلا متدينا مثل بقية الاكراد الا أن حادثة حولت منه الى قاتل!!
 " يقول الاكراد ان أحد أخوة " بيذه " كان مريضا عندما
 جاء الى بيته شرطي ليبلغه بالالتحاق بالعسكريه فتوسلت أمه
 بالشرطي وحلفت له بالقران الذي كانت تحمله بيدها أن أبنيها
 مريضا وسيراجع التجنيد بعد شفاءه الا ان الشرطي كما يقولون ..
 واستغفرالله "دفر القران برجله " وحين سمع "خوله بيذه"
 القصه أطلق النار على الشرطي وقتله وأنهزم الى ألبال ومن ذلك
 الوقت وهو هارب وقد أقسم أن يقتل كل شرطي يراه أمامه !!"
 - لا حول ولا قوة الا بالله..
 - والشرطي الذي دفرالقران الكريم " استغفر الله هل هو
 كرديا او عربيا ...
 - كل أفراد الشرطه هنا اكرادا يا ساره .

47

نعمان ..نعمان ..?
 - ماذا تريدین ؟
 - تعال خذ الحلاوة للجامع ؟
 - لن اذهب ابدا "للمكادي ."

- سيعاونك حمه لو وصل .
- قلت لن اذهب للوسخين فهم يهجمون علي
ويضربونن لياخذوا الاكل بالقوه !
متى ياتي الصيف ياربي واتخلص من "المكادي ..!
- ولك شنو صيف .. تعال روح للجامع والليله هي
الجمعه وبابا شيخ في السرايز. هيا يا ابني ؟
"تنهمك امي ساعات في اعداد الطعام لفقراء الجامع ولا يكادوا
يروني احمله لهم حتى يتصارخون " خيرا ..خيرا " وهجموا
علينا مثل المجانين ..
قالت بعصبية ..
- تروح .. يعني تروح واذا لم تذهب فاني ساقول الي
"كولدراڤان" ان تتوقف عن تدريسك وتترك لك صورك .
افز عني التهديد فقلت ..
- واذا هجم "المكادي" فأنني ارمي الاكل وانهزم .
- ها.. وصل حمه "
" ما ان وصلنا بوابة الجامع حتى هجم علينا "المكادي" النائمين
بالعشرات امام جامع "كاكا احمد" فتركت الزنبيل وانهزمت .
صاحت امي ..
- وتركت "حمه" وحده بين "المكادي".
- ماما ..المكادي عندهم " عوجيات" طويله ما أن شاهدونا
حتى راح واحد هم يجر الاخر .. ففتناثرت "الحلاوه" على الارض .
- وتنهزم ؟
- "ماما " "زيور شيت " هجم علي يريد خنقي .. والله لن
اذهب للجامع ابدأ .. اولاد الكلب...!!
اص .. اص ولا كلمه
دمدمت امي ..
" اتعب واعمل الحلاوه واتمنى ان يقرأ الفقراء عليها الفاتحه
وحضرتك تلقي النعمه على الارض وتنهزم .. يا جبان .. "
"وصل حمه وقد تمزفت اردان سترته و ما ان راني حتى صاح
بي..

- توش عيب ناكبي " ثم " هجم عليّ وجرني فوق الثلج " -
- ولكم اش صار بيكم تتعاركون مثل كلاب السوق.. ولك
نعمان بس.. ها .. ولك حمه !.
"جرني حمه فكومت على راسه " تنكه " الرماد فنطحني في
بطني .. "

- لك هاي شكو ..؟
" كانت جزمه ابي قويه ومبلله بالثلج فاصابني
"الباسطون على اذني .. اخ ..!.. .. أخ ..
" قادر " !!
صاح ابي بصوت عصبي ..
- خذهما والقي بهما الى الطريق فلن أقبلهما الليله في

البيت. !
"كان وجه حمه متسخا و"ملا قادر" يدفع بنا الى غرفة القلمون !
- كوره ..مردو مريه .. لا ..
" ضحكت وانا امسح دموعي عندما رايت حمه ملطخ بالطين
وبراز الدجاج والفحم ."
- " توش وه كو قله رش "
زمر حمه ..
- توش قه له رش "
- القى " قادر " الكنبار "الذي كان يغطي قفص الدجاج
علينا".

48

أسترسل صوت البوق حزينا والعلم يرفرف نازلا من اعلا
السراي .."
فاوقفني "عبد المنعم" وقد وضع يده على صدري ...
- عليك ان تقف ولا تتحرك عندما تسمع البوق فهم ينزلون
العلم .

- ولكن الاكرد يمشون ..
 - هم لا يحبون الحكومه ..
 - ولماذا لا يحبونها ..
 - يريدون حكومه كرديه .. مهاباد " اخرى في العراق!!
 و لكن شيخ جلال قال لنا...
 - الايرانيون هم من حارب "مهاباد" والعراق شنق الضباط
 الاكرد الوطنيين !
 "كنا قد راينا خالي عبد الرحمن قاعدا في مقهى "شهرزور"
 فطلب مني عبد المنعم الجلوس معه وكنت خائفا ان يراني مدير
 المدرسه !! "
 قال .. عبد المنعم لعبد الرحمن ..
 كنت احدث نعمان عن الاكرد الذين اعدمتم الحكومه في العراق ..
 فقال عبد الرحمن ..
 - ولماذا اعدمتمهم ؟
 - لانهم خونة عملوا مع روسيا الشيوعية على تأسيس
 حكومة كردية في العراق!!
 ولو كانوا مخلصون للبلاد لتعاونوا مع القوميين العرب ضد
 بريطانيا لتاسيس حكومة وطنية ولكنهم لا يحبون العرب ..
 قلت "شيخ جلال" .. يقول ان العرب خانوا تركيا واتفقوا مع
 الانكليز ولذلك لا يثق الاكرد بهم !
 - أهكذا يقول شيخ جلال دمدم عبد المنعم ...
 كان لك ان تقول له ان الاكرد انفسهم باعوا جماعتهم وان
 مصيرهم سيبقى قلقا ماداموا يعرضون العراق للبيع بين ايران
 وتركيا واسرائيل .
 - اتعرف ان وزراؤهم " كانوا "بزازين وباعة فحم و تتن
 ولنكات " وفوق ذلك عملوا وزاره للبحريه لارضاء احد شيوخهم
 وليس عندهم بحر..هه .. " حكومه قشمره !!
 - وما يقوله شيخ جلال ؟
 - شيخ جلال كردي متعصب ..
 - وما يعني متعصب ؟

- يعتبر الاكراد ارقى شعوب العالم .
- وشيخ محمود ؟
- شيخ .. لا يعرف غير "البرنو والتتن" يريد بها قيام
حكومته يا عبد الرحمن..
- فالحكومة ليست " تتن ولا بنادق" انما بناء تربوي كبير.
- ولكننا نعيش معهم .
- صحيح ولكنهم لا يحبونا وعندما يقدر
على محاربتنا سيلقون بنا خارجا.

49

- قال خالي غاضبا ..
- دعي ابنك لاهيا بالرسم لانه سيصبح بالرسم فقط مادام
المعرض زين والحلوات ..
- فبدأت امي عصبية ..
- اقول .. بدلا من هذا "اللغو" كان لك ان تشجعه وتقول
له فقط كلمه حلوه و توجهه ان كنت تهتم به .. هل اصبحت تغار
منه ؟
- اغار منه ! انت لم تري ما فعلته الكرديات من افعال !! وما
قالوه عن صورة "كول دران" .. "ابن مدير الشرطه صاير
حضرته .. لا اعرف ما اقول .. امسويها عبالك جايه من "الميدان"
- اخجل يا عبد الرحمن .. هذا الكلام لا يقال امام طفل ..
- طفل .. هه .. ما اخافه ان يقع في مصيبيه !
- "ارتفع صوت امي "
- راح "سالم وجاء عبد الرحمن" .. والفرحه صارت حسره !!

ابكتني كلماته فبقيت لوقت متاخر احاول سماع صوت ديزي الا ان
التلفون ظل يرن بلا جواب !! "

- أترك التلفون يانعمان وساحاول الاتصال بها غدا ..
وعليك ان النوم لان "كول دران" ستأخذنا غدا الى " سرجنار"
"لم اصدق ذلك في البدء الا انني شعرت بالامل لانني سالعب
واسبح غدا مادامت " كولدراان معنا " .

50

"في الليل "رايت "ديزي" في ثوب اسود .. لم تعرفني وحين
عندما دققت الباب سألتني "ماري" وكأنها لاتعرفني..
- ماذا تريد ؟
اوقظتني أمي من النوم ..
- لماذا كنت تصرخ يانعمان؟
- ماما... ديزي لاتحب اللون الاسود فلماذا كانت تلبس
ثيابا سوداء !
- لو نمت فرحا لما رايت ذلك!!
"ظل في ذاكرتي احساس بان "ديزي" تزوجت .. وستغيب مثلما
غابت " مارسيل " !

51

فأجنتني دخول جدتي وانا الاعب الثعلب مع صحت وانا
اترك الثعلب ...جدتي جدتي...!!
"احتضنتني جدتي وبكت فخرجت امي من المطبخ متفاجئه "
- وسالم ؟
- يا سالم !!

"صاحت جدتي متألّمة .

" سواهه ..! "

" تلهينا ننبش اغراضها ولم يكن في الحقيبه غير "السفوف "
ومسبحتها السوداء ومجموعه من الادعيه المجلده بجلد ناعم "
- لقد هربت بنفسي !!

" خير خير "

- اكو خير من اخيك !!

- اتركي ذلك الان يا امي فالاولاد حولك فرحانين !!
وتصايحت امي..

" ولكم "الواوي" اكل " العليشيش "

" كان الثعلب قد وجد نفسه طليقا فاتجه الى قفص الدجاج .. "
- كيف تترك الثعلب وحده !!

52

- ولك من مشط شعرك .. صاح خالي..

"واي واي .. اشو.. كل يوم قصه جديده "كردية..

نصرانيه ..يهوديه وعربييه واليوم تركمانيه وعندما تصير
شابا ماذا تفعل؟ والدروس والبيت !!

53

تدرين..؟

- وصلت برقيه من " حلبجه" تقول ..

" ان معركة وقعت قرب "جسر عبد الرحمن" عندما اشتبكت
الشرطه مع مجموعه من " العصاة " كانوا يريدون مهاجمه
القرية ونهب محصولاتها وقد قتل اثنين من الشقاة وجرح اربعة
من الشرطه وانهزم "الشقاة" باتجاه الحدود !!"
ويقول رئيس عرفاء المسلحات..

وحتى الان لم يجر التعرف على القتلى!
قالت امي ..

- ولحساب من يقتل كل هولاء وزين.. محمد سعيد في
كركوك والا كان عليه ان يمشي ليقف على الوضع هناك!
قل لي يا "عبد الرحمن" ..

ما الفائدة من التعرف على القتلى ؟

- "العصاة يا "ساره" لا يهجمون الا متكرين والشرطه بعد
كل حادث تسارع الى "الاغوات والناس المعروفين " ليتعرفوا
على القتلى بعد ان عرفت الحكومة ان سكان القرى يعملون في
نفس الوقت مع "الحكومة ومع العصاة " حفاظا على ارواحهم
وممتلكاتهم وقد انتبعت الحكومة مؤخرا الى هذه النقطة فالقت
القبض على المشاركين .."
"رن التلفون .. كان صوته عاليا "
امسك "عبد الرحمن" بالسماعه واصفر لونه ..
- " بيك " !

" لقد تعرف رجال العشائر على قتلى العصاة وابشرك بان
"خوله بيذه" واحدا منهم .. فهل يوافق سعادتك على ابقاءهم
الليله هنا حتى تتم اجراءات الشرطه ..
وتعرف "بيك" أن الساعه متاخره والطريق مقطوع من الثلج ..
امرک " بيك " ؟

- صاح خالي بصوت فزع ..
ولكم..هذوله تصوروني "محمد سعيد" فماذا اقول التلفون انقطع
" شرب خالي سجاتان سريعا وقد تبلل بالعرق "
وتمتم ..ولكم اش جابني على التلفون !!
"من الغرفه الجانيه ارتفع صوت امي.."
- ها .. متى يرجع محمد سعيد ؟ "
- ولج يا محمد سعيد .."خوله بيذه" قتلوه !!

- له كووي هاتوا ؟
 - " خوله بيزه "
 - خوله بيزه .. "سه رم ده سووي" *
 هز الشرطي راسه ..
 خدا !
 قالت امي بعصبيه ..
 - سالك بابا شيخ اين كنت وتقول له رايت "خوله بيزه" !
 - ماما ..
 " كاني اسكان " طلعت كلها ووقع حائط المدرسه والطلاب
 "يطفرون" فوqe .. كل واحد منهم يريد رؤية " خوله بيزه" !
 - و طلعت معهم ؟
 "تقطع صوت امي من العصبية"
 - أي ماما .. مو.. كل المدرسه طلعت ولم يبق احد فيا
 الصفوف ..
 - وتترك المدرسه وتروح الى " خوله بيزه "
 - "شاهو " اخذني ولكنني لم اقترب من المكان الذي
 انزلوا "بيزه" فيه وقد القوا به امام السراي وكان ملفوفا باوراق
 "الغرب" * !
 و "شاهو" قال .. هم قتلوه من يومين مع صديقه
 "عبدول" والشرطه دفنتهما بالثلج.. وانا رايت
 شعر "خوله بيزه" احمر طويل ووجهه مغطى بالطين
 ورائحته مثل "الفطيسه" فلعبت نفسي وتقياأت ورش "
 جرجيس" على وجهي الماء وبلل راسي وقال لي ..
 يله روح للنبيت ولا تطلع !
 اقول ماما.. لماذا كان الاكراد يصيحون "نابيه" ليش
 ميصير !!..

"حمه" بوجي "فاته خان كريا" الا تسمعيها تبكي؟ صاحت امي ..
- برو .. وشوف منومات عدهم ؟
"ركض حمه وسمعتة يفتح باب الخرابه وعندما رجع قال
مرتبكا ..
- خاتم "فاته خان" تبكي خوله بيزه !
هزت امي راسها ..
- هل.. خوله بيزه من اقربائها ؟
" ماما ..كل الاكراد اليوم بيكون "خوله بيزه "
اش اش !

56

وصلنا "عبد المنعم" مضطربا ..
- ها .. خير.. ؟
- امي.. تلقت تهديدا من نساء المحله !
- تهديد !!
- أي ..تهديد ؟ وقالوا لها العرب قتلوا خوله بيزة !!
واليوم جاء دوركم !! وقد منعت امي اخوتي من الخروج من
البيت!
- وكيف فهمت امك هذا وهي لا تعرف حرفا من الكردية
قالت امي. ؟

57

دخل "عبد الرحمن" البيت على خلاف عادته فصاحت امي بقلق..

- ها خير ..

- لا.. ماكو .. شي .. بس.. اليوم اجتمع "محمد سعيد"
بالمعاونين والمفوضين وقال لهم ان يشددوا الحراسه وينشرون
خبر موت "خوله بيزه" لان الاكراد لا يريدوا ان يصدقوا قتله !

- وبعد ..

- و"الشعبه الخاصه" تعتقد بان الشيوعين وراء
الاشاعات والمشاكل لهذا السبب طلب "محمد سعيد" من المراكز
والمخافر تشديد حمايات.

قالت امي..

- كيف لم يصدقوا قتله .. الم يرى الاكراد "بيزه" ممددا
امام السراي !!

- اي .. نعم .. بس.. هم يعتقدون بان "خوله بيزه"
"سكمانى" ولا يخطي الهدف ويطلع من المعارك كلها
سليما ولا يمكن قتله!!

58

- ولك هم رجعت تنهزم من المدرسه وتتعارك ايضا ؟

- ما .. لن اذهب الى المدرسه بعد اليوم .

- وهل ضربك احد الطلاب .. احك لي؟

- لا .. ولكن .. المدير قال..

"كورم" لا تتكلم مع الطلاب ولا تدخل الصف وتعال الى

غرفتي او اقعده مع الفرلش لاننا نخاف عليك !!!

"عبد الرحمن .. عبد الرحمن .. تعال اسمع !!!"

قال "عبد الرحمن" ..
 - عندما سألت مدير المدرسه عن سبب غياب نعمان قال
 هو تعبان وعصبي ويتعارك لاي سبب فضروري ان يبقي في
 البيت.
 - " سعيد ابو بكر" .. قال ذلك ..
 وقال ..
 " انخفض صوتهما ولم اعد اسمع شيئا .."

- كوره جون ؟
 "جرني حمه من قميصي.."
 - نعمان بو قسه نا كه ي ؟
 - ما أكاد ادخل الصف حتى اسمع الطلاب
 يقولون "باوكم" "خوله بيزه" كشتوا !!
 واقول لهم.. بابا.. كان في " كركوك" وهم لا يصدقون
 ويقولون سنذبح العرب !!
 - جون ..صاح حمه غاضبا ..
 - عه ربا همويان كشتوا ... خوشا !!
 " دق حمه على صدره "
 - ان كانوا يريدون قتل العرب فعليهم ان يقتلونني
 معهم .. جوي بيكره نعمان.. لانني ساقتل كل من يقول هذا لك
 ومن هذا اليوم ساذهب معك الى المدرسة !!
 - ولكن المدير لا يوافق ولا المعلمون !.

" عندما يغضب "حمه" يخلط كلماته الكرديه بالعربية ويحمر
وجهه ويدق على صدره "

61

- وشيخ جلال ما موقفه منك بعد مقتل "خوله بيزه" ..
- هو في الايام التي راحت صار ما يحكي معي ويقول
للطلاب كلما دخل الصف "خبر دار" ويشير براسه الى
حيث اقعده *
- اخاف هذا ينقل الاخبار الى ابيه "
- ولكنه يعرف بانك لا تعرف اللغة الكرديه فما الذي غير
رايه !
- ها .. نسيت "شيخ جلال" نزل بالسب والشتم على
"شاهو" واتهمه بنقل الاخبار الى العرب فظل شاهو يبكي
ويصيح ..
" نه ي .. نه ي منم كوردا "
وحتى "شاهو" قال لي .. ابتعد عني لانهم صاروا يهددونني
ويصيحون علي توش "عه ربا" !

62

- شوفي ساره .. طلع ابنك حيال وما يريد المدرسه و
يريد .. بس .. يرسم ويطارد البنات ..
- ومن اين سمعت ذلك ؟
- سمعت .. والاكراذ لا يكذبون .. ابنك يكذب !

- "خلي الله بين عيونك" لانك لم تسمع "عبد المنعم ولا
حمه ولا بابا شيخ" ولم تصل الى المدرسه .. فمن هو الكاذب ؟
" زمجر خالي وراح يجرد دخان سجارته بغضب"
ثم ان الولد تعبان ولا اريد منك ان تتدخل ؟
- والحل ..
- سارسله مع امي الى "الجزيرة بعد الامتحان ليرتاح قليلا

63

قالت جدتي ..
ومن هذا اليوم لن تصعد الى السطح ابدا .. هل فهمت ؟
- وماذا اقول لأم "كولدران" اذا طلبت مني ان ارجع
"القلمون" وهو يحب اللعب مع دجاجاتنا !
- هوه !!
- و"غزوان" يا جدتي هو كل النهار فوق شجرة "
القزوان" وياخذ معه "العرموط والعنب" ويتفرج على بيت
"حمدي بك" لم لا تمنعني من الصعود ؟
- غزوان ولد صغير مو مثلك !
- اذا كان هذا صحيحا يا جدتي فلماذا تقولين لكل غريب
يدخل بيتنا . أي .. ونعمان بعده جاهل ؟
- وتريد اتصير رجأل برأسنه ؟
"من وراء الحيطان ارتفعت اصوات نسائية .."
نعمان .. نعمان " مريشك .. مريشك " *
- جدتي .. بيت حمدي بيك يصيحون علي ..
وهذا صوت " باكرزه ونعيمه خان " هم يخافون من الدجاج
ويريدونني ان ادخل الدجاج .
- وتريد ان تروح ..؟ صحيح قلت لك ساعد الجيران ولكنني
لم اقل لك اجمع بالدجاج .
نعمان .. نعمان ؟

- جدتي .. " كولدراَنَ تصيح علي !
- " دكيل باغ " صاير ابن بنتي " ساروح بالدجاج " !!

64

"استمرت " الرشبا " تهز الاشجار والابواب ولها اصوات
مخيفة.."

" شدت امي راسها بشريط عريض وانا اكره رؤيتها
معصوبه الراس وكلما رأتي لا انظر اليها تزداد ثورتها"..
ولك.. أنا مريضه.. فماذا تريدني ان أفعل
- والرشبا تطحن راسي و تصيبيني بالصداع "
- ولم لاتروحين للطبيب ؟
- واتركك تلعب كما تريد فلا تبقى على دجاجة ولا
"عليشيش " !!

65

"تنهدت جدتي وسمعتها تتحسر و يدها تبحث عن "
قوطيه المزبن "فأختطفت سجاره اشعلتها لها وما ان ابتلعت
الدخان ورجعت تنفخه من فمها حتى عادت تنهد وكأنها تكلم
نفسها ..
" كلما تقدمت بي الايام ازدادت الهموم والمحن حتى السيكاره
اصبحت مهانه يا نعمان ان لم تنتبه لي وتذكرني وتشعلها لي..
بمن اتوسل والاولاد ليسوا مثلك وامك لاهيه بالبيت.. لقد أصبحت
لا ارى القوطية ولا "الجكارة ولا الشخاطه" فقد انطفأت عيوني
واصبح الموت بالنسبة لي حق ولم تعد الحياة عندي تستحق
الاستمرار .. مهانه ؟
" اشعلت لها سكاره اخرى ولكنها ظلت تنفخ الدخان "

- شوف ابني نعمان..اليوم تبدل كل شيء وتغيرت الاحوال
ومات من احبهم ولم يبقى لي من الحياة غير القليل..!
"شعرت بيد جدتي تبحث عني واصابعها تفرك شعري كما كانت
تفعل في " قره تو" وما ان شعرت بدموعي تغسل وجهي حتى
ولولت من اعماقها..
نعمان .. نعمان ..؟

66

ادخل حمة راسه في " كونية الحنطة فكفخته على راسه
واوقعت " الكونية" وصحت به..
- انزعها ؟
- ولك ليش .. صاحت امي .. ليش حمة وين رايح للسيما
تراه يشتغل تحت المطر ؟
- ولماذا يلف راسه بالكونيه.. أنا اموت منه ؟
" غريب هذا الولد .. لايعجبه العجب ."
قال حمة وهو يدفعني من الدرج..
" كوره "باكردين " !
- جي باكردين ؟ قلها بالعربي يا حمة قالت امي ..
فاشار حمة الى السطوح والاكراد يجرون بايديهم "رولات" من
الخشب والصخر عليها "
- روله !!
- وتريد أن تصعد حتى تدفع الروله ؟
- ان لم اصعد وامشي "باكردين " على السطح وارش التبن
ستخر علينا !!
- وبهذا الجو البارد.. انا لن اسمح لك بالصعود. "ولك تريد تموت
والليله مثل يوم القيامة.."
- بو جي ..؟
- نه ي .. نه ي..
- وكم سيبقى حمة في المطر يا ماما ؟

- يقول انه باق ما دام المطر مستمرا!
"امتلات السطوح برجال لم تظهر منهم إلا أيديهم .. يتحركون بلا
توقف تحت زخات المطر.. يجرون "الباكردين" وهي تطلق اصوتا
مثل اصوات اجراس الاغنام .

" اقتربت جدتي من امي واشارت الى السطوح.."
- سبحان الله ..هم يفعلون مثلما يفعل "عرب الجزيرة" فعندما
تمطر السماء يبقى "العريان والبدو" الليل كله يحفرون السواقي
حول الخيم ويترخون حبالها حتى لا تطبق الخيام عليهم.."
واضافت مبتسمة ..
"العرب والاكراد " مبتلين !! بس الافنديه خلصانين وصدق لو
قالوا..

" أيكد أبو كلاش ويأكل أبو جزمه *"
جدتي ؟

- لماذا يهددني خالي ويقول.. بعد لا تصعد للسطح.. السطح
عيب اذا كان هذا عيبا فلماذا يصعد هو وقت الظهاري الى غرفته
في السطح !؟

اش اش ..

- ومتى تكون لي غرفه مثله في السطح ؟
اش اش

-أقعد راحه وعندما تبطل من مطاردة الدجاج سنقول لباكره خان ان
تبني لك غرفه.

- وبعد ؟

- واذالم تبطل من " صالح الحرامي" او تتركه فاني ساقول لعبد
الرحمن ان يؤدبه..ها لماذا سكت ..؟

- وخالي "عبد الرحمن" من يؤدبه ؟

- ولك اسكت ..عيب.. هذا خالك مثل ابوك , فكيف تقول هذا ؟

- ولكن .. ولكن .. يا جدتي ؟

- ماذا ؟

- اقول ..لا لا ..اقول .. جدتي ..

"البارحه .. ظلت الدجاجات " توقوف " ثم سكتت مره واحده خفت
ان يكون الثعلب قد خنقها فمشيت على رؤوس اصابعي وبيدي
عصا ... وووو !!...
- و ماذا ؟ لم لا تحك ؟
- اخاف؟
- تخاف ! وانت مثل " فرخ ابليس " ماذا رأيت ؟
- ها .. شفت خالي بهدوم الرياضه وبيده " سطله ماء " يرش
بها الدجاج و يقول لهم ..
" ولكم شوفو .. هسه راح اسكتكم وما اريد اسمعكم بعد
توقوفون فسمعت صوت أمراه من القفص تضحك و تصيح
بالكردي .. " هيرا .. هيرا " يالله يالله بسرعه وكاكا أحمد
ياجدي!
- ولك اسكت ...
- وتعرفين منو شفت ؟
" جوانا " نازعه نفوفه الاحمر الذي خيطته لها امي
" مشرور " على القفص .. أي .. ورجلين " جوانا "
بيضه مثل القند ..
- أي .. وشفت خالي يهجم عليها ويصيح بالعربي .. ها .. راح
اكلك!!
- ولك نعمان .. بس .. اسكت عيب!

67

قالت أمي .. وقد بدا على " وجهها التأثر "
- لماذا ارجعتم الاكل ؟
- ماما .. "ماكو" ولا مكدي بالجامع..
- ولكم .. وين ولوا ؟

خاتم " ..
 - عه به خر " قال لنا ..
 هم راحوا الى "شهره زور وبنجوين " .
 - وماذا يعملون هناك ؟
 - هم يشتغلون بالحصاد !!
 - انت متأكد ..
 - به لي ..خاتم وسيرجعون في الشتاء ..
 " كان المنات من الشحاذين يتكدسون حول اسوار "جامع كاكا
 احمد " تحت الامطار والثلوج يتوسلون العابرين فاذا اقبل الصيف
 ذهبوا الى المزارع ليعملوا في الحصاد وقطف العنب والفواكه حتى
 نهاية الصيف وبعد ان يخلص الشغل يرجعون الى السلمانيه حتى
 "يكدون " !! وكل واحد يرجع الى مكانه المعتاد امام الجامع " "

68

"ارتفع الصياح والهرج فاستيقظت جدتي على الضجه"
 " ها.. قعد المحامي .. "!!
 - لماذا تبكي يا نعمان ؟
 - هم يقولون لي لا تطلع .. لا تروح و لا تتكلم مع الجيران
 ولا تمش مع أحد .. عيب.. عيب !!
 عيب عيب !!
 ضربت جدتي .. طرف الصينيه قائله..
 " ايبين محد اتعلم بعد .. وانت الافندي ؟
 "اشارت الى " عبد الرحمن" ..
 - هل نسيت ما فعلته بالمدلل ؟
 هل أنسى عركاتك معه وانت تصيح به لا تطلع .. لا تسبح
 وراح الولد راح .. قتل نفسه !

واليوم تريد ان تجدد " القوانه " بس.. انت عليك حلال ويه
 "جوانا .. لو ويه" رعنه " لو يم الدحاج !!
 - أي.. وشنوالفرق ..مو انت مثل اخوك " ابو جناجل"
 لو بيك خير كان تزوجت ؟
 - ولكم هاي .. اش دتخربط ..?
 " صاح عبدالرحمن ."
 " رايته يرتجف ويدخن بعصبيه وقد أصفر وجهه "
 - أخربط مو.. تره اقول باع واشك الكاع !!
 وانت ... صرخت على أمي..
 - يبين طابكه ويه اخييك ويبين اتريدين تستورثيني
 بالدموع حتى يصيبك العمى مثلي.. مو؟ شوفي من اليوم اللي
 يحجي ويه نعمان راح اسوي به العجب . !

69

سالني حمه ..
 - لماذا لم تعد تحكي مع "كول دران "
 - هي قالت لي ان "صالح خوشوي" سد عليها الطريق
 وسمعها كلمات " نه خوشه" وانت من علمته ذلك !!
 "تساءل حمه .." و كو " ؟
 - أ .. هو قال لها " " يه ك ماج امبينه " !
 - " نه و سه كبابي ته ره س " !!
 وبعد ذلك قالت لي "كولدران "
 "توش منداله " وانا لن اكلمها بعد اليوم ادا..!"

70

- متى تاخذيني الى "مكحول" يا جدتي ؟
" تنهدت واشعلت سجارتها "
- هل بداعت تشعر بالضجر من السليمانيه ؟
- لا شيء هنا يا جدتي.. غير المطر والثلج
وقد مللت من الشتاء وحتى أنت لم تعودى تحكين لي !!
- خلصت " السوالف" يا ابني وبقت سوالف سالم
و"سالوفه" سالم ما تخلص... فالهم والمرض والولد "هدموا
حيلي " فلم اعد قادره على المشي من "الروماتيز" وخلصت
روحي من الدواء..
- أي .. وبنهاية العمر يتركني سالم ويبدلني بمرته ..
أوف .

"بقيت صامتاً "
اليوم اريدك أنت تحكي .. اشلون تشتغل بالمكتب .. لا تضحك من
حكاياتي يا نعمان ؟"

- الاولاد يا جدتي.. يقران ويتعاركون ..
- والمعلمون ؟
- شيخ جلال.. يحكي لنا عن الاكراد
ويقول "شيخ محمود" هو ملك الاكراد ..أي..هل تعرفين
شيخ محمود يا جدتي ؟
"هزت جدتي راسها واشعلت سجارتها ."
- سمعت عنه يا نعمان !..

"كان أخوتي.. سبعة أولاد يعيشون معنا في البيت "عوجان
ومصلح وبرجس وشاكر ونفود وهزاع و و " وبيوتنا ذاك الزمان
ليست مثل بيوتكم الان.. هي " "دامات من الطين" وليس عندهم
ما يشتعلون به غير "القجغ" وزراعة " الشطاطي" في
الصيف .*وكانوا يحملون "التتن" من الاكراد والحكومة تاخذ
منهم " خاوه " وكان "عوجان ومسلط " ينقلونه على البغال حتى
لا تسمع بهم الحكومة ..

وفي احد الايام وصلنا " نذير " يقول ان الجندرمه راح
"يدوسون بيوتنا فاسرع "عوجان ومسلط "ينقلون التتن من بيتنا

الى خرائب " شيشين " وهي قيعان لا يصلها احد لانها مليئه
بالجن والعفرات!!

"وعندما وصل الجندرمه وعلى رأسهم "يوزباشى"
تكاونوا معهم بالماطليات واستمرالعراك بعض الوقت وتمكن
الجندرمه من قتل"مسلط وابنه" ثم خلصوا المال ونقلوه بواسطه
" "الاكلاك" وانهمزوا الى الجزيره ثم رجعوا بعد ايام للنثار من
"العصملي" ودخلوا الولاية وصعدوا الى بيت "اليوزباشي"
وامروا زوجته بالسكوت وقتلوه وابنه انتقاما وما ان سمع
العصملي بقتل اليوزباشي وابنه حتى هجم الجندرمه على بيوتنا
وهدموها وحبسوا الباقين فانهزمننا نبحت عنم يأوينا وكانت اياما
لا تنسى بين الجوع والخوف والبرد .

اما "عوجان وبقية اخوتي" فقد وصلوا للاكراد وطلبوا
"الدخاله" من الشيخ محمود فقبل دخالتهم فظلوا عنده مده من
الزمن وبعدها صاروا يهاجمون.. المخافر والقرى ويقتلون من
يقف بوجههم ويخربون الانهار والزرورع فضج الاهالي من هذا
البلاء وكتبوا "تساكر" و"عرضحالات" الى السلطان عبد
الحميد" في" اسطمبول" يطلبون لهم العفو لانهم شجعان
ومظلومين ولا يخافون !.

وبعد سنه وصل " فرمان" من السلطان عبد الحميد بالعفو عنهم
فرجعوا وباداوا يعمرّون البيوت التي هدمها الجندرمه ويشتغلون
بالتجاره مع الاكراد .

فكانوا ياخذون منهم " الجوز والتين والزبيب والفحم والاشباب
" وينقلونها بالاكلاك ويرسلون لهم" الركي والبطيخ والتمر".
وبقى أهلي يكافحون الحياة الصعبه الجوع والعري دون ان يشكو
ولم ينكسوا رؤوسهم وظلوا شجعانا لا يهابون احدا ولا يخافون
الموت حتى" طب" الانكريز . !

- و "شكاك البطون" يا جدتي ؟
- كان يعيش في " الخليفة" وعنده "زنجيل " به"
شص " يصيد به الاولاد الذين يخرجون الظهيره ويتركون بيوتهم
ويشق صدورهم ويأخذ قلوبهم وهي قلوب " تازه وترفه" وبعد ان
ياخذونها يتكونها تتيبس فيدقونها بالهاون و يخلطونها مع ادويه
اخرى ويستعملونها " لهوم " للمرضى " مثل لهوم " عيد زكريا
" وكان " شقاقوالبطون" كلهم من "العجم والهنود لانهم كفره
ولا يخافون الله !

ويقول " العارفة " ان احد " أبناء ملك الهند" كان
مريضا فوصف له الاطباء قلوب الاطفال , فارسل عددا كبيرا منهم
الى ولايتنا لان ماؤها من الجنه ونخلاتها من الجنه وشمسها لا
تشبه شمس الكفره وكان يعطي "ليره من الذهب " لكل من ياتيه
بقلب و لد صغير وضج الناس من أختفاء اولادهم وشكوا للحكومة
عن الحالة فارسلت الحكومة العساكر والشرطة فلزمواالكثير منهم
وصلبوهم فتخلص الناس من شرهم ولم يبق من احد الان !!
- واين كانوا يعيشون يا جدتي؟

- يعيشون في المغارات والكهوف ولا يخرجون الا
وقت الظهيره لان الناس ينامون ولا يبقى في الطريق من احد,
وعندما يرون صغيراً وحده خرج من البيت دون علم من أمه"
يعطوه "حلقوم وملبس " ثم يذبحونه !!
- عال عال ..

- صاح خالي عبد الرحمن ..
" السره" وصل الى " غزوان" بعد "نعمان ""ماما " أتركي هذه
الخرافات

" نهض غزوان وحمل "قوطية التتن" وحاول ان يلف لها
سيجاره فزمر عبد الرحمن..

- لا.. راح نحصل .. واي واي .. ؟
الا ان " غزوان" ازداد الاقتراب منها متوسلا في لهفة ..

- بيببي..
- وبعد احكي لي عالسلوه !!

- شيخ جلال .. يحكي لكم بطولات كاذبه لا اعتقاده بانك لا تعرف "كردي" ويوم يعرف بانك تعرف لغتهم راح يسد حلقه ويسكت

- ولكن ولكن.. بابا يصلي مع شيخ محمود بالجامع ؟
- أي .. واذا صلى .. قال عبد المنعم ..
شيخ محمود يعرف بان الحكومه قويه وعندما يصلي مع ابيك يتظاهر امامه بالاسلام .. !

" منذ ايام وجدتي تنن وتتعبذ وتدخن بافراط وتنهض في الليل ونحن نيام وتبدا في محاوره نفسها بصوت مسموع .."
- سالم .. لماذا تركنتي ؟ " ثم تخرط في بكاء مر"
وهي تردد..
" قلبي على قلب اولدي وقلب اولدي على حجر" .

فأجنتني أمي متساعلة ..
- لم تنم الليله الماضيه.. أهنالك ما يؤلمك او يشغل بالك ؟
- جدتي تبكي في الليل ..
- جدتك !!

- هي لاتنام وتصيح " سالم ..سالم"
وتريد الرجوع الى الجزيره !!

75

- أنت جانعه؟

- عاريه ؟

- لا ..

- هل سمعت باننا لانريدك معنا ؟

- من قال هذا !

"قالتها بعنف وعصبيه "

- اسمعي يا أمي.. أن كنت تريدين الرجوع الى "سالم"

فلن نمنعك لانك اردت ذلك باختيارك ..

- أي.. يكفراللي اينفس عن همه.. ليش أنا عايشه أبجس

لو وين .. ربيت وتعبت وتجي مره غريبه تاخذ "سالم".. فكيف
اتحمل؟

- أمي.. سالم رجل تزوج ليبي له بيتا وعائله وعليك ان

تعرفي قدر نفسك فلا تتذلي ..دعيه يتمتع بزواجه لانك لا تخسرين
وانا ابنتك وهؤلاء اولادك !!

" قاطعتها جدتي " صانحه .. "

- شوفي "ساره" ..

" يوم يتزوج اولادك راح تحسين ما احسه انا وراح تعرفين

الضنه اشكد غالي وتترحمين علي !! "

- صحيح يا أمي.. ولكن عيب يا أمي ..

وكل يوم انت في محنه فلماذا تعذبين نفسك أذ كان لك ان تقولي

اريد أروح ..انا كفيلة بتوصيلك اليه !.

"أرتفعت الاشارات والسباب والصياح"

" ما ان اتصل " سالم " حتى نست جدتي
 " الروماتيز " وتحولت الى الحركة والضحك وراحت تلملم "
 التتن " وتوصي "قاله " بشراء بعض " الكالات " والسماورات
 والجوز والعسل " وراحت تجمع اشياء كثير متروكه في المخزن
 و كلما سالتها امي ..

- واين تذهبين بهذه " القلاقل " ؟
- اوديهه للناس الفقراء ..اي ..لان " الشبعان ميدري
 بالجوعان "
- وترد امي بغضب ..
- والصرر والاعشلب !
- وتجيب جدتي مبتسمه .
- بنتي ..هاي تفيد دوه للعربان !!
- " اخيرا لم تتحمل امي فانفجرت غاضبه .. "
- اقول يا امي..
- منذ شهر تقريبا وانت تننين.. يوم " روماتيزم " ويوم
 عيوني ويوم بكاء واخيرا.. ظهرت الحقيقة فلا مرض ولا اوجاع
 بل كلها من اجل الرجوع الى سالم .. اليس ذلك صحيحا
 " ضحكت جدتي "
- أي.. لانني كنت اريده ان يحس .
- ومن هو الذي يحس يا امي ؟ لقد أثرت حيرتنا بمرضك
 الوهمي حتى جعلت الاولاد يتعذبون و طلعت السالوفه
 والمرض...سالم !
- وماذا كان لي ان أعمل .. الولد وحيد !!
- واي واي..يعني كنت تمثلين علينا .. بس شوفي يا امي بعد
 شهر هم راح تتعاركين وترجعين لنا والمره القادمة سنعرف
 شغلنا معك ..
- " عاد.. وارتفع الصراخ والعياط والدخان !! "

ما كاد الصباح يشرق ويرتفع صياح الديكة حتى نهضت
جدتي تدخن وتستعجلني دون مقدمات ..
- سنمشي الآن

"مرت السياره بين الجبال والوديان والشمس تلهب
ظهري فغطتني جدتي بطرف عباءتها فنمت .
ولم اشعر الا وانا في القطار وقد انتشر الليل .
كنت متالما لانني لم ار "كولدران " ولا "عبد المنعم "
ولكن دوي العجلات وصخب القطار دفعني للنوم .

أثارتنى الرمال والاكواخ وهي تمر امامي بالحزن.. حتى
ارتفع صوت جدتي ..
- لقد وصلنا "بيجي "
"بدت جدتي قلقه تدخن وتتعارك قائله " ..
"ها ايبين هم سواهه بيه , يروح بالدوره ويريدني ويه مرته ..
عوذه !!..

عندما غربت الشمس اخذتنى جدتي الى شاطئ النهر وعلى
طول الشواطئ لمحت جبالا بالوان متربه وغاصت روعي من
الخوف عندما دخلنا احد الاكواخ فبقيت ساكتا ..
سألها "مولان "
"ليله " ليش انت مهمومه و "تدممين " وانت بين اهلك
وعشيرتك .. ابقى معنا هذه الايام حتى يرجع سالم من عمله

واجعلي الصبي مثلما قلت يتونس وبعدها يرجع الولد الى اهله
وتروحين لابنك ...

"ضحك" .. تره سالم ماراح ايظير..؟

80

- نعمان ..منو احسن جبانه لو جباهم؟

- جبال السليمانيه احسن !!

- شلون ؟

- جبال الاكراد مغطاة بالثلج والاشجار

- وليس في "مكحول" غير "سوالف" جدتي .

- عافرم أبني ..

" أمتدت " الشطاطي " مزروعه بالرقى والبطيخ واللوبياء

والخيار والطماطه على طول النهر وكان " السيباط " صغيرا وقد

جلس اربعة رجال على بعد متكئين على بنادقهم يدخنون وخارج

السيباط ارتفع عواء من بعيد.. فمسح "مولان" بندقيته في حنان..

- لتخافي " ليله " لان الولاد" يحرسوننا .. بس ايبيين

رجع " ابو سرحان " جائعا يبحث على " طلي " لو " جدي " !

ها هو هو ..!

ازداد صوت الطلقات وصياح الرجال ..

هو .. هو

" غدي .. غدي *"

- وهل بقت غزلان .. هنا ..

- لم تبق من غزلان يا "ليله" وحتى ابو سرحان انهزم..!

- واين راحت الغزلان ؟

- الغزلان والريم كانتا تملان البريه حتى وصلنا رجال من
بعيد فذبحوها " بالمطر اللوز " !!

81

" مولان " ..
اريدك ان تاخذ نعمان وتفرجه على الجزيره التي سمع عنها و
يريد يسمع عن " السعالو و" الحنافيش " اين كانت تعيش.. و
نعمان سبع وما يخاف مثل ابيه!
" لف مولان " كصاييه " الطويله حول رأسه وحشى
غليونه وبحث في رماد الموقد عن جمرات مشتعله رفعها الى
غليونه ونفخ الدخان "
وحين غابت الشمس .. اشعل " مولان " الفانوس ..
"رايت بعض الخرائب و" الطوف "والحمير التائهه
وغير " جبل مكحول" لم تبق من حياة وقد خيم الظلام .. "
- اتذكرين الدنيا يا " ليله " وكأنها البارحه ..
"كنت انا " عوجان " نوبه " من النوبات أيام " القجغ "
" نشغل بالفشك " فطقت " فشقه " قطعت اصبعاً من رجله فتدلى
الاصبع والجلد ..أتعرفين ما فعله أخوك ؟ عصر " عكة الدهن "
و" دوغها " في " الطاوه حتى عطّب " الدهن وانتشر الدخان
الاسود ثم صب الدهن على اصبعه المقطوعه!!
- وحياة روحه والقادر على أخذ روعي كأني اسمع الان الدهن
يحترق فوق اللحم " شش ششش "
ولم يهتز " عوجان " ولم يتململ وما قال " أخخ " وظل مثل
السبع. !!
" صفق " مولان " بيديه وتنهد "
"صدك" لو كالمو" راحت ارجال الحامضه "السماقي وظلت ارجال
البعصا تنساقى " * "حسافه " " هذوله أيطمهم " التراب !!
" حسافه " !!..

قالت جدتي .. أتذكر " مَسِير " ؟
" كان الرجال يتراهنون على كسر عظم رجل " الطلي " ولم يقدر
أحد منهم على كسرها !!
- اذكر ذلك .. قال مولان !

" كان " مَسِير " لاهيا يشرب قدحا كبيرا من الدبس مثلما
يشرب الماء و ما أن شربه كله حتى لف جدانله وامسك بالعظمه
بيده فطقت بين أصابعه وانكسرت مثلما تكسر " الخياره " فارتفعت
الهلاهل وبدأت " الجوبيه والمطبك " *
" أه .. ما احلى تلك الايام .. "
" نبش " مولان " في الرماد وصب قدحا من القهوه لجدتي فضمت
جدتي شفيتها وتمتت ..

" حتى القهوه تبدل طعامها يا " مولان " ولا اخفيك من انني لم
اضع القهوه في حلقي من يوم اخذ الله روح " أبو سالم " عسى
ان تعيش بكد ترابه فالقهوه و " النجر " أيامنا " كانت " كيف " !!
تنهد " مولان " ..
- ومثل ما تقولين " ياليله " ان القهوه لم تتغير. " حنه " اللي
تغيرنا و ضيعنا " الصحبه "
" وضع " مولان " كفه على راسي " ..

- أهذا .. الصبي ابن بنتك ياليله ؟
- أي .. وابوه كبير الشرطه .. مهموم بالشغل وانا اقول له ..
- أبني .. خلي في بالك ما قالوه لنا يوما .. الدنيا حلم " يوم زين
ويوم شين " فلا تتأسف ولا تنقهر والمثل يقول ..
" لا بو قليل ملك ولا بو كثير هلك " *
والدنيا تريد وتريد والناس تريد .. فيهب الرجال راسه ..
- صدقت يا ام سالم .. !

- وهذا الصبي مثل ابيه يحب السوالف ويحبني وقد عوضني الله
به عن " المدلل " !
" انتبه مولان لكلمات جدتي فسألني ..
- وتريد أتصير مثل ابوك يا اوليدي ؟
- لا .. اريد اصير طيار .. !

- تصير طيار وتطير فوق الدنيا !!
" عجيب يا ليله.. وليداتنا صاروا يتكلمون اكبر منك
ومني.. ومثلي ياليله ما عرفت غير " كيتو" * و" البيجي" وكنت
احس بهما آخر الدنيا ويوم اخذونا "عسكر " طيبت " امي راسها
وهي تتمرغل بالتراب .. " اويلي.. رايعين لبغداد" !!
و"بغداد" ولايه كنا نخاف من اسمهاواليوم "الويلاد " رايعين
جايين الهه .. !!

"حين راني"مولان" اتلفت مستغربا..سألني عما اریده ..
قلت واين السعالو والحنافيش فالتفت الى حيث قعدت جدتي .."
- قولي يا ليله.. هل سيحاسبنا الله سبحانه وتعالى على
افعالنا؟

" مالت جدتي على الموقد واشعلت سجارتها !!"
.. قالت ..

- من سنين يا "مولان" و لم ار أهلي والعيشه تريد واليوم
احس باقتراب الموت وما جئت اليوم الا لرؤيتكم قبل ان اموت
ولييتني لم ارجع فقد ولى الاحباب وتهدمت الولايه !
"راحت جدتي تمسح دموعها و"مولان "
يقول ..لا تتأسفي على شي وتجري " الحصرات " بل اسفنا على
رسول الله .

عاد مولان يتحسر وهويشعل غليونه ..
"لقد عشنا يا "ليله " ربينا وتعبنا و يعرف الله ذلك أتذكرين"
الزور " يا ليله ؟ *
- ابن الحلال !..
- كنا نرعى مره و"تهنا "ثلاثه ايام في "زور" ملئء" بالطرفه
والشوك" ولم نعرف اين نروح ؟
"زور"ينده" * به السبع فاعطينا " الجماسه" " لييره
رشاديه " حتى دلونا الطريق وكدنا نموت من الخوف..

واليوم يا ليله .. هاي " الكاع " اللي نقعد عليها هي " الزور " اللي تهنه به وبنى بيها " الانكريز " الله يلغنهم .. " كيتو " اللي نعيش بيها .. زين .. وين راح السبع والزور والاشجار و" قصر الجبار " و" بير العاشك " وين صاروا ؟
كنا نلقي " الحصوه " في البير فتبقى تططق وقت طويل حتى تصل الماء .. كيف حفر العاشق ذلك البئر وكيف عاش به " " سعلت جدتي فوضعت طرف فوطتها على فمها " حتى " الموقد " والسريير الذي كان ينام عليه حفره من الحجر .. وكنا نسال كيف وكيف .. متعجبين واليوم " بالفتحه " يعلقون السيارة بالكلايب لتعبير " الفراء " " ما نصيح ولا أنجر صلوات . * وكنا نقود الاكلاك المحمله بالرقى والبطيخ ونتصايح .. " عالديلي .. عالخالصي " حتى لا يصطدم " الكلك " بالشاطى وتتشقق " الجربه " نجذف ونجذف وتتورم أيدينا من الجروح وسط الزمهير حتى نحصل على " مجيدي " " اليست لنا الجنه ؟ - والشطاطي ؟ قالت جدتي .. نفخ " مولان " غليونه ونثره من الرماد .. - لم تعد ياليله من " شطاطي " لان " الانكريز " عندما " طبوا " الولاية تبدلت حياتنا .. " اشار الى " برج مضاء " لقد أشغل الأولاد بالشركه ولم يعد عندهم من وقت للشطاطي .. والانكريز صدق غدارين بس اجاويد بالشغل وربعنه مثل ماتعرفين متلهين بالنوم و" الحكي " ولا نريد نشتغل ونايمين على " بير نلفظ " ولا نعرف غير " البعور والسراج " * واليوم كل شي نشتره من " السوق " .

- قلت لك يا "مولان" نعمان لا ينس ابدا فاحك له عن
"مكحول".
قال مبتسما...

"كنت وجدتك" صبيان "بعمرك" نرعى الغنم عندما
تهنه في "مكحول" والجبل ملينا بما خلق الله "الزبيب
والكشمش و"النقوع" و"جوزة البوه" و"علك المي والبستج"
والتمر والفلفل الاسود والتين وتكي الشام" وهي تملأ سفوح الجبل
فحَمَلنا حميرنا بما وجدناه واسرعنا بالرحيل خوفا من الليل ...
- والمدينه المقلوبه ؟

- جدتك لم تبق لي ما احكي عنه وامرنا الله .. !
"هي ولايه قلبها الله باهلها لكفرهم فنزخهم الله الى
حجاره وفيها" شفنا نسوان لابسات "حجول وملاوي
ومعاضد" .. أي .. من الفضة والذهب "و ارجال" يلبسون الدروع
وبايديهم السيوف و"الشلفات" * صاروا احجارا .. !
"مره" تخبز بالنتور ووحده "ترضع وليدهه" ومره "
تطلك" وشفنه عبد اسود "فاكك" عيونه ولابس عبايه !! *
- واين راحت الولايه ؟
قال "عوجان" ..

"الاتكريز" بنوا حولها حيطانا من اللبن والطابوق
وجعلوها عاليه وظلّوا يطلّعون منها صناديق حملوها على "
الزمايل" والبغال دزوه "بالاكلاك" !
وكان الاتكريز يعصبون عيون من يشتغل معهم حتى لا
يعرف الطريق اليها وبعد ما خلصوا ضربوها "بالمبات" فانسد
الطريق وضاعت "جوه" الصخور بعد ما نما العشب والشوك
والعاكول عليها ولم يعد من يعرف مكانها !
"من وراء السيباط ارتفع صوت "بدوي" ينوح ويعزف على
"ربابه"

" هلك شالوا على مكحول ياشير .
وخلولك عظام الحيل ياشير
لو تبجي بكل الدمع ياشير .

هلك شالوا على حمص وحماه"
"بكت جدتي ولم يقاوم مولان فمسح بطرف كوفيته دمعات نزلت
من عينيه ..!"

- وفريج الاقرع والسعلوه ؟
هيه .. هيه .. الم تحكي له يا ليله ؟
- كانت امهاتنا يخوفنا عندما لانريد النوم..
" ولكم جاكم الذيب .. جتكم السعلوه فظلت تكبر في عقلنا
صاحت جدتي مستنكره ..
- و انت هم صرت مثلهم تكذبني ..
قال ..

- اسمعي مني هاي الحكايه وبس ..
"قبل سنتين سافرت الى بغداد بالسريع وفي احدى العصريات
أخذني " ريشان " الى " محطة القطار وادخلني الى " بقجه"
كبيره رايت فيها " مره " كبيره تدلى ثدييها وملا الشعر جسدها
ولها " خشم " افطس وحلقها ملئى بالاتياب الحاده..
صحت .. وهاي السعلوه ..
فضحك " ريشان " وقال .. لا يابه هذا " شاذي " !
- لا وليدي .. هاي سعلوه !!
تعالى اليوم ياليله .. جيبى لي صبي مثل " المحروس "
وقولي له وليدي .. هاي " سعلوه " وشوفي جوابه .. لا يابه هذا
" شاذي "

- وشلون تعرف هذا " شاذي " ؟
ويصيح الصبي . يمه .. قرأنا هذا بالمكتب وشفناه بالسينما !
- ليله .. ! الم اقل لك نحن من دنيا لم يبق منها الا
الحكايات فلا سعلوه ولا " فريج الاقرع " ولا " حنفيش " !!

انتهت الجزيره بالنسبة لي ولم اعد ارى فيها غير
الرمال والعواصف .. صرت اتجول مع الغروب وحدي بين الرمال
واشعر بالشوق الى " بسمه وامي وابي خالي واخوتي وحمه "
اما في الليل فكنت احيا مع الفانوس .. احلم. واتخيل "كو
دران " احس انفاسها ولهاثها فابتدأت انقطع عن الطعام .. اذ لم
يعد من شيء يثيرني .. حتى " الجن والشياطين والسعالو "
تلاشت اشكالهم ولم يعد ما يشغلني الا العودة الى البيت ...!!

84

تهلل وجه "كولدران " وقد التقيتها في الطريق ..
- "منم زور مه ندي ديرار تاينين ... جياته كم" *
- يا ..أصحيح اني قد كبرت "
- "سباستيان " توش وه كو مانكا" ؟ *"
- " قربانه كم" ..
- تتركني ولا اراك !!
- هيه ..مندالا .. "الصغار ليس لهم من يودعهم" أتذكرين ؟
- "وي .. جيانا .." أمازلت غاضبا مني ؟
" كان شعرها طويلا غطى ظهرها و صدرها وقد امتنعت عن فك
يدي وهي تلهث من الفرح. "
" لهث حمه "
قد بكت واحتضنتني " وكو سينمايي ولم أفكر بان يرانا احدا ..كنا
فوق السطح والثلج يغطينا فلهثت "كول دران" مثلي وقبلتني ..
- أي .. جيانكم ..
تلمظ حمه بشفتيه ..
ولم أنم الليل و لم اقرا فكلما غفوت صحت..
" كول دران .. كول دران " ؟

قال "عبد المنعم" ..
 دفاترك كلها .. صور فاين التمارين ؟
 - هذه ؟
 " توقف عبد المنعم وقلب الاوراق حائرا "
 - هذا مو جواب ..
 واي .. واي .. اهكذا تحل مسائل الحساب .. كيف تريدني
 ان أعلمك .. الحساب يانعمان لا يعرف "اغا" ولا فلاح .. بس
 يعرف النتيجة فاذا بقيت تحل المسائل على كيفك فلن تنجح
 بالامتحان !!

اوقففتي .. "كول دران" وانا اصعد الى الباص وكانت
 تلبس ثوبا بنفسجي اللون ودفعتني قائلة ..
 "عه بيبا" .. اترك النساء يصعدن اولاً واصعد بعد ذلك ..
 تلفتت ..
 نعمان .. ساعد امي فهي لا تقدر صعود الباص !!
 حين راتني امها امسك بيدها قالت ..
 "وي به ساقه ي بم" ..
 ظلت "معزز خان" تتوكأ على كتفي وعندما حاولت
 القعود جنبها جرتني "كولدران" ودفعتني الى مؤخرة الباص ..
 "نه ي .. نه مه جيراوا" .. مكانك هناك ..
 " شعرت بالالم والاشمزاز اذ لم يبق الا "كولدران وانا " فكيف
 يكون الكرسي محجوزا وكيف اقع مع الزنابيل وقذور الطعام بينما
 يجلس "قاله " في مقدمة الباص وما كدت اهم بالنهوض حتى
 تكومت "كولدران" فوقي ضاحكه .. أتركني ادخل ..

"شعرت باصابعها الناعمة تمسك باصابعي وهي تغمغم
بصوت خفيض" ..

" وره وره ليه ريا "!!
كان الراكبون في الباص لاهين بالصياح والاشارات وقد
حجبتهم السلال والزناويل عن رؤيتنا ..
أي أي ..

"هه ره له يلي .. له يي لي ..
أه .. عه مم ره له يي لي .."
تصاعدت الصفقات والاغاني والسيارة تمشي في طريق
امتلا باشجار الصنوبر و"الغرب" و"القزوان" والتوت .
- "تماشا" "حمه" ..

لقد التصقت "كولدران" بي فاحست بجسدها اللين وانا
اتلفت خائفا حتى الايرانا احد ..

أي .. وضعت كفها على وجهي .. ما احلى رائحتها!!
- يا .. يا .. اتحب "سرجنار" ؟
"ظهرت جبال" بيره مكرون " مثل شمعة مشتعله والشمس
تضيء قممها الثلجية" .
أه .. اه .

- هل تحب " بيره مكرون سا لتني كول دران ..
- و احبك أيضا ؟

"هي تذكرني بغرفتي في بغداد .. كانت صوره كبيره
مرسومة على حائط الغرفة فأغلق الباب واتمنى واحلم ان يكون لي
بيتا في الجبال

- انت من رسمها ؟

- راشيل هي من رسمتها !

- ومن هي راشيل ..؟

- راشيل جوله يه.

" تمددت عند حافة النهر اسمع البلايل والطيور وحدي.. كان
النهر صافيا والغيوم البيضاء تملأ سماء قطعها جبل اجرد بلا
اشجار.. بينما تلهت النساء باعداد المكان واشعال السماورات
والحطب فارفع الدخان والصغار يلعبون تحت اشجار الجوز
اقتربت "كول دران" ومعها مجموعة من البنات ما ان رايناها
تتجه لي حتى ارتفعت ضحكاتهن ..
- هل رايت ذلك المكان ..

"اشارت الى مكان ملء باشجار الكنار معزولا عن الطريق ..
" كنت احب اشجار الكنار البيضاء"
عبرنا قنطرة من جذوع الاشجار .. ظللتها اوراق خضراء
- نعمان.. هل كنت تحب ديزي ؟

- ماما ديزي .
- دايكم ..!!
- هي حلوه .. علمتني الرسم.. لماذا تسالين اكنت تعرفيها
- سمعت امك تقول.. اه .. " كول.. ديزي شيرينا
وكو..أه..توش ..

هزت كول راسها فتناثر شعرها الطويل على وجهها.."
- انت مريضه ؟

" وضعت اصابعها بين خصلات شعرها وامسكت بها ورفعتها عن
وجهها.. "

- بو كريا ؟ "خه ستيه!"

الا انها سدت فمي بفمها ..

" نه ي .. نه ي .. "

امسكت بي وجرتني اليها وعصرتني بذراعيها " جيا
..جيا نه كم .. "

شعرت بالاختناق فلم استطع التنفس و شفيتها تمتصان

شفتي " به لام " احسست بالنار تصعد الى اطرافي وصدري .
فلهت.. كانت شفتيها " كه ر مه " و انني في عالم اخر وكو " به
هشتا " مغطى بالعطر وبشي لا اعرفه .. "ماج "
هل جربت يا حمه ان تبوس "سبري خان" ؟

نعمان نعمان .. اين انت ..؟
انتفضت على صوت " قاله " فاختفت كولدراڻ بين اشجار
الكنار ..

- معزز خانم تسال عن "كول دران" .
وبحرکه سريعه اشرت الى صخور الجبل ..
- ذهبت مع البنات الى هناك ..
نظر "قاله " حيث اشرت حائرا "فسالني.. هل وقعت .. اخافك
شي؟
" شعرت بان ثيابي غير مرتبه وملطخه بالتراب وشعري ملينا
بالاوراق الذابله وانتبهت على اميوهي تنظر الى ثيابي ..!!
- عيب يانعمان ان تلعب مثل الصغار فقد صرت كبيرا الا تخجل
من اللعب بالتراب .. أين كنت ؟

- انت لاتبدو بصحة جيده ..ماذا أتشعر بالتعب ؟
قالت جدتي ضاحكه ..
- الا تشعريين يا ساره ان نعمان قد كبر فالاولاد يشبون
سريعا..ثم الم تري نعمان كيف كان ينظر للصبيات؟!
أش أش
هو مريضا ولايد من عرضه على الدكتور " بكر " ..

ظلت أُمي ترقبني حتى الصباح وهي تتلمس جبتهتي ..
حرارته عاليه شعرت بغصه في حلقي وحمه يسألني..
- أ تريد ان تقول شيئاً؟
- ليس عندي ما اقول ولكن ؟
- جي . ؟
" اخاف ان تذهب " كولدراڻ " الى " اسطمبول " لانني كلما
تعاركت معها هددتني ..
- الاتخاف ان ارجع الى " تركيا " !

89

- واي واي .. تقرا كردي وما تعرف عربي
- أي .. موزين اقرا كردي ؟
- بابا اتعلم لغه .. بس مو كردي والواحد اليوم يتعلم
انكليزي ؟
ولو سافرت للدراسه فالانكليز لايعرفون غير الانكليزيه واليوم
مرحله .. ومن تروح للثانويه بعد ماتحتاج الكردي لان الدراسه
كلها بالعربي ..
سكت عبد المنعم وهز راسه ..
- أنت غير راض عما قلته لك .
- ليش لا .. ولكن .. شوف .. منع .. بالامتحان ابقى انتظر
حتى يخلص المعلم من قراءة الاسنله بالكردي وبعدها يترجمها
للعربي ونصف الدرس يطير ولو كنت اعرف " كردي " لما احتجت
ذلك .

90

- زين ماما .. ليش " منع " يكره الاكراد ؟

- لاتقل يكره .. قل هو لا يرتاح لبعضهم لانهم مزعجون
ومثيرون للمشاكل مثلما عندنا وعليك ان تعرف ان "منعم" اكبر
منك واصدقانه مو مثل اصدقائك !

- بس قبل ايام سألني "منعم" مامعنى ؟ .
"ضحكت"

"ريوي رحمت كا .. مصلاوي رحمت نكا.. ؟"

- اشلون اشلون ؟

- ماما الكراد يقولون ..

" ارحم الواوي ولاترحم المصلاوي." !!

- ولك موعيب هذا الكلام ؟

- ماما وكاكا احمد.. هو الذي سألني ما معنى ذلك ؟

91

- حمه !

متى ترجع الى قرينتك ؟

- لن ارجع الى "جاركلاو" لاني ساذهب الى "خانقين" و

هي ولايه حلوه وافتح فيها " دكان " ابيع فيه الحلويات والملابس

والملايب ويومها ساشتري لاخي "رزكار" واخي "نجاتي"

الملابس وادوات الزراعة ..

- ومتى تذهب الى خانقين ؟

- عندما ترجعون الى بغداد ..

- وهل ستكتب لي مكاتيب عندما تصل الى خانقين ؟

92

- لماذا لاتحب الحساب يا نعمان ..؟
- انا لا احب معلم الحساب .. هو " يكح " و "معكّر" ولا
شغل عنده طيلة الدرس غير السب وشتم الطلاب .. اتريدين ان
ترين صورته ..
صاحت امي بغضب ..
- من هذا الذي ترسم صورته على السبوره بهذا الشكل
ولك عيب مو هذا معلم ؟ شلون تضع له اذان طويله ..؟
- هو يصيح دائما " جوى بيكره * و "بيسط " الطلاب
بالعصا ويصيح بهم " كواد أوغلي كواد " *
اش اش
- ماما .. "شاهو" هو اللي رسم الاذان له والمعلم شافهه
وشخبطها .. وقال لي برو.. برو..ومن ذاك اليوم شد ويايه عداوه..

93

- شوف نعمان .. "التراخوما" رجعت اليك وبدعات عيونك
تزداد حمره وهناك طبيب انكليزي من شركة النفط ياتي للسليمانيه
كل اسبوع ولا بد من عرضك عليه .. اشو سكتت ؟
- وماذا تريديني ان اقول ولم اسبح الا مره في "سرجنار.."
- ابوك قال ذلك ولا اقدر ان اعترض عليه ..!
" تذكرت "مارسيل" وممرات "حمام المالح " و "المحابس"
التي كانت تجلبها لي وتذكرت حكاياتها والجريده وليالي بغداد
الخانقه فشعرت بالحزن ولم انم الليل "

94

- سمعت امي تهمس لجدتي..
 " لقد حيرني هذا الولد.. اتذكرين "مارسيل اليهوديه" ..
 ما ان ذكرت له عن الطبيب حتى تغير ورجع يحلم فماذا افعل له ؟"
 - يمه.. الولد ما بيه شي.. بس كبر وتعرفين شيريد ؟
 - يوم.. اشدت خربطين.. هو مريض !
 - كيفك يا بنتي !!

95

- ولك شلون تنهزم من الطبيب ؟
 - جدتي ..
 - والله انا لم انهزم ؟
 - بس شلون ..؟
 - أي مو وقفوني "سره وياه الزمايل"
 - ولك شنو زمايل؟ هاي مستشفى ؟
 - أي .. و"الزمايل" محمله فحم وكانت واقفه معنا فحفت
 ان"تتسخم هدومي" وكان باعة الفحم يتعاركون.. على" توور ..
 وكه ور" وهم يعلسون "الفجل والكرات" من الصبح !!
 - ولك هاي وين رحت .. اخاف رجعت للطوله
 - يا" طوله" اسالي "بابا شيخ" كلما وقفت معهم
 صرخوا بي" جه ته ويه * برو .. توش" شاكردا "
 - ومن هو الشاكردي ؟
 - جدتي ..مو شاكردي. شاكردي يعني تلميذ ..!
 - وبعدين ؟
 - وبعدين هجم علي "مخبل" وجر من سترتي وقال لي "
 منم سرمايا .." بردان"

- أعوذ بالله .. والطبيب ..؟
- الطبيب يتأخر في كركوك.
- و"الخستخانه* ليس فيها غيره ؟
- لا ..بس الانكليزي ومن يوصل يوزع عشرون بطاقة
- على المرضى وبعد ما يفحصهم يسافر الى كركوك ولا يرجع الا
- بعد سبعة ايام !!
- وبعد كل هذا التعب تعطي بطاقتك للعميان وتتهزم .. ولك
- شلون وعيونك ؟
- عيوني ما بها شي..

96

- "اليوم سألني شيخ جلال غاضبا .. "
- ساعتك صفرا لانيك غبت البارحة من الامتحان !!
- قلت ..كنت عند طبيب العيون الانكليزي وتأخرت عنده
- ولماذا تأخرت ؟
- انتظرت الطبيب .
- ابن مدير الشرطه ينتظر الطبيب .. هيه !!
- افندي
- ماذا تريد ان تقول ..قال شيخ جلال .. "
- حاولت ان اوصلهم الى السليمانية بالمسلحه ..
- به به ..وكيف رايتهم "
- كانوا ينظرون لي ولا اعرف الى ماذا ينظرون ؟ كان
- واحدهم يشرب من " طاسه فافون " " تخرخر " منها قطرات
- "ماستاو* يكرعون منها ومن فم الى فم ّ ويمطقون قائلين "
- خوابه زياي كا " وبعدين.. جاء الطبيب ؟ احمر نظيف..
- يلبس صدرية بيضاء .. وما أن عرفوا بوصوله حتى هجموا!!..
- "اخشوشن صوت المعلم فسألني وماذا فعلت بالتسكرة ؟"

- ماموستا .. هي عشرون بطاقة لم يتمكن العميان من الحصول عليها فراحوا يبكون ويصرخون فاعطيت بطاقتي الى " بوورجن "

- صاح المعلم .. و اعطيت بطاقتك .. راستا ؟
- به لي .. افندي ؟

97

" وقومري سه ر بالم شيئا
كه ر و بيشر هه ل كيرينا
وي وي .. بارانا "
قطع حمه الاغنيه وقفز ..!
- جي .. جي ؟
" مارا .. مارا " !!
ولم يتحرك " قاله " من مكانه على النهر
و سألني ..
- " كشتوا " ؟
" هي ملفوفه مثل الحبال وما ان راتني " الحية " حتى
رفعت راسها ودخلت " الزاغور "
صرخت جدتي .. " حيه " ؟

98

قالت امي .
- سيموت المسكين من البرد فادخله النوالغرفه .. طير
جميل .
- كه و .. " صاح حمه "
- " قبيج *
" هو مثل " القطايه " " منقار احمر معقوف والخطوط
الحمراء حول عينيه " فمن اين جاءنا القبيج ..؟

" اشار حمه الى جبال "كويشه "

- " هورمان .."

" ما ان تزداد البروده حتى ينزل " كه و " على القرى .. يريد

الدفع .. ولحمه طيب جدا . "

" اغفى القبيج تحت المنقله .. بعد أن رفرف بجناحيه ووضع راسه
بينهما ونام . "

- نام القبيج .. يا امي ..!

" منذ الفجر امتلا البيت بالوكوكه عندما دخل القبيج بين الدجاج .

لينقر " الحب " . "

- لاتعطه " برنج " ته كه يش تي..*

- ماذا يقول حمه " .

- لا تعط القبيج التمن لانه يقتله !!

- سبحان الله ..!

" ما ان حل الظهر حتى نزلت اكثر من عشره قيجات "

99

امتلات " باغي كه شتي " بالاوراد واصوات البلايل

واشجار " العفص " والصنوبر ورغم اقتراب الغروب ظلت البوابه

مفتوحه الى النصف الا ان اصابع " كول دران " استمرت تعصر

يدي !

" بيازه " *

ترقرقت ضحكتها ورائحه الصنوبر المبلل بالبروده تعطر الممرات ..

كنا نمشي عندما وضعت " كول دران " يدي في جيب معطفها

البنفسجي وحين رأنتي اتلفت بين الاشجار والحديقه خاليه .

- لا تخف يا نعمان " منم بيازه نه كيه ! *

- ولكننا نمشي وحدنا فماذا سيقولون عنا ..!

" ضحكت " " ثم رفعت يدي وضعتها على صدرها "

يا .. بلوزتها القطنيه . كان صدرها ناعما .. دافنا ياحمه!!

" دلم يا لدم "

" ضحكت " وعصرت اصابعي..

- اتذكر أول مرة رايتك فيها كنت تركض وراء القلمون "

صحت عليك ..

" كوره وا زي لي به ينه. " *

فتعاركت معي .. صائحا ..

" حه قي جيا " ..

"اردت ان تضربني وانت تتلفت حولك.. وضربتني بازهارالنرجس

اليائسه . لقد كنت لا تشبه الاولاد .. شعرك المتناثر ويدك الحلوه ..

دعنى اراها ؟

"امسكت يدي وفرشتها على ركبتيها "

" لحظتها تمنيت ان امسك بك واقبلك اتذكر " بوكه " سه روه

خاتم " وكنت البس " سه ربوش " فطلبت منك ان تقطع الحبل

الذي يلف خصر العروسه ؟

"كنت انت أول من رايناه في الطريق فحاولت بيدك الناعمه قطع

الحبل ولم تقدر فوضعت كفي على كفك لاساعدك, ونسيت

العروس ..نسيت الوقت,وبقت كفي تضغط على كفك وانتبهت على

صيحات النساء ..

"كول دران " !!

انقطع الحبل فهربت وبقيت وحدي اشم الراحه التي

تركتها على يدي .. رفرفت مثل الحمامه وليلتها لم أعرف النوم !

أصحيح أنني احببت " منдал " الامس ..يا .. "

مرة.. كنت أراجع " ألجبر " فسمعت صوت أمك ..

أبني نعمان..بعد ماكولعب.. هذه بكالوريا .. أقرأ ..بس ..

هذه السنه ؟ "

"كنت قد سالتني مره "كول دران توش له صنفي جند ؟

قلت .. "منم له "سيه سانوي" !

توش ..

قلت ..
 " منم له صنفى شه ش. " !
 قال حمه .. و بعد ذلك ؟
 وضعت راسي على صدرها وشممت رائحة "الصنوبر" فقلت
 لها...
 انت مريضه يا "كول" .. فكل مرة التقى بك احس بك مريضه
 وحرارتك عاليه .
 بكت " كولدراڤان " و نزل شعرها على وجهي ..
 " احبك و اريدك لي "
 بقينا ندور في الحديقه .. خشيت ان يسد الحارس الباب و " كول
 دران " لاصقه بي وحرارتها تكويني ...!!
 - ماج امبينه .. أتصدق هي قالت هذا ؟
 " لوت راسي ووضعت فمها على فمي واحتضنتني وظلت تبكي !!

100

- لقد كبرت يا نعمان .. عيب ان تتعارك ؟
 - ولكنهم كانوا يصيحون ..
 " عه ره با .. يابا .. عه ره با "
 - ولد الكلب !!
 - وفي "بغداد" يقولون لي كردي . !!
 - وما المشكله يا بني .. أنت عربي ولسانك عربي
 و "البغاده" عندما يقولون عنك كردي يتعجبون فكل من ياتي من
 " الشمال " عندهم كردي !
 - زين .. والاكراد ليش .. عندما اتعارك معهم يهربون
 و يصيحون علي ..
 " كوردي كراد .. عه رب زرات !!!"
 - عيب تقول هذا !!

- وشنو عيب...؟
- تره الحق مو بالقوه "بس" بالتفاهم!

101

- وحتى يزور "الباشا" السليمانيه.. فان الحكومه
وضعت تحوطات كثيره على سلامته والزياره سريه يا منعم؟
- وكيف يزور "نوري السعيد" السليمانيه والوضع
غامض يا "عبد الرحمن" ..
- لا. كل شي "ماكو" بس "الشعبه الخاصه تتوقع ان
يعود" الشيوعين" للشغب وتوزيع المنشورات؟
- وماذا ستفعل الحكومه؟
"ضحك عبد الرحيم.."
- وشنو.. عند الحكومه غير لم الشيوعين من الطريق ..
والحقيقه التي سمعتها....
"تلقت" عبد الرحمن "وصاح بي ..
الف مره قلت لك ان تبتعد عن" قعدات "الرجال الا ان
"منعم" اراد مني البقاء "قائلا بتأثر ..
- لا اريدك يا عبد الرحمن ان اتعامل "نعمان" بهذه
الطريقه فتجاهل عبد الرحمن الرد وقال ..
في الحقيقه" ان الايرانيين " ادخلوا مجموعه من الاكراد
للسليمانيه ليقيموا بعملية اغتيال بعض الاغوات لاعتقادهم بانهم
وراء الخيانات! ..

102

- عجيب يا "ساره" منعم.. يسألني عن اشياء تقع في
السليمانيه ويكلمني وكأني "فتاح فال" ليش وشلون وهذا
ميصرف لي؟

- شوف عبد الرحمن... هذا الولد ما شاء الله ذكاءه
يثير الحسد وكل سنه يعفونه من الامتحانات.. هو يريد جوابا لكل
سؤال وانت عندما ترد عليه تقول مثل أمي..
" الله كريم ..سمعت ...لا ادري ...ويقولون !
- عجيب !!
- وما العجيب في الامر.. شوف عندما يسأل.. نعمان.. عن
مسأله في الحساب يرد عليه نعمان كعادته " أي .. وما أدري
وكنت اسمع "منعم" يصرخ محتجا ..
شوف نعمان .. الحساب مو " لعب طوبه" الحساب واحد
زائد واحد يساوي اثنين فلا تقل لي
ما اعرف !! تريد تتعلم لو تلعب .. فلا تتركني اصّيع وقتي
ومشكلك يا عبد الرحمن .. انت لا تريد ان تفكر وتريد الاخرون ان
يفكروا مثلك .

103

دوت اصوات انفجارات.. هزت البيت فتصايحت الدجاجات "
وتصايح "عبد الرحمن " و امي والاولاد ..
ولكم .. هاي .. اصوات قنابل لو بمبات؟
- لا .. قنابل ..!
"سمعنا طلقات كثيره واصوات.."
رن جرس التلفون!
ركضت امي ألى ألتلفون !!
- ها .. خير .. صاحت جدتي ؟
اصفر وجه امي ...
- لقد ضربوا بيت المتصرف .. !
- ومن الذي ضربه ..؟

" تصاعدت الضجة فرايت " عبد الرحمن " يشعل سجاره
ثانيه وسجارته بين شفثيه !! "

- وماذا سنفعل ؟

- نفعل ؟

" دمدم " عبد الرحمن " .. كم مره قلت لمحمد سعيد اريد
اجازة بندقيه لو مسدس. و كل مره يصيح بي ما اريد
سماع مثل هذا .. انت موظف مدني لو شرطي واليوم .. قال
خالي ..

لو دخل الاكراد علينا " ماذ سنفعل " ؟

" نظرت امي الينا نظره صامته وقد صمت اخواني

وتوقفوا عن اللعب !! "

104

- تدري " منع " الله سلم و " البمبه " وقعت على غرفة
الحرس ومن حسن الصدف .. الحرس كانوا اخر البيت يطاردون
كلنا دخل الحديقه .. !

- و بقيه القنابل ؟

- قتلت احد الاكراد واصابت " الخادمه " بالجروح وحا لتها

خطره .. تعرف شنو طلعا من صدرها ؟

اربعه مسامير وشظايا ويقولون ان شظية اصابت الرنه ..

خطيه .. بس لامتوت ..

- والخادمه هم كرديه ؟

- كرديه نصرانيه من اقرباء " ساكو ابو الفرفوري "

- زين " عبد الرحمن الم تسمع " بابا شيخ " وهو يقول

لنا ان مدير الشرطه ارسل على " الشيخ محمود " اتعرف ماذا اراد

منه ؟

- لا..بس.. وزير الداخليه صار عصبيا على المتصرف و
"زفه" قاتلا.. هذا مو شغل.. فاضطر المتصرف لارسال ابو نعمان
الى شيخ محمود لانه عسكري وما يعرف المجامله ..
وتدري السبب ليش .. لان "الباشا" يريد زياره
السليمانيه "بسكوت".

- والقنابل ..؟

أي ..هي بسبب ذلك ..؟

- وما اعتقادك يا "عبد الرحمن"؟

- منذ يومين والاكرد "يكرجون" * مع بعضهم ولو كنت
اعرف لسانهم لعرفت ماذا يفكرون وحتى صديقي "جمشيد افندي
" كان يمكن ان يخبرني بما يقع لانه يعمل في "ألقلم السري"
ولكنه لايعرف شيئا.

- وصديقك هذا عجمي لو كردي ؟ ساله "عبد المنعم"

- ومن عرفني أن كان من هنا او هناك .. هو مثلي لا

يعرف السياسه!! فلماذا تلح هكذا ؟

- كنت اعتقد باننا أذكيا والايام تؤكد باننا نجهل حتى

معرفة ما نفعله للمستقبل والاكرد يعرفون ما يفعلون. اما نحن فلا
نعرف شيئا !!

105

عندما منعنا ابي من الخروج الى الطريق علق "عبد

الرحمن"

والان انتبهوا ..؟

هاي المره بيت المتصرف والمره الجايه ..

القائمقام ومدير الشرطة ..السره لنا ؟

- ساره .. ماخبر الوضع ؟
- محمد سعيد.. لم ينم ليله امس في البيت , ولم يقل شيئا غير.. راقبي نعمان وقد اوصيت بابا شيخ ان لا يطلع الا معه..
- ونحن ؟ قال عبد الرحمن
- نبقى في البيت !!
- الم تسمعي ان "سيد حسن" طلب النقل الى الموصل ؟

- " سمعت صوت المسلحه واصوات الحرس" ..
- نعمان .. وصل ابوك ؟
- " قفزت راكضا ... رايت جزمه ابي ملينه بالطين ووجهه عابس ولم " يزين " لحيته و سمعته يقول لامي اتركي الاولاد نائمون ؟
- و لم يتاخر ابي في البيت بل اخذ بعض الاوراق .. وطلع مسرعا ..

- والقنابل ..؟
- "محمد سعيد" لم يذكر شيئا عنها ؟
- وبيت القائمقام ..؟

- مثلما سمعنا !
- والخادمه الكرديه ؟
- في المستشفى ..
"كانت مسبحه خالي عبد الرحمن تطق باستمرار "
- وهاي تاليهه " يابه راح ارجع الى بعقوبه ؟ "
- احسن !
صاحت امي غاضبه ..
و خلصنا من ها " اللغوه " كل ما يقع من شيء هنا
أراك دائما تنصب من نفسك محكمه ؟

109

قال " بابا شيخ " لخالي عبد الرحمن ..
حاجي ملو " سمع " شيخ محمود " يقول الى " جناب
محمد سعيد به "
أن من ضرب البمبات ليس كرديا والحكومه هي التي
ضربت بيت المتصرف لانها تريد خلق
" شه ر " بين الكورد والعرب ّ
فقال له سعادة المدير ..
- ان معالي الوزير يقول بأن شيخ محمود يعرف كل
شيء ..
فقال شيخ محمود .. تريدونني أن أتفاهم معكم او
تريدون أن تتهمونني ؟
- بل نريدك أن تكون حقيقيا ولا تراوغ في الجواب وانا
أقدم لك مقترحات الحكومه واريد منك الجواب الآن حتى ابلغ
معالي وزير الداخليه.

فقال شيخ محمود .
 - أذا فساعود الى الجبل .
 فرد سعادة مدير الشرطة ..
 وهذا دليل على انك تخلي الحبل على رقبتك فاذا لم تقدم لي
 الجواب لأن فان السيد القائد العسكري سيضرب " داري كه "
 بالطيارات !
 وقال " حاجي ملو " ..
 والاعوات قالوا لشيخ محمود اذا لم تسلم من ضرب "
 البمبات " على بيت سعادة المتصرف فأننا سنهجم عليك بعشائرننا
 ونذبحكم قبل ان تضربنا الحكومه بالطيارات وتهدم قرأنا تقتل
 اولادنا
 وقال " ملو ..
 " بلام " * جماعه ملا محمود قالوا بان مدير الشرطة
 هو الذي قتل خوله بيزه .. !
 - ولكن بابا كان في كركوك عندما قتلوا خوله بيزه ؟
 - ته واوا. " ولكنه في الحكومه ..! *

110

ضربني عبد الرحمن بالباكييت فتناثرت السجائر
 - اين كنت ؟
 - ذهبت وحمه الى " سينما بيه ستون " *
 - والبرد والتلج ؟
 - ماما.. فلم زورا .. " كلش حلو " الفيله والنمور
 والشواذي والولد بالغابه .. واحترقت الغابه وخطيه..الاسود
 والشواذي غرقت بالماء وكل الاشجار احترقت .. !
 - ولم تخافوا .

- ولماذا نخاف.. " خسرو وصالح وحمه سور " كانوا معنا
وكنا نضحك ونصيح !!
وبالسينما دقوا السلام الملكي ووقفت انا وحمه
وخسروصالح مثلما اوصانا عبد المنعم ..
ماما نص الناس ظلوا قاعدين ّ
- لاحول ولا قوه الا بالله ولكم انتو شنو.. بابا الولايه
متعزيه وانت وحمه رايعين للسينما .
وبعدها..
- ها .. ذهبنا الى مخزن " برشك " لان مخزن " سه رو
جك " كان معزل * واشتريت!!
- ولك .. هم اشتريت ..؟
- اشتريت " ليدو " *
- و جرجيس ؟
- لم أصل له من الازدحام ..
- ليش ..؟

111

" رن التلفون "
كانت امي تنظر لي وانا ارفع السماعه و تسمع التلفون !
نعمان .. اين حمه ..؟
تعالوا ؟ بابا..ما يريد احد من الاولاد يطلع ولا يصعد فوق
السطح .. ابقوا في البيت ..!
- مثل الدجاج ...
- أي.. مثل الدجاج !!
- ولماذا يا امي؟
- قال ابوك عندما ارجع للبيت ساقول لك.

قالت جدتي.. وهي تطفئ سجارتها ..
 - أوه .. وهذه .. رائحة الخريف !..
 - وكيف تعرفين الخريف من الشتاء يا جدتي
 - من رائحة المطر والغيم واوراق الاشجار والبروده ..
 فحتى الارض تصبح رائحتها مثل رائحة اوراق " الرارنج
 " - وهل للارض رائحة يا جدتي ..؟
 " العارفة " في الجزيره يشمون التراب ويقولون هذه
 الارض الفلانيه وهذه ارض شيخ فلان..
 و العربي يعرف مثلما تعرف انت الكتابه.
 يشم الهواء والتراب الغزلان فتعرف الهواء مكان
 الماء !.. قريب أو بعيد فتركض له !..
 - والربيع ؟
 - والربيع .. قصير.. انه شهر الاعراس والفرح وفيه تلد
 النعاج وتبدل " الحيايه " جلودها و تسلخ " الأيائل " قرونها
 مثل اوراق الاشجار و تقع الاوراق اليابسه منها وتتبع اوراقا
 اخرى .. !

انا احب الخريف يا جدتي !..
 " كل مافيه حلو.. البروده فيه خفيفه والبروده تجعلني
 اتغنى باللحاف
 أه .. اوراق الاشجار تتساقط وتتطاير وحتى رائحة الهواء
 .. شي جميل حتى الغيوم تركض في السماء ..

أتعرفين ماذا أحب في الخريف ؟ أحب ان امشي حافيا في البيت .!
"

ياه .. لتتذكر فيها الاعيبك في الصعود الى شجرة
الزعرور!!
" وكدت اقول لها .. وفي الخريف ارى " كول دران " كل
صباح وظهيره في طريق المدرسه "

114

دخل بابا شيخ مسرعا الى البيت وسمعتة يشاور خالي
" الحكومه " لظمت " واحدا من جماعه ملا محمود واعترف "
ايمرؤ " بان جماعه من الاكراد سيذبون بمبات على بيتنا هذه
الليله ويريدون خطف نعمان !
- بيتنا ...!! صاح عبد الرحمن مذهولا ..
- به لي .. اجاب بابا شيخ .. و امرني " البك " بنقل
العائله الى بيت " وسطه فرج " في " به كره جو "
فدتصايح .. غزوان وعبد الله وسنان بفرح وهم يسمعون.. " بكره
جو..."
- اشو .. صاححت امي ..
ولكم اسكتوا .. هذوله عبالهم راح يلعبون .

115

- لن تبقى هنا الا الليله ..!
قالها ابي بغضب ..
وسينتظرك " فائق " عندما تصل بغداد وانتظر انا منك
برقيه .
بكت امي .. "

الثلج يملا السليمانيه ..!
 " حاولت فتح النافذه ثم اغلقتها وفي كل مرة ينزل الثلج ..
 تمنيت لو رايت " كول دران " هل نامت ..?
 كيف ستكون صدمتها عندما لا تراني وماذا ستقول .. سوف
 لا اراها ولا تراني ..
 الابواب مسدوده والثلج يسد الطريق ..!
 همست جدتي وهي ممدده على فراشها تنن ..
 " حياتنا حلم .. ما ان يبدأ الصبح حتى ننسى . اريدك ان تذكرني
 فقط عذمتاكون متالما ..
 ومن ممرات البيت سمعت أبي يقول لامي في ألم
 هو لن يتحمل الصدمه اذا ما ماتت ياساره , هذا شي لا
 أخفيه عنك فالطب لا يعرف القدر.. هكذا قال الاطباء ..
 لان أمك فقدت المقاومه ولا أقول الأيمان و هي في
 طريقها الاخير .. اتركه يرحل ذلك أخف من المصيبه حتى نعرف
 نحن وجهتنا.. فكري... فالموت المسموع أكثر رحمه ...
 اما نعمان فلست على استعداد لفقدانه في زحمه الواقع المسموم
 ولا اريده ان يكون قربانا كما صرت انا!! فقد كنت قاسيا معه لانني
 احبه اكثر من روعي ولااعتقد اليوم بانني على خطأ لانني اعرف
 كيف ستكون شخصيته واخرجه من السليمانيه مهمه جدا فلا
 تساليني !!
 سمعت أمي تبكي ..!

116

لم اسمع صوت السنونوات والعصافير والنسور التي
 عودتنا اصواتها كل صباح ..وهي توالي الزقزقة والتغريد ..الا ان
 الثلج الابيض جاء مبكرا واستمر يتساقط في صمت مبللا الحيطان
 بالماء حتى تحول لون الطين الى " ديرم ..*

لم ار "جبال كويزه ولا جبل ازمر " فضباب الثلج مسح
صورتيهما بالدخان فتدثرت بالنوم ..
حتى السليمانيه لم تقاوم النعاس فغطت في نوم طويل .
شممت رائحة التبغ البشدي * عندما استنر " بابا شيخ "
متلذذا يجر انفاسا غابت ورائحة الثلج ليختلط معها عطر
"كولدران.."

تلقت و هيمن علي شعور بانني سالمحها في طريق ثانوية
البنات....

عندما تسللت بهدوء من فراشي نظرت الى ساعتني "التي اهداها
ابي ليلة عيد ميلادي و قد جاوزت السادسة صباحا والعصفور
الصغير مستمرا على نقر الحبوب ما اردت رؤية امي ولا
جدتي ..حتى لا اسقط بين الدموع ..
حين ففرت الى السياره توسلت بابا شيخ ان نتحرك فلا شيء
اصعب من الانتظار ..

رايت الحرس يغلقون البوابه الخارجيه لبيتنا ..
فاحسست ان ما بيني وبين بيتنا وما فيه قد ابتعد مئات السنين .
" عندما تنوي على شي لا تنظر الى الوراء "
تطلعت الى نافذة " كول دران " وتمنيت رؤيتها فقد تكون الصدفة
ولكن نافذتها تكومت عليها الثلوج ..
تباعده .. "مزكوتي كاكاه احمد.. " والسياره تدور حول طريق
"حلبجه."

غابت جبال " كويزه وازمر " وغاص طريق العميان القديم بالثلج
و طريق المستشفى واختفى دكان " جرجيس " وراء مصابيح
اعمدة الكهرباء الخشبيه ..

بدا قلبي ينتفض ونحن نقتررب من " باعي كشتي " التي بدت مثل
ثوب "كول دران" مطرزة بالثلوج . فتحت نافذه السياره رغم
الثلج و صياح بابا شيخ .. كانت روي عطرها .. فترامت
امامي مقبرة الماعز مغطاة بكفن من الثلوج وغابت جبال " كوله
زرده " و "كهف هزار مه رد و قره داغ " وراء سحبات الثلوج

وكلما دارت السياره تباعدت السليمانيه .. رايت خيطا طويلا من
الذكريات يتلاشى..

" تعلق حمه بي وبكى بعد ان اعطاني " كلاو " مزرکش
بالكلبدون والفضه " صنعه بيده ..

لم ابك لحظتها الا انني الان وقد اغفى بابا شيخ في مقدمة السياره
تبملت عيناى بالدموع لانني لم ابك معه !!!
ومسبحه جدتي مازلت البسها . والقميص الصوفي مازال مشبعا
برائحه امي !!

جسر " قلياسان " الذي لعبت عليه مع " حمه و سنان وبسمه "
وبكره جو وحكايات جدتي و خالي عبد الرحمن .. حتى " صالح
خوشوي وشاهو وخسرو. " . قد تذكرتهم !!
وبيت " حمدي بك ومدرسة " كاني اسكان " والمدفاه الخشبيه .. و
صديقي " عبد المنعم " الذي لم اودعه ..
ظل صوت ابي يتردد في حزن...

" لا تجعلني اراك طفلا فقد ولت ايام طفولتك ولا بد لك ان
تفكر بالمستقبل حتى تجعلني فخورا بك .. سنتنظرنا في المحطه
عندما نرجع اليك !!! "

" بدأت نيران " بابا كركر " وتانكيات النفط " الا ان

القاطرة استمرت ماضية نحو الغرب ..

تذكرت اسلاك التلفون عندما رايت العصافير والنسور
تطير الى الشرق تاركة الشمس وراءها وجدتي تحدثني عن "
قره تو "

تك تتك ... تك تتك ..

على منضدتي في مقصورة القاطره ارتمت باقه ورد احمرء دب
بها الذبول كانت اخر باقه ورد جاءتني بها " كولدرا ن " قبل ستة
ايام حملتها باصابعي وغمست عيدانها في قدح الماء..
من النافذه رايت اللقالق راجعه والغروب يلف ما بقى من ذكريات..
رجعت اتذكر جدتي وامي واشقائى..

تذكرت خالي عبد الرحمن وحمه وعبد المنعم وبابا شيخ .. و
تخيلت كولدرا ن تنظر لى من نافذتي وتتهد "

شي وحيد لم تقدر له امي ولا جدتي عليه.. ان انس حب تلك
الارض العذراء ولا قبلات كولدران " ..
وأنا اليوم راجع الى مدينه طالما كرهتها ولكنني احببت فيها "
ديزي
من يدري اين هي الان وقد انقطعت اخبارها منذ سنتين كما غابت
" مارسيل " حلم طفولتي..
وما يدريني ماذا سيبقى لى لو ماتت جدتي ورجع "حمه" الى
قريته..؟

رواية..

شناء اللقالق

10 كانون

الاول 1996

البصرة

e.m. ihsanwa2009@yahoo.com

الايداع في دار الكتب الوطنية ببغداد

التاريخ

الرقم

